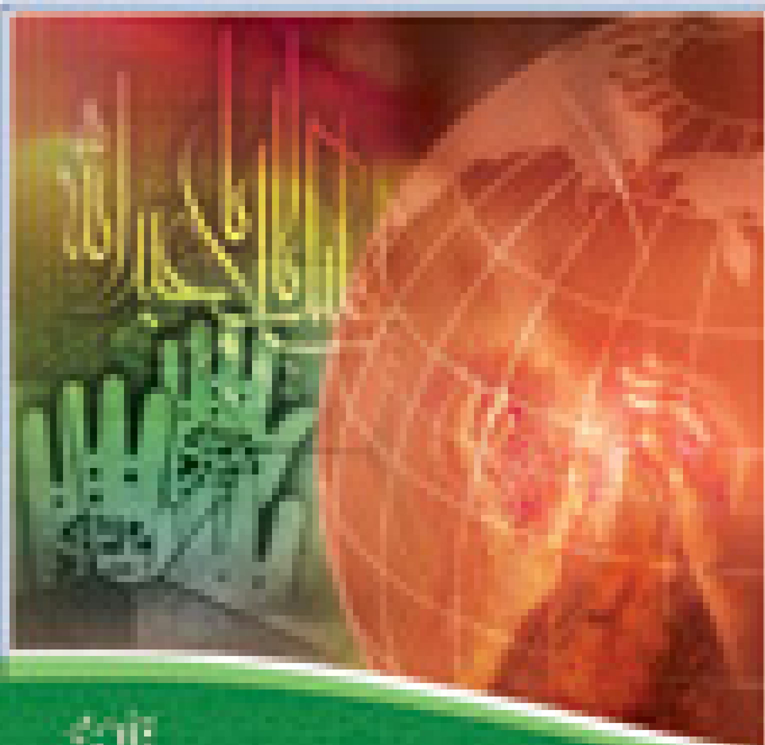
دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر
في ضوء مدرسة أهل البيت (ع) (٣)

بحوث معاصرة

في الساحة الدولية



تأليف

دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر
في ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) (٣)

بحوث معاصرة
في الساحة الدولية

تأليف:

الشيخ محمد السند

مركز الأبحاث العقائدية :

- إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
- العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
ص . ب : ٧٢٩
الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
- الموقع على الانترنت: www.aqaed.com
- البريد الالكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) :

بحوث معاصرة

في الساحة الدولية

تأليف:

الشيخ محمد السند

الطبعة الاولى ـ ٢٠٠٠ نسخة
سنة الطبع : ١٤٢٨هـ
المطبعة : ستارة

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتاب

بسم ا الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

يلاحظ أن العقود الأخيرة من حياتنا المعاصرة ـ الأربعين سنة الأخيرة ـ شهدت في أُوروبا تيارات ثقافية متنوعة، يسمها طابع التمرد والتشكيك والتحول من تيار إلى آخر ..

بيد أن ما يطلق عليه مصطلح (التيار التفكيكي) يظلّ هو التيار الأشد حضوراً في السنوات المعاصرة، بالرغم من انحساره نسبياً، وظهور تيارات أُخرى، كـ (التاريخانية) وما سواها من التيارات اليسارية الجديدة ..

إن التيار المذكور مع بعض أجنحته ، كـ (تيار الاستجابة والتلقّي) ونحوهما، يتميز عن سواه بكونه ينطلق من خلفية فلسفية هي (التشكيك) في المعرفة والكينونة و ... ، حتّى إنّه أُطلق على العصر الذي شهد هذا التيار بـ (عصر الشك)، وكانت انطلاقته من فرنسا ـ البلد الذي ينفرد بإحداث الموضات الجديدة في الصعيد الثقافي بعامة ..

وقد واكب هذه الفلسفة التشكيكية تطويرالدراسات اللغوية التي بدأت مع العقد الثالث من القرن العشرين،حيث استثمر التيار التفكيكي أو التشكيكي معطيات هذه التيارات (الألسنية)، ووظّفها لصالح تفكيكيته أو تشكيكيته، وذلك

بأن فصل بين (دوال اللغة) و(مدلولاتها) ، فحذف الأخير وجعلها غائبة، ليشير بذلك إلى عدم وجود مركز معرفي ثابت بقدر ما يخضع الأمر لقراءات استمرارية لا نهائية، أي جعل استخلاص الدلالة المعرفية لا نهاية أو لا ثبات لها، وهو أمر يتساوق ويتناغم مع الفلسفة التشكيكية التي لا تجنح إلى يقين معرفي أو المعرفة اليقينية، ومن ثم يظلّ (المعنى) أو (الدلالة) أو (القيم) لا ثبات ولا استقرار لمفهوماتها ..

ومن الطبيعي حينما ينسحب هذا التشكيك على الظواهر جميعاً ، فإن النتيجة تظلّ تشكيكاً بكلّ شيء، وفي مقدمة ذلك: التشكيك أساساً بما وراء الوجود (المبدع) وإرسالات السماء، وكلّ ما هو (مقدس) بحسب تعبير الموضة المشار إليها ..

وإذ كان المناخ الأوربي يسمح بولادة أمثلة هذه التيارات ، نظراً ـ من جانب ـ إلى اليأس الذي طبع مجتمعات الغرب من حضارتها المادية الصرفة، خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية ..

وإذا كان المناخ المذكور ـ من جانب آخر ـ طبعه الترف الفكري أو التخمة الثقافية، بحيث تقتاده إلى توليد جديد للفكر حتّى لو لم تسمح به الضرورة ..

ثم ـ من جانب ثالث ـ إذا أخذنا بنظر الاعتبار (وهذا أهم الأسباب بطبيعة الحال) عزلة المجتع الأُروبي عن السماء ومبادئها:

حينئذ، فإن ولادة التيارات التفكيكية والتشكيكية والمتمردة والفوضوية وبالإضافة إلى عودة بعض التيارات المنتسبة إلى اليسار الجديد .. أُولئك جميعاً تفسر لنا ولادة التيارات المذكورة في مجتمع أُوربي له أرضيته الخاصة .

إلاّ أن من المؤسف كثيراً أن نجد انعكاسات التيارات المذكورةعلى(الشرق)، وفي مقدمتها: المجتمعان العربي والإسلامي، حيث هرع أفراد كثيرون

إلى معانقة هذه التيارات المتعاقبة (المتداخلة والمتضادة أيضاً) ، مع أنّها (غريبة) تماماً على المناخ العربي والإسلامي!

إلاّ أن (نزعة التغريب) التي تطبع عليها هؤلاء الأفراد تفسر لنا تبنّيهم الفكر الغربي، وتخلّيهم عن قيم الوحي ومبادئ الإسلام العليا ..

ولكن الأسى الأشد مرارة أن نلحظ (الإسلاميين) بدورهم ، قد بهرتهم زينة الحياة المنعزلة عن السماء في المناخ الأوربي، فهرعوا بدورهم إلى محاورة (الانحراف) المذكور، وبدأوا ينشرون دراساتهم التفكيكية والتشكيكية حول مختلف ضروب المعرفة، وفي مقدمتها التعامل مع النص القرآني الكريم، بدءاً بالوحي، وانتهاء بـ (التفسير بالرأي)، بحسب ما تلقّوه من التيار الأوربي الذي أطلق العنان لمفهوم (القراءة) أو السلطة للقارئ يعبث ما يشاء بدوال النص، حافراً ومنقباً ومهدماً، تقليداً لأسياده المنعزلين عن السماء ومبادئها ..

وإذا أضفنا ـ أخيراً ـ إلى ما تقدم ، ظاهرة (العولمة) في سنواتنا المعاصرة، وما تستهدفه من السيطرة على الإيديولوجيات جميعاً؛ حينئذ نجد أن الضرورة الإسلامية تفرض علينا أن نتّجه إلى (تأصيل) ما هو ضرورة في حياتنا المعاصرة، ومن ثم (الرد) على الانحرافات المذكورة ..

بصفة أن التزامنا بمبادئ الدين، وإدركنا لمهمة خلافة الإنسان، أي إدراكنا للوظيفة التي أوكلها اللّه تعالى إلينا، وهي مقولة: **{وما خَلَقْتُ الْجِن والإِنْس إِلاّ لِيعبدون}**(١)، أولئك جميعاً تفرض علينا:

أولا: أن نتعامل مع الظواهر وفقاً لما يفرضه القانون العقلي ويتلاءم مع التصورالإسلامي حيالها،وفي مقدمة ذلك(اليقين المعرفي)، وليس (التشكيك).

١- الذاريات (٥١): ٥٦ .

ومن ثم القيام بمهمة (تأصيل) ما يتّفق مع مبادئنا، و(الرد) على الانحرافات التي طبعت سلوك ما يسمى بـ (الإسلاميين) المنشطرين بين من (يشكّك) وبين (يساري) إسلامي يستعين حتّى بالمبادئ المنتسبة إلى الإلحاد ..

وفي ضوء الحقائق المتقدمة، وتلبية للتوجيهات الصادرة من سماحة المرجع الديني الأعلى آية اللّه العظمى السيد علي الحسيني السيستاني "دام ظلّه الوارف" بضرورة التصدي لأفكار العلمانية ورد شبهاتها، قرر مركزنا أن يضطلع بالمهمة المشار إليها، داعياً الأقلام الإسلامية الراصدة لما يجري في الساحة بأن يجعلوا من أولويات اهتماماتهم كتابة البحوث المناسبة للموضوع، أي المتسقة مع مشكلات حياتنا المعاصرة .

وفعلاً فقد باشرنا بإصدار سلسلة "دراسات في الفكر الإسلامي المعاصر في ضوء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)"، فصدر الكتاب الأول من هذه السلسلة "الديمقراطية على ضوء نظرية الإمامة والشورى" للعلاّمة الشيخ محمد السند .

وصدر الكتاب الثاني منها "أوضاع المرأة المسلمة ودورها الاجتماعي في منظور إسلامي" للعلاّمة الأستاذ الشيخ حسن الجواهري .

وهذا الكتاب ـ الذي بين أيديكم ـ هو الإصدار الثالث من هذه السلسلة، وهو للعلاّمة الشيخ محمد السند ، وهو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها المؤلّف في مدينة المنامة البحرانية، في أيام شهر محرم الحرام خلال أربع سنوات ابتداء بسنة ١٤٢٣هـ .

وقد قام السيد هاشم الموسوي باختصار هذه المحاضرات ونقلها من الأشرطة المسجلة ، فجزاه اللّه خير الجزاء.

وقام المركز بمراجعة هذه الأوراق وتصحيحها واستخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج، وطبعها في مجلّد واحد تعميماً للفائدة، وهي تحتوي على أربع رسائل:

(١) إثارات العلمانية الغربية حول الإسلام .

(٢) النهضة الحسينية ومفهوم الإرهاب والسلام .

(٣) عاشوراء ومفهوم العولمة .

(٤) العدالة الاجتماعية .

وفي الختام نتقدم بجزيل شكرنا وتقديرنا لكافّة الإخوة الأعزاء الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالذكر فضيلة الشيخ عبد اللّه الخزرجي الذي قام بمراجعته وتصحيح واستخراج ما يحتاج إلى استخراج، فللّه درهم وعليه أجرهم ، والحمد للّه رب العالمين .

محمّد الحسّون
مركز الأبحاث العقائدية
٣جمادى الأولى١٤٢٨ هـ
http://site.aqaed.com/Mohammad
Muhammad@aqaed.com

(١)

إثارات العلمانية الغربية حول الإسلام

المقدمة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد   رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد:

فقد كلّفني وشرفني سماحة العلاّمة الشيخ محمد السند بتقرير البحوث التي ألقاها في مأتم السماكين في المنامة في موسم عاشوراء ، فابتدأت بما ألقاه من محاضرات يرد فيها على إثارات العلمانيين الغربيين من خلال أشهر وأبرز مدارسهم الفكرية وهي العلمانية "السكولارزم" ، المدرسة الفلسفية التي تتبنّى فصل الدين عن الحياة ، ومدرسة التعددية "البلوري ألسم" وهي المدرسة المنطقية التي تتبنّى تعدد الإدراك، والمدرسة الهرمونطيقية وهي المدرسة الأدبية التي تتبنّى نظرية تعدد القراءات الأدبية ، وقد قضيت أوقاتاً جميلة كنت أتلذّذ فيها بمتعة العلم والاستدلال وأنا أستمع لأشرطة الكاسيت التي تحتوي تلك المحاضرات وأستنير بكلامه الذي اعتمد فيه سماحته على آراء مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، حيث كانت ردوده مستمدة من الفكر الذي ينتمي إلى هذه المدرسة الطاهرة، وأسأل ا   العلي القدير أن يوفّقني لكتابة وتدوين باقي محاضراته ، ونسأل ا   أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجمعنا وإياه مع محمد وآل محمد في دار كرامته إنّه سميع مجيب .

سيد هاشم سيد حسن الموسوي

التاسع من جمادى الأولى ١٤٢٤ هجرية

الموافق ٢٠٠٣/٧/٩ ميلادية

المحاضرة الأولى
الفرق بين الشريعة والدين

محاور المحاضرة:
أولا: الإسلام الدين الخالد .
ثانياً: الخطأ الشائع في استخدام مصطلح الدين كمرادف لمصطلح الشريعة .
ثالثاً: النسخ يقع في الشرائع، ولا يقع في العقائد .
رابعاً: مصطلح الدين والشريعة، وقضية الغدير.
خامساً: آية المودة ، وإلحاق الإمامة بأصول الدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: **{وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين}**(١) .

وقال تعالى: **{تَبارك الذي نزلَ الفُرقان على عبده ليكُون للعالمين نَذيراً}**(٢).

هذه الآيات وغيرها تثبت أبدية الدين الإسلامي ، وأنّه الدين السماوي الخالد.

فقوله تعالى: **{للعالمين}** هو قول مطلق يشمل كل الأمم التي تأتي بعد النبي محمد(صلى ا عليه وآله) .

وقال تعالى: **{ما كان محمد أبا أحد من رجالكُم ولكن رسولَ ا وخاتَم النبيين**

١- الأنبياء (٢١): ١٠٧.
٢- الفرقان (٢٥): ١.

وكان ا ُ بِكُلِّ شَيء عليماً}(١) .

وقال تعالى: **{إِن الدين عنْد ا ِ الإِسلام وما اخْتَلَفَ الذين أُوتُوا الْكتَاب إِلا من بعد ما جاءهم الْعلْم بغْياً بينَهم ومن يكْفُر بِآيات ا ِ فَإِن ا َ سريع الْحسابِ}**(٢) .

وقال تعالى: **{ومن يبتَغِ غَير الإِسلامِ ديناً فَلَن يقْبلَ منْه وهو في الآخرة من الْخَاسرِين}**(٣) .

وهذه الآية مطلقة وعامة سواء كان ذلك قبل محمد(صلى ا عليه وآله وسلم) أو بعده أيضاً.

الدين الإسلامي خالد

هذا البحث، وهو بحث خلود الدين الإسلامي إلى يوم القيامة، هو بحثٌ أدياني، أو بحثٌ أيديولوجي بالتعبير اللاتيني، يعني: بحثٌ عقائدي .

وهو محل جدل واسع ، وصخب علمي كبير بين الأديان والثقافات الشرقية والغربية والتيارات الفكرية المختلفة سواء كانت تلك التيارات اجتماعية أو حقوقية أو قانونية ، ومن هذه التيارات تيار العلمانيين من المسلمين أو المتعلمنين من المسلمين أو العلمانيين من الغرب ، ومن المعلوم أن للعلمانيين أمواجاً مختلفةً، وأن هذه الأمواج ليست على وتيرة واحدة، والآيات التي ذكرناها تثبت خلود الإسلام وعالميته.

المجتمعات العلمانية لم تُطلّق الدين طلاقاً مؤبداً

وما نريد أن نشير إليه هنا أن المجتمع الغربي أو مجتمع جنوب شرق أسيا كاليابان،وهي مجتمعات تعتمد على المؤسسات المدنية، ويعبر عنها بالمجتمع

١- الأحزاب (٣٣): ٤٠.
٢- آل عمران (٣): ١٩ .
٣- آل عمران (٣): ٨٥ .

المدني ، أن هذه المجتمعات وإن كانت علمانية إلاّ أنّها لم تُطلّق الدين طلاقاً مؤبداً ، وأنّهم حفظوا ـ ولو بالشكل ـ موروثهم الحضاري الثقافي الديني كل بحسب دينه سواء كانوا في اليابان أو في الهند أو في أوروبا المسيحية ؛ وذلك لأن طبيعة المجتمعات البشرية تجعل منها مخزناً تختزن فيه الموروثات الحضارية ، ومن المستحيل أن يبدأ مجتمع بشري من الصفر، بل لا بد أن يرث من الأمم السابقة ما يرث، فنحن نلاحظ أن العلمانيين الغربيين أسماؤهم أسماء مسيحية ، وتكون عندهم إلى جانب القوانين المدنية قوانين كنائسية ، وكذلك أُصول التقنين الغربي متأثّرة بالتقنين المسيحي ، فإذاً هؤلاء العلمانيون الغربيون لم يطلّقوا الدين طلاقاً مؤبداً ، ولكنّهم حاولوا أن يمزجوا بين الموروث القديم وما ابتكروه من قوانين ، ومما يدلّل على كلامنا هذا هو أن الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب عندما شن حرب الخليج الثانية كان يستنجد بالكنيسة واسم الرب وما شابه ذلك ، وكذلك استخدم جورج بوش الابن تعبير "الحرب الصليبية" بعد الهجوم على نيويورك وواشنطن ، وهذا ما نشاهده عند اليابانيين أصحاب الديانة البوذية ، حيث إنّهم لم يطلّقوا ديانتهم طلاقاً مؤبداً .

الدين واحد والشرائع متعددة

من الأخطاء الشائعة في الصحافة والإعلام وبين عامة الناس هو تعبير "الأديان" ، فنسمع عن حوار الأديان ، والبحث عن أوجه الاختلاف أو التلاقي بين هذه الأديان ، وهذا ما يتعارض مع المفهوم القرآني والمفاهيم التي جاءت بها الأحاديث الشريفة ، حيث إن المفهوم القرآني يؤكّد على أن الدين واحد وليس متعدد ، فتكون النتيجة أن تعبير "الأديان" تعبير خاطىء ؛ لأنّه يتعارض مع الطرح القرآني.

وكذلك ينبغي التفريق بين مصطلحات "الدين والشريعة والملّة والمنهاج" التي وردت في القرآن الكريم ، ولابد من تعريف هذه المصطلحات قبل الخوض في البحوث المقبلة ؛ لأن الكثير من الناس يستخدم الدين كمصطلح مرادف للشريعة ، وهذا من الاستخدام اللغوي والديني الخاطىء.

الدين: عبارة عن مجموعة من أُصول اعتقادية ، وأُصول معارف كونية ، ويضم اليه أركان الفروع ، ويضم إلى الفروع الآداب.

الشريعة: الشريعة تختلف عن الدين؛ لأن الإسلام اسم للدين وليس للشريعة . وتسمى الشريعة المحمدية(صلى ا عليه وآله) ، كما توجد شريعة موسوية ، وشريعة عيسوية ، وشريعة نوحية ، وشريعة إبراهيمية.

والشريعة لغةً هي الضفّة الجانبية المتفرعة من رافد النهر ، وهذا ما يحدثنا به أرباب المقاتل عندما يتحدثون عن العباس حين استقى الماء من الشريعة.

قال ابن منظور في لسان العرب: "والشرعة والشريعة في كلام العرب : مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون"(١) .

الأُسس هي منطقة الدين ، أُصول الاعتقاد وأُصول المعارف هي التي تمثّل دائرة الدين ، أما الدائرة التي هي أكثر تشعباً وأكثر ترامياً وأكثر بعداً عن المركز هي دائرة الشريعة ، وتشتمل على تفاصيل الأحكام والقوانين.

قال تعالى: **{لِكُلّ جعلْنَا منْكُم شرعةً ومنْهاجاً}**(٢) .

ولم يستخدم تعبير "لكل جعلنا منكم ديناً ومنهاجاً" ؛ وذلك لأن الدين واحد. فدين نوح وإبراهيم وموسى عيسى ومحمد هو دين واحد ، وأصحاب الشرائع هم

١- لسان العرب ٧: ٨٦، مادة "شرع".

٢- المائدة (٥): ٤٨.

الأنبياء أولوا العزم ، وهذا ما ورد عن المعصومين حيث وصفوهم بأنّهم أصحاب شرائع ، وليس أصحاب أديان متعددة ، بل بعثوا بدين واحد(١) .

النسخ يقع في الشرائع ، ولا يقع في العقائد

هل يعقل أن يأتي آدم(عليه السلام) بدين وعقائد حقّة ، ثم تكون هذه العقائد مؤقّتة بزمن معين ، فيأتي نوح(عليه السلام) وينسخ العقائد التي أتى بها آدم ، ثم يأتي إبراهيم وينسخ العقائد التي أتى بها نوح(عليه السلام) وهكذا؟!

إن هذا أمر لا يعقل ؛ لأن الدين عبارة عن رؤى كونية ، وإذا كانت هذه الرؤى الكونية صادقة فهي غير قابلة للتبديل والتغيير.

فيستحيل نسخ التوحيد أو المعاد أو النبوة ، وإنّما يقع النسخ في الشرائع.

بل حتّى أركان الفروع هي من الدين ولا يقع عليها النسخ ، فأصل وجوب الصلاة والزكاة ثابتة في شريعة كلّ نبي ، قال تعالى على لسان عيسى :

{وَأوصاني بِالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً}(٢).

وكذلك الحج فكلّ الأنبياء حجوا بيت ا الحرام ، وكذلك الجهاد والصوم.

نعم ، قد يختلف شكل الصلاة أو الصيام ، ولكن أصل وجوبها ثابت في كلّ الشرائع ، وهذا ينطبق على المحرمات وتحريم الفواحش كالزنا والخمر ، فأصل تحريم الفواحش ثابت في كلّ الشرائع وإن اختلفت سعة وضيقاً ، حتّى أُصول أحكام الأسرة والزوجية والتعاقد التجاري وتحريم الربا ؛ ولذلك فإن ا تعالى يندد بالمجتمع اليهودي ؛ لأنّه يتعامل بالربا.

١- الفصول المهمة ١: ٤٢٨، الحديث ٥٨٧.

٢- مريم (١٩): ٣١ .

قال تعالى: **{وَأَخْذِهِم الربا وقَد نُهوا عنْه}**(١). وتحريم الربا يدخل ضمن أركان أُصول التشريع، وهذه الأركان تدخل ضمن إطار الدين وليس الشريعة.

قال تعالى: **{وَأَنزلْنَا إِلَيكَ الْكِتَاب بِالْحق مصدقاً لِما بين يديه من الْكِتَابِ ومهيمناً علَيه}**(٢).

فصاحب الشريعة اللاحقة لا يكذّب دين صاحب الشريعة السابقة ، بل يصدقه في منطقة دائرة الدين من حيث إن الدين واحد لا يتعدد.

قال تعالى **{إِن الدين عنْد ا ـ الْإِسلَام}**(٣).

ومفهوم هذه الآية لا يقتصر على أن الدين بعد محمد(صلى ا عليه وآله) هو دين الإسلام ، بل مفهومها يشمل كلّ الأزمان من لدن آدم إلى يوم القيامة، فالدين عند ا الإسلام منذ بدء الخليقة .

قال تعالى: **{فطْرةَ ا ـ التي فَطَر الناس علَيها لاَ تَبديلَ لِخَلْق ا ـ ذَلِك الدين الْقَيم}**(٤).

فالدين لا يقبل النسخ . نعم ، قد تزداد معارف نبي عن نبي آخر ، وأكملها وأوسعها وأعمقها ما بعث بها النبي الخاتم(صلى ا عليه وآله) لمنزلته من القرب الإلهي حيث إن الإحاطة التي زود بها(صلى ا عليه وآله) ، والرؤى الكونية التي يمتلكها أوسع ممن سبقه من الأنبياء.

قال تعالى: **{وَأَنزلْنَا إِلَيكَ الْكِتَاب بِالْحق مصدقاً لِما بين يديه من الْكِتَابِ ومهيمناً علَيه}**(٥) .

١- النساء (٤): ١٦١ .
٢- المائدة (٥) : ٤٨ .
٣- آل عمران (٣): ١٩ .
٤- الروم (٣٠): ٣٠ .
٥- المائدة (٥): ٤٨ .

فالقرآن الكريم مهيمن على ماسبقه من كتب؛ لأن فيه من المعارف الجمة مالم يتعرف عليه من خلال الشرائع السابقة . نعم ، الدين في حالة تبلور وتجلّي أكثر من قبل السماء إلى البشرية، هذا صحيح ومقبول ، أما أن نقول بوجود النسخ في الدين فهذا مستحيل ؛ لأنّه متعلّق بالعقائد كما مر ، ولا يقع النسخ إلاّ في الشرائع ، وذلك حسب الظروف والبيئات.

آيات قرآنية تدلّ على أن الدين واحد

قال تعالى: **{شَرع لكُم من الدينِ ما وصى به نُوحاً والذي أَوحينَا إليك وما وصينَا به إبراهيم وموسى وعيسى أَن أَقيموا الدين ولاَ تَتَفَرقُوا فيه}**(١).

وقال تعالى: **{قُلْ إنني هداني ربي إلى صراط مستَقيم ديناً قيماً ملةَ إبراهيم حنيفاً وما كَان من الْمشْركين}**(٢).

وقال تعالى على لسان إبراهيم ويعقوب: **{ووصى بِها إبراهيم بنيه ويعقُوب يا بنى إن ا َ اصطَفَى لكُم الدين فَلا تَموتُن إلا وأَنْتُم مسلمون}**(٣).

وقوله تعالى على لسان السحرة بعد أن تابوا وواجهوا فرعون: **{ربنَا أَفْرِغْ علَينَا صبراً وتَوفنَا مسلمين}**(٤).

وقوله تعالى على لسان يوسف(عليه السلام) : **{تَوفني مسلماً وأَلْحقْني بِالصالِحين}**(٥) .

وقوله تعالى: **{قُولُوا آمنا بِا ِ وما أُنزِلَ إلَينَا وما أُنزِلَ إلَى إبراهيم وإِسماعيلَ وإِسحاقَ ويعقُوب والأَسباط وما أُوتى موسى وعيسى وما أُوتى النبِيون من ربهِم لاَ نُفَرقُ بين أَحد**

١- الشورى (٤٢): ١٣ .
٢- الأنعام (٦): ١٦١ .
٣- البقرة (٢): ١٣٢ .
٤- الأعراف (٧): ١٢٦ .
٥- يوسف (١٢): ١٠١ .

منْهم ونَحن لَه مسلمون}(١) .

الدين عند ا   الإسلام بصورة مطلقة عند كلّ الأنبياء ، كما هو واضح في الآيات المتقدمة.

الشريعة والدين وقضية الغدير

نشير إلى هذه القضية وإن لم تكن من صلب الموضوع إلاّ أنّها ثمرة من ثمار التفريق بين الشريعة والدين ، وجدير بنا أن نجني هذه الثمرة .

قال تعالى: **{الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نعمتي ورضيتُ لَكُم الإِسلام ديناً}**(٢) .

وبناء على ما ذكرنا من الفرق بين الدين والشريعة يتّضح أن هذه الآية النازلة في قضية الغدير وفي ولاية علي(عليه السلام) ، تجعل قضية الإمامة وتنصيب علي(عليه السلام)تحت مظلّة الدين وليس تحت مظلّة الشريعة ، وهذا يدلّ على أن الإمامة من أُصول الدين وليس من فروع الدين ، وأن إمامة علي(عليه السلام) كانت من صلب الدين الذي بعث به الأنبياء ؛ لأنّهم جميعاً بعثوا بدين الإسلام ، كما أثبتنا من خلال الآيات السابقة ومن خلال قوله تعالى: **{إِن الدين عنْد ا ـ الإِسلام}**(٣) .

الدين عند ا   الإسلام بصورة مطلقة عند كلّ الأنبياء ، كما هو واضح في الآيات المتقدمة .

والذي هو عند كلّ الأنبياء السابقين وليس عند النبي محمد(صلى ا   عليه وآله)لوحده كما مر سابقاً.

١- البقرة (٢): ١٣٦ .
٢- المائدة (٥): ٣ .
٣- آل عمران (٣): ١٩ .

إذاً تكون النتيجة أن ولاية علي(عليه السلام) من صلب الدين الذي بعث به كلّ الأنبياء السابقين.

ونستنتج أيضاً أن الدين من دون ولاية علي(عليه السلام) غير مرضي عند ا ؛ لقوله تعالى: **{ورضيتُ لكُم الإِسلاَم ديناً}**(١). ومن غير المعقول أبداً أن يبعث الأنبياء بدين غير مرضي عند ا .

وقد جاءت الروايات الكثيرة التي تؤكّد أن ولاية علي(عليه السلام) قد بعث بها الأنبياء السابقين(٢) .

وولاية علي لم تر الوجود في يوم الغدير ، وإنّما هي موجودة قبل ذلك ، وإنّما أظهرت وأبرزت في ذلك اليوم ، كما أن التوحيد موجود قبل محمد(صلى ا عليه وآله) ، ولكن أظهر وأبرز ببعثته(صلى ا عليه وآله) ، فكذلك كانت قضية الغدير.

وقوله تعالى: **{يا أَيها الرسولُ بلغْ ما أُنزلَ إِليك من ربك وإن لم تَفْعلْ فَما بلغْتَ رسالَتَه}**(٣).

وهذه الآية أيضاً تدلّ على أن الإمامة ركن ركين من الدين وليست قضية ثانوية في الشريعة ؛ لأن عدم التبليغ بإمامة علي(عليه السلام) تساوي عدم تبليغ الرسالة بأكملها كما تنص الآية.

آية المودة وقضية الإمامة

وقال تعالى: **{قُلْ لا أَسأَلُكُم عليه أَجراً إِلا الْمودةَ في الْقُربى}**(٤) . الضمير "عليه"

١- المائدة (٥): ٣ .
٢- الاختصاص ١٢ : ٢٥٠ .
٣- المائدة (٥): ٦٧ .
٤- الشورى (٤٢): ٢٣ .

راجع إلى الإسلام على رأي بعض المفسرين(١) أو راجع إلى الجهد والمعاناة التي عاناها النبي(صلى ا عليه وآله) في تبليغ الرسالة الإسلامية.
مودة أهل البيت(عليهم السلام) جعلت أجراً للرسالة ، والأجر هو العدل أو المعاوضة ، فيكون عندنا عوض ومعوض ، وينبغي أن تتوفّر المساواة بينهما ، فليس من الصحيح أن تشتري جوهرةٌ ثمينةٌ بثمن بخس .
فإذا كانت مودة أهل البيت(عليهم السلام) في كفّة والكفّة الأخرى فيها الإسلام أو معاناة الرسالة التي قيمتها بلحاظ نفس الدين، إذاً نستنتج من الآية بأن المودة لأهل البيت(عليهم السلام) ليست من الشريعة ، بل هي ركن ركين من أصول الدين ؛ لأن أجر الرسالة ليس من المناسب إدراجه في الشريعة ، وا هوالذي أعطى هذا المقام لأهل البيت(عليهم السلام) ، وعندئذ لا محلّ لاتهام الشيعة بالغلو في أهل البيت(عليهم السلام) ؛ لأن ا هو الذي وضعهم في هذا الموضع الرفيع ، وا ينهى عن الغلو ، فإذا وضعهم ا في الموضع الرفيع فإن هذا الموضع ليس من الغلو في شيء .
وهذه المودة مخصوصة بالمعصومين الأربعة عشر ، ولا تشمل جميع السادة ـ أبناء الرسول(صلى ا عليه وآله) ـ وإن كان يترشّح منها الاحترام لهم والتقدير .

١- الميزان في تفسير القرآن ١٨: ٤٢ .

المحاضرة الثانية

المدارس الغربية الحديثة التي واجهت الكنيسة

وتحكّم رجال الدين المسيحيين

محاور المحاضرة:

أولا : الأجواء التي نشأت فيها العلمانية.

ثانياً : مدرسة العلمانية " السكولارزم " ـ فصل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية ـ " مدرسة فلسفية " .

ثالثاً : مدرسة " البلوري ألسم " ـ تعدد الإدراك " مدرسة منطقية " .

رابعاً : مدرسة الهرمونطيقية ـ تعدد القراءات ـ " مدرسة أدبية " .

الأجواء التي نشأت فيها العلمانية

في البداية نستعرض لمحة تاريخية عن علاقة أوروبا بالمسيحية والعلمانية .

دخلت أوروبا الغربية في الدين المسيحي في القرن الثاني الهجري ، أي: السادس الميلادي .

وهذا أمر مؤسف ، ووجه الأسف ليس الانتقال من الوثنية إلى المسيحية ، وإنّما وجه الأسف هو أن الدين الإسلامي وهو في ريعان شبابه فاتته فرصة إدخال هؤلاء القوم في الإسلام ، وكانت النتيجة أن احتضن المسيحيون المبشّرون الذين انطلقوا من الروم أو اليونان إلى أوروبا الغربية لدعوتهم إلى الدين المسيحي ،

واستمر الدين المسيحي بقوة في تلك البلدان إلى أن وصل إلى القرن الثامن عشر الميلادي ، وفي هذه الفترة بدأت تعلو الصيحات الثورية على غطرسة الملوك والنظم السياسية الغربية التي كانت تحرق الطبقات الفقيرة بنار الفقر وسطوة الاضطهاد ، وفي هذا الجو ظهرت التيارات المعادية لهذه الأنظمة .

وتحالف الملوك ورجال الكنيسة ، فرجال الكنيسة يعطون الملوك الشرعية فيما يعملون ، والملوك يدعمون رجال الكنيسة بنفوذهم ، وأمام هذا التحالف بدأت قوى إصلاحية تعتمد على مواجهة الملوك وتحطيم شرعية الكنيسة المتحكّمة في المجتمع آنذاك ، فبدأت عمليات تنظير عديدة ، وإن لم تنتج عن انفصال أبدي للدين كما قلنا سابقاً ، إلاّ أنّها كانت تستهدف الحد من هيمنة الدين المسيحي على المجتمع .

وعدم حدوث الانفصال الأبدي هو أن سر الخلقة مرتبطة بالجانب الروحي والغيبي ، وأن الدين حتّى وإن حرف يكون قابلا للتأثير في المساحة غير المحرفة منه ، حتّى الديانات الهندية قد يكون بعضها لها أُصول سماوية ؛ لأن الأنبياء كانوا منتشرين في بقاع العالم قال تعالى: **{وإن من أُمة إلا خلا فيها نَذير}**(١).

حتّى بعض أصول البوذية تتوافق مع الديانات السماوية الأُخرى، وهذا ينطبق على بعض الديانات الموجودة في شرق آسيا.

وفي هذه الأجواء تبلورت ثلاث مدارس فكرية تأثّر بها المتّفقون والجامعيون المسلمون ، ونتج عن هذه المدارس ما نسميه بالعلمانية.

والعلمانيون الغربيون يتنبؤون بسقوط الدين الإسلامي،كما سقطت المسيحية. ونحن نقول لهم إن المسيحية لم تسقط،وإنّما سقط التحالف بين رجال الكنيسة

١- فاطر (٣٥): ٢٤ .

الذين كانوا يبحثون عن مصالحهم الدنيوية والطبقات الإقطاعية متمثّلة في ملوك الظلم والاضطهاد.

المدرسة الأولى: العلمانية "السكولارزم" فصل الدين عن السياسة والمجتمع

وهي مدرسة فلسفية أيديولوجية تبنّاها مجموعة من فلاسفة القانون والحقوق والسياسة ، ولهذه المدرسة عدة اتجاهات ، ولكنّها تعتمد أساساً على نظرية فصل الدين عن النظام السياسي والاجتماعي ، وأن الدين عبارة عن طقوس عبادية ورياضات روحية ، هدفها إشباع الظمأ الروحي عند الإنسان ، فالروح لها برنامجها الخاص ، والدين معترفٌ به بهذا المقدار في هذه المدرسة ، سواء أكان هذا الدين دين سماوي حقيقي أم كان دين خرافي زائف ، وهذه النظرية لا يعنيها حقّانية الدين أو بطلان إلاّ أنّها ترى أنّه ضروري لإشباع حاجات الإنسان الروحية ، وكلمة "سكولار" تعني باللاتينية "الفصل" ؛ لأن هذه النظرية تفصل الدين عن باقي الأُمور السياسية والاجتماعية والنظام المالي وغيره.

ولازالت هذه النظرية لها تأثيرات فكرية إلى يومنا هذا بالرغم من مرور قرنين من الزمان عليها ، والنظام الغربي الحالي ينتمي إلى هذه المدرسة .

المدرسة الثانية: نظرية التعددية "البلوري ألسم"

وهي مدرسة منطقية وليست مدرسة فلسفية ، وتعتمد على منهج الإدراك وكيفية استقاء المعلومات ، والمناهج المنطقية القديمة والحديثة ، والغربية والشرقية ، والمادية وغير المادية ، جميعها تهتم بكيفية الإدراك ونظم المعلومات والاستنتاج من تلك المعلومات .

تعتمد هذه النظرية على أساسين :

١ ـ إن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالحقيقة بمفرده.

٢ـ إن الإنسان وإن قدر على إدراك بعض الحقيقة ، ولكن لا يستطيع إدراكها كلّها .

العلماء جميعاً يبحثون عن الحقيقة ، سواء كانوا من العلماء الذين يؤمنون بالغيب أو كانوا من العلماء الماديين ؛ لأنّهم يؤمنون بالعلوم التجريبية بحثاً عن الحقيقة .

القائلون بهذه النظرية يقولون بما أنّك لا تستطيع أن تدرك الحقيقة بمفردك ، وأنّك إذا أدركت بعضها لا تدركها كلّها ، إذاً فالآخرين أيضاً يمتلكون سهماً من الحقيقة ، فالحقيقة أشبه ما تكون بالشركة المساهمة بعض أسهمها عندك والأسهم الأخرى عند الآخرين ، ومن هنا لا يحق لك أن تخطّىء الآخرين ، وتفنّد آراءهم من منطلق تعدد الإدراك ونسبية إدراك الحق أو الحقيقة ، فكل رأي من الآراء ـ في نظرهم ـ يجب أن يكون في دائرة الاحتمال ، وهناك من تأثّر بهذه النظرية ، فقال: إن كلّ الأديان حق ، وكلّها توصل إلى ا تعالى ، بحجة أن الإسلام أو نبي الإسلام لا يملك كلّ الحقيقة ، ومن هنا قبلوا بتعدد الأديان ، وأنّها كلّها حق .

وهذه النظرية تكون مفيدة إذا وضعت لها شروط ، وقيدت بقيود معينة ، أما تركها على إطلاقها فذو نتائج سلبية مهلكة ، وعلى سبيل المثال فسح المجال أمام الشذوذ الجنسي بعنوان الحرية ، وتعدد الآراء ، فتكون النتيجة أنّك لا تستطيع أن تمنع هذه الحالة ؛ لأنّك لا تملك الحقيقة ، وإذا عرفت شيئاً منها فإنّك لن تحيط بها كلّها وهذه النظرية تجتاح الكثير من المباحث ، فهناك من يؤمن بالاستنساخ للفرد البشري رغم مضاره الجمة بالحجة نفسها ، والجدير بالذكر أن لكلّ نظرية عدة اتجاهات ولها منظورها وآراؤها وفرقها ، ولكن نحن نركّز على الفكرة الرئيسية

لكلّ مدرسة من هذه المدارس.

المدرسة الثالثة: المدرسة الهرمونطيقية

وهي مدرسة أدبية تختلف عن مدرسة العلمانية "السكولارزم" الفلسفية والتعددية "البلوري ألسم" المنطقية ، وهذه المدرسة تعني بالعلوم النقلية وكيفية قراءة وفهم النص ، سواء كانت نصوص سماوية كالتوراة والإنجيل والقرآن ، أو كان نصاً بشرياً .

وكان رواد هذه المدرسة فلاسفة من آلمان متخصصون في الألسنيات وعلوم اللغة.

وعلى المستوى السياسي هناك تأثير كبير في مجريات الأحداث جراء التأثّر بهذه النظرية ، فمثلا : لو أصدرت منظمة الأمم المتحدة بياناً تدعم فيه العرب والمسلمين ، ثم أتى بعض المتخصصين اليهود ، وحاولوا قراءة النص قراءةً تدعم مصالحهم معتمدين على تعدد القراءات .

والفرق بين هذه المدرسة ومدرسة التعددية "البلوري ألسم" هو أن المدرسة الهرمونطيقية تعتمد على تعدد القراءات للنص ، بينما التعددية "البلوري ألسم" تعتمد على تعدد الإدراك .

والمدرسة الهرمونطيقية ترفض القراءة الفردية للنص ، وهي تتعامل مع النص كما تتعامل مع اللغز الذي له العديد من الحلول ، فتسمح بقراءة النص من القراءات المتعددة ، وتقبل كلّ هذه القراءات ، ونقصد من القراءات هنا الدلالات والاستظهارات والاستنباطات والأفهام .

ومن هنا ترفض هذه المدرسة رفضك لأي رأي من الآراء،فربما فهمت أنت شيئاًمعيناً من قراءتك،وتكون لصاحب الرأي قراءةمختلفةعن قراءتك يستطيع

من خلافها أن يبرر ما تنتقده أنت .

ولهذه النظرية ثمار إيجابية ومهمة جداً وإن لم تكن جميع هذه الثمار إيجابية إلاّ أن بعضها مفيد ونافع ، وهذه النظرية معترف بها في المحافل الأكاديمية والبحوث الجامعية والعلوم الإنسانية .

وتقول هذه النظرية : إن المعنى هو وليد ذهن القارىء والسامع وليس وليد ذهن المتكلّم والكاتب ، وبناء على هذا فمن حق الإنسان أن يعدد القراءات للنص الواحد ، فمثلا : قراءة التوراة والإنجيل والقرآن أو قراءة قانون معين أو قراءة الدستور نجد في كلّ هذه الأمور جدلا سياسياً وقانونياً محتدماً في تفسير النص بين الأحزاب والمجموعات في البلد الواحد ـ فضلا عن الدول المختلفة ـ وكلّ منها يدعي الوصل بليلى ، ويجر النار إلى قرصه ، ويدعي أنّه على حق،ويفسر النص،ويقرأه حسب ما يتطابق مع مصالحه ومشتهياته.

الأثر الإيجابي للمدرسة الهرمونطيقية على النقد الأدبي

وظيفة الناقد الأدبي هي تحليل النص الأدبي بتوسط علوم اللغة ، وطبعاً لا يقتصر على المفردات ، وإنّما يشمل النحو والصرف والبلاغة والاشتقاق اللغوي وغيرها ، سواء كان هذا النقد في اللغة العربية أم غيرها .

ويستطيع الناقد الأدبي أن يستخرج من قصيدة شعرية أو نص نثري في زمان غابر ـ العصر الجاهلي على سبيل المثال ـ البيئة الجغرافية التي كان الشاعر يعيش فيها ، والجو النفسي والمحيط الاجتماعي والنظام السياسي والعادات والتقاليد في ذلك المجتمع ، والنظام الأسري فيه والحقائق التاريخية وغيرها ، ومن هذا العمل يستطيع الناقد الأدبي أن يخدم علوماً عديدة ، ويقدم لها معلومات مفيدة في هذا المجال ، كلّ هذا يتم من خلال التحليل الأدبي الذي يقوم به الناقد ، ووظيفة هذا

الناقد شبيهة بعمل عالم الآثار الذي يستطيع من خلال القطعة الأثرية أن يحدد الزمان الذي تنتمي إليه هذه القطعة من خلال الأدلة والبراهين التاريخية .

هذه بعض إيجابيات هذه النظرية ، ولا يعني كلامنا هذا أن هذه النظرية خالية من السلبيات . نعم ، هناك بعض السلبيات التي سنذكرها لاحقاً .

وتعدد القراءات شبيه بالتأويل الذي يقول به أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)وإن كان مرفوضاً من قبل المدارس الإسلامية الأخرى ، فالتأويل هو نوع من تعدد القراءات ، وهو أمر إيجابي إذا كان خاضعاً لضوابط وقوانين تحكمه ، أما إذا كان بشكل عشوائي وغير مستند إلى البراهين والأدلة ، وكان بشكل سائب ، يكون بلا شك أمراً سلبياً مضراً بفهم النص.

فتعدد القراءات هو تجاوز القشور في النص ، والغوص في أعماق النص كي يستخرج منه المعاني المكنونة في بواطنه .

نعم ، البعض يرمي مذهب أهل البيت(عليهم السلام) أنّه مذهب باطني وغنوصي ؛ لأن هؤلاء يرفضون فكرة التأويل جملة وتفصيلا ، وهذا خطأ.

نعم ، لو طالب هؤلاء بإيجاد أُسس وموازين لهذا التأويل لاتّفقنا معهم ، وهؤلاء يقرون بجدارة المدرسة الهرمونطيقية ، ولكنّهم حين يأتون إلى التأويل يرفضونه مع أن الأمرين يحملان نفس المعنى ؛ ولهذا فهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم .

والتأويل مثبت في القرآن الكريم ، قال تعالى:

{هو الذي أَنْزلَ عليك الْكتَاب منْه آياتٌ محكَمَاتٌ هن أُم الْكتَابِ وأُخَر متَشَابِهاتٌ فَأَما الذين في قُلُوبِهم زيغٌ فَيتبِعون ما تَشَابه منْه ابتغَاء الْفتْنَة وابتغَاء تأْويله وما يعلَم تأْويلَه إِلا ا ُ والراسخُون في الْعلْمِ يقُولُون آمنا بِه كُل من عنْد ربنَا وما يذكر إِلا أُولُوا الأَلْبابِ}(١) .

١- آل عمران (٣): ٧ .

الغريب أن البعض ينفي التأويل بصورة كلية، وهذا يتناقض مع الحديث القائل بأن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق .

ورفض التأويل بهذه الطريقة هو تحجيم للنص القرآني ، حيث تكون القراءة مقتصرة على الظاهر والقشور.

قال تعالى:

{فَلا أُقْسِم بِمواقِع النجومِ* وإِنه لَقَسم لَو تَعلَمون عظيم* إِنه لَقُرآن كَرِيم* في كتَاب مكْنُون* لاَ يمسه إِلا الْمطَهرون* تَنزِيلٌ من رب الْعالَمين}(١) .

فالقرآن يصرح بأن له حقيقة مكنونة ، ولا يمسه إلاّ المطهرون ، ولم يقل تعالى : المتطهرون ، بل قال: المطهرون ، وهم الذين طهرهم ا تعالى ، حيث قال :

{إِنما يرِيد ا ُ لِيذْهب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيت ويطَهركُم تَطْهِيراً}(٢) .

فدرجات القرآن ليست واحدة ، قال تعالى:

{بلْ هو قُرآن مجِيد* في لَوح محفُوظ}(٣) .

مجيد ، أي : ذو مجد وعظمة ، أي : له درجات غيبية في لوح محفوظ عن أن يناله الإنس والجن .

وقال تعالى متكلّماً عن القرآن الكريم:

{بلْ هو آياتٌ بينَاتٌ في صدورِ الذين أُوتُوا الْعلْم}(٤) .

فهل من المعقول أن تحلّل القصيدة تحليلا عميقاً ، وأن تقف عند قشور القرآن بحجة رفض التأويل؟!

١- الواقعة (٦٥): ٧٥ ـ ٨٠ .
٢- الأحزاب (٣٣): ٣٣ .
٣- البروج (٨٥): ٢١ ـ ٢٢ .
٤- العنكبوت (٢٩): ٤٩ .

المحاضرة الثالثة
إثارات العلمانيين الغربيين حول الإسلام

محاور المحاضرة :

أولا : شبهة أن النبوة نوع من النبوغ البشري.

ثانياً : شبهة أن النبي لا يملك الحقيقة.

ثالثاً : شبهة أن توقف النبوة تعني نضوج البشرية واستغناؤها عن السماء.

في البداية نود أن نذكر أن الدين الإسلامي أقوى من هذه الإثارات والإشكالات ، وأنّه لا يزداد إلاّ قوة ونصاعة وثباتاً بعد هذه الرياح التي تهب عليه من هنا أو هناك .

البعض ينظر إلى الدين على أنّه أسطورة ليس إلاّ ، والبعض يرتاح إلى الدين ، ليس إيماناً منه بأنّه منزل من عند ا ، ولكن لأن الدين يحارب الجريمة ، وينظّم المجتمع .

ومن خلال النظريات والمدارس التي ذكرناها حاول الغربيون أن يوجهوا العديد من الإشكالات على الدين الإسلامي ، وعلى مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ؛ لأنّه المذهب الأكثر تمسكاً بالحجج المنطقية ، وتطابق العلوم الدينية مع العقل والمنطق .

وسنطرح الإثارات ونرد عليها حسب مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، وأما حسب باقي المذاهب الإسلامية فالرد عليها ممتنع ، بل إنّهم يتبنّون نفس المباني التي يثيرها

العلمانيون الغربيون، ويكررها العلمانيون من المسلمين والعرب؛ لأن هؤلاء يطرحون ما يطرحه الغربيون ، وترجع أساساً إلى المدارس التي ذكرناها .

ومن الإثارات المطروحة هي أن الباري سبحانه وتعالى ذاتٌ أزلية غير محدودة في اعتقاد الموحدين الذين يعتقدون بالألوهية ، فذات الباري غير متناهية ، ولا يشك أحد في ذلك من أصحاب الديانات السماوية ، بل وحتّى المشركين يعدون من الملل الإلهية ؛ لأنّهم يقولون بوجود الإله ، وهم لم يبنوا فكرهم على الوثنية إلاّ لأنّهم يقربونهم إلى ا زلفى ، وأما الملحدون الذين يؤمنون بالمادة فكلّ البشر يذعنون بفطرتهم أن هناك حقيقة غير متناهية في الوجود وإن اختلفوا في تسميتها ، والإثارة المطروحة هي :

كيف يمكن للنبي (صلى ا عليه وآله) الإحاطة بكلّ الحقائق ، وهو مخلوق ولا يحيط بالحقائق كلّها ، وأنّنا إذا سلّمنا بكلّ ما قاله محمد(صلى ا عليه وآله) فإن العقل البشري سيصيبه الجمود وتتعطّل عجلة الفكر الإنساني.

وهم يعبرون عن النبوة بأنّها نوع من التجربة البشرية شبيهة برياضة المرتاضين والمتصوفة ، وأن النبوة نوع من أنواع النبوغ البشري ، إذاً فمصدر عظمة الأنبياء هو العقل أو الروح.

والمذاهب الإسلامية الأخرى ـ غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ـ يقولون بأن النبي علومه محدودة في إطار التشريع ، وهذا ما يرويه مسلم بأن النبي(صلى ا عليه وآله) مر بقوم يلقّحون. فقال "لولم تفعلوا لصلح" قال فخرج شيصاً فمر بهم فقال: "ما لنخلكم"؟ قالوا: قلت كذا وكذا ، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم(١) .

١- صحيح مسلم ٤: ١٤٦٤، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، الحديث ٢٣٦٣ .

وهم يقولون في مواضع عديدة بأن النبي اجتهد فأخطأ(١) ، وفي كتب أصول الفقه عندهم يذكرون موارد اجتهاد النبي ثم تخطئته(٢) ، ويذكرون أن القرآن نزل موافقاً لرأي الصحابة ومخطئاً لرأي النبي(صلى ا عليه وآله)(٣) .

ولو حولنا جملة "أنتم أعلم بأمر دنياكم" التي ينسبونها إلى النبي(صلى ا عليه وآله وسلم) إلى التعبير اللاتيني لأصبحت "سكولار" فصل الدين عن الحياة العامة، أو كما يقال:ما وما لقيصر لقيصر،إذاً هذا الطرح موجود في المذاهب الإسلامية الأخرى غير مذهب أهل البيت(عليهم السلام) .

ونستطيع أن نقول أن المذاهب الإسلامية الأخرى تمثّل العلمانية القديمة في محتواها وفي معناها ، وهذه ليست مجرد روايات مذكورة ، وإنّما هم يتبنّونها ويبنون عليها آثار كثيرة .

وفي ذيل هذه الآية: **{وما أَرسلْنَا من قَبلك من رسول ولاَ نَبِى ٍإلا ٍإذَا تَمنى أَلْقَى الشيطَان في أُمنيته فَينْسخُ ا ُ ما يلْقي الشيطَان ثُم يحكم ا ُ آياته وا ُ عليم حكيم}**(٤) .

يرون أن النبي قد تسلط الشيطان على قلبه وروحه ، ثم حكى آيات ليست من عند ا ، وتسمى هذه القضية قضية الغرانيق ، "أفرأيتم اللاّت والعزى ومناة الثالثة الأُخرى وإنهن من الغرانيق العلا وإن شفاعتهم لترتجى"(٥) . وأن قريش قد

١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٨: ٦١ ، كتاب المغاري ، باب ٨١ في حديث كعب ابن مالك .

٢- الإحكام في أصول الأحكام ٤: ٢٢١ فما بعدها ، الاجتهاد بالرأي في مدرسة الحجاز الفقهية: ١١٢ فما بعدها .

٣- صحيح البخاري ١: ٣٠٨ ، كتاب الجنائز ، باب الكفن في القميص الذي يكف ، الحديث ١٢٦٩ .

٤- الحج (٢٢): ٥٢ .

٥- مجمع الزوائد ٦: ٢٤ ، الحديث ٩٨٥٠ .

استبشرت بمداهنة الرسول لها ، فنزل جبرئيل وسدد النبي ، وقال له : إن تلك الآيات آيات شيطانية وليست آيات رحمانية ، القضية ليست مذكورة في كتب الحديث فحسب ، بل توجد في كتب الأصول والتفسير والكلام .

والنص في كتاب البخاري لا يذكر لفظ الغرانيق ، وإنّما يذكر أن الشيطان يلقي في قراءة النبي(صلى ا عليه وآله)(١) ، وإن اختلف النص إلاّ أن المعنى واحد ، والإيمان بهذه الأمور في حق النبي ، يعني فيما يعني الإيمان بالبلاو ري ألسم وتعدد الإدراك ، وأن كلام النبي(صلى ا عليه وآله) ، قد يصيب وقد يخطىء ، وأن النبي لا يدرك كلّ الحقيقة ، وليس له أن يفنّد رأي الآخرين ، وهذا ينتج منه عدم صحة القول بخلود الشريعة الإسلامية ، وكيف تخلد وهي لا تمتلك الحقيقة؟!

ومن ثم يظهر لنا مصطلح عقلنة الخطاب الديني ، وهناك من يطرح نفس الطرح حتّى من وسطنا الداخلي ، ويقولُ : إنّه يحق للعقل أن ينتقد بعض خطوات الأنبياء من باب البلوري السم أو تعدد الإدراك.

وهم يفسرون **{خاتم النبيين}**(٢) ، وقوله(صلى ا عليه وآله): "لا نبي بعدي"(٣) ، أن إرسال الرسل إلى الأمم السابقة إنّما حدث بسبب عدم تأهل تلك الأمم ، وأنّها لم تبلغ سن الرشد ، فلذلك احتاجت إلى نبي يرشدها ، أما الأمم من بعد محمد(صلى ا عليه وآله)فهي قد بلغت سن الرشد ، ولا تحتاج إلى قيمومة ووصاية السماء ، وهي قادرة بواسطة الحوار والمجتمع المدني والديمقراطية والتجارب العملية والانفتاح والحرية على الاستغناء عن السماء وشريعتها ، فيكون خاتم الأنبياء .

وهم يقولون: إن الشريعة لا تعالج الأمور المعاشية والمتعلّقة بالحياة العامة ،

١- صحيح البخاري ٣: ٢٣٨ ، كتاب التفسير، سورة الحج .
٢- الأحزاب (٣٣): ٤٠ .
٣- مسند أحمد ٣: ١١٤ ، الحديث ١٥٣٢ .

فأين قوانين النظم العسكرية والمصارف والبنوك والاقتصاد والإدارة وغيرها؟ وهذا الإشكال وقعت فيه المذاهب الإسلامية الأُخرى وإن هم أنكروا على العلمانيين الغربيين والعلمانيين المسلمين ، بل كفّروهم أو حكموا بضلالهم ، ولكنّهم يتبنّون نفس المعنى وإن اختلف اللفظ ، فهم يتخبطون في فهم قوله تعالى: **{ونَزلْنَا علَيكَ الْكتَاب تبياناً لِكُل شَيء}**(١) بعد أن أقروا أن القرآن ليس تبياناً لكل شيء من اُمور الدنيا ، فبعضهم قال: إن القرآن ليس فيه تبيان لكل شيء من الدين والدنيا ، وإنّما فقط من الدين ، مع أن بعض المفسرين كالمفسر الطنطاوي له تفسير يبين فيه المعجزات العلمية العديدة التي ذكرها القرآن ثم أثبتها العلم بعد عدة قرون.

والذين قالوا : إن القرآن فيه كل شيء من الدين اصطدموا بأن القرآن ليس فيه كل شيء من الدين ، فيقول البعض ـ متوسلا في الخروج من هذه المشكلة ـ : إن السنّة النبوية داخلة في هذا النطاق ؛ لقوله تعالى: **{ما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا}**(٢) ، فتكون السنة النبوية داخلة في تبيان لكل شيء المذكور في الآية الكريمة ، وعندما رأوا أن السنة ليس فيها تبيان لكل شيء ضموا لهما الإجماع باعتبار مصدراً من مصادر التشريع ، وأنّه حجة، ولكن هذا لم يحل المشكلة ، ثم ضموا القياس والظن والرأي(٣) .

ومن هنا فإنّهم وقعوا في مشكلة أن القرآن والسنة ليس فيهما تبيان لكل اُمور الدين ـ فضلا عن الدنيا ـ ففتحوا باب العقول والتجارب البشرية ، وهذا عين ما يدعو إليه العلمانيون ، وهم كفّروا نصر حامد أبو زيد ، ونحن لسنا بصدد تصحيح مسلكه ، ولكن نقول: إن ما طرحه هو تتبنّونه أنتم وإن اختلف اللفظ ، وحكمت

١- النحل (١٦) : ٨٩ .
٢- الحشر (٥٩): ٧ .
٣- روح المعاني ٧: ٤٥٢ ، ذيل سورة النحل (١٦): ٨٩ .

المحكمة الشرعية ببينونة زوجته منه ، وهو يعيش الآن في الغرب .
وهنا نقاط لابد من ذكرها :
النقطة الأُولى: هي وجود الحقيقة ، ولابد من وجود الحقيقة سواء كانت هذه الحقيقة هي حقيقة الحقائق ومحقّق الحقائق وموجد الحقائق ومقرر الحقائق والمثبت للحقائق ، وهو ا سبحانه وتعالى على مبنى الموحدين أو حتّى على مبنى الماديين الذين يؤمنون بأن المادة لها حقيقة أو الذي ولّد المادة له حقيقة وإلاّ لو لم تكن للمادة حقيقة فلم هذه البحوث العلمية الكثيرة ، هل هي بحث وراء سراب أو بحث وراء حقائق؟ طبعاً بحث وراء الحقائق .
إذاً البحث العلمي يجب أن يبحث عن الحقيقة .
النقطة الثانية : أن السير البشري في العلوم التجريبية وإن ازدادت وتيرته بصورة مضاعفة إلاّ أنّه لن يقف عند حد من الحدود وعند درجة من الدرجات .
والنتيجة أن البشر لن يصلوا إلى الكمال العلمي بحسب الواقع والحقيقة ، بل إن البشرية ستظلّ تبحث وتبحث عن الحقيقة ، وهذا دليل على النقص والعجز البشري في بلوغ الكمال ، والحاجة إلى ا جلّ جلاله ؛ لأنّه هو المحيط بكلّ الحقائق ومطلق الوجودات ، ويعلم بكلّ القوانين والمعادلات .
ومن خلال النقطتين السابقتين نستطيع أن نرد بأن البشرية لم تصل إلى مرحلة النضج البشري ، وعدم الوصول هذا يدلّ على الجهل البشري ، وا يعلم إلى أي درجة سيكون الفارق بيننا وبين الأجيال القادمة في التقدم العلمي وأساليب المعيشة .
إذاً البشر لم يصلوا إلى سن الرشد ، ولم يستغنوا عن وصاية السماء ؛ لأنّهم لا يزالون يعيشون المحدودية في التفكير ، ولا يستغنون عن العالم المطلق الذي يحيط بالأدوار الزمنية والعوالم المختلفة وأُصول الخلقة البشرية والموجودات

الأُخرى وأسرارها وكيفية ارتباطها وتأثيرها على بعضها وتأثيرها على الإنسان ، والبشرية لن تصل في يوم من الأيام إلى اكتشاف كلّ أسرار الكون ، ومن هنا تأتي ضرورة النبوة ؛ لأن البشرية غير كاملة ، ومن هنا تحتاج إلى حبل متصل بين الأرض والسماء الذي يحيط بكلّ الأُمور .

المحاضرة الرابعة
مناقشة آراء مدرسة التعددية
"البلوري ألسم"

محاور المحاضرة :

أولا : ما نتّفق مع التعددية "البلوري ألسم"، وما نختلف عليه .

ثانياً : أهمية وجود ضوابط وأدوات في قبول الآخر أو رفضه .

ثالثاً : الإسلام سبق البلوري ألسم في التعددية وقبول الآخر .

رابعاً : كيف يكون الكتاب تبياناً لكلّ شيء .

المدارس الثلاث التي تكلّمنا عنها كلّها تنطلق من قناعات تصب في ضرورة أبدية الدين الإسلامي والشريعة المحمدية من حيث لا تشعر .

سنبدأ بمناقشة المدارس الثلاث ، وأول مدرسة سنناقشها هي المدرسة المنطقية التعددية "البلوري ألسم" لما لها من بريق وجاذبية في الأوساط الثقافية،وهذه المدرسة التي تعتمد في طرحها على أن الإنسان لا يدرك الحق لوحده ، بل يشاركه الآخرون في معرفة الحقيقة ، وأن الإنسان وإن أدرك شيئاً من الحقيقة إلاّ أنّه لا يدرك الحقيقة بشكل يجعله يحيط بها إحاطة كاملة. وهم يقولون: إذا كان ا تعالى هو المحيط بالحقيقة بشكل كامل فذلك لأنّه هو المطلق اللامتناهي ، أما الرسول ـ أي رسول حتّى لوكان محمد(صلى ا عليه وآله) ـ فهو مخلوق ومتناهي ، وهو لا يمتلك الحقيقة لوحده ، ولا يمتلكها بشكل مطلق.

وما تعيشه البشرية من تطور في السير العلمي ناتج من قصورها وحاجتها إلى الكمال المطلق وهو ا تعالى .

وهذه النظرية هي تطوير لنظرية آينشتين النسبية ، وأن الحق نسبي . وهم يطرحون طرحاً فكرياً يتبنّى الرأي القائل بأنّه لا يحق لأحد تخطئة غيره ؛ لأن الحق منتشر ومتوزع ، ولا يحتكره أحد أو جهة معينة .

الرد على هذه الشبهة

أنتم تقولون : إن الحقيقة متفرقة ، وأنّه لا يحق لأحد أن يدعي أنّه يمتلك الحقيقة لوحده ويحيط بها إحاطة كاملة ، وأنتم بهذا تميلون إلى جمع الحقائق من كلّ الأطراف ، وأنّكم ترفضون أن تتوقعوا في جزء من الحقيقة عند هذا الشخص أو ذاك ، وعند هذه الجهة أو تلك ، وأن الإنسان بطبيعته يسير نحو الكمال المطلق ، والبحث عن الحقيقة والكمال المطلق هو ا تعالى ، قال تعالى: **{قُلْ ادعوا ا َ أَو ادعوا الرحمن َأياً ما تَدعوا فَله الأسماء الْحسنَى}**(١) ، فكلّ اسم من أسماء ا يمثّل كمالا من الكمالات الإلهية .

والمنطلق الذي عند القوم هو أنّه إذا ادعى شخص أن الحقيقة كلّ الحقيقة عنده ، والصحيح أن عنده بعضها وبعضها الآخر عند الآخرين ، فستكون النتيجة أنّه سيلغي وينفي جزء الحقيقة عند الآخرين ، وبهذه الطريقة ستضيع الحقيقة أو سيضيع جزؤها الذي عند الآخرين ، وهم في حذر شديد من ضياع بعض الحقيقة عند هذا الطرف أو ذاك ، وأنّه ينبغي على الإنسان أن يبحث عن الحقيقة عند كلّ الأطراف ؛ لكلي يحصل على صورتها الكاملة ، إذاً هم يتّجهون للبحث عن الحقيقة بصورة كاملة من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، ونحن نتّفق معهم في أنّنا يجب أن

١- الإسراء (١٧): ١١٠ .

نبحث عن الحقيقة بصورة كاملة .

ونحن أتباع الطرح الإلهي المقابل للطرح المادي نقول لهم : إن بعض الحقيقة التي يمتلكها هذا الشخص أو ذاك ، وهذه الفئة أو تلك ، غير كافية للوصول إلى الحقيقة بشكل كامل ، والنتيجة هي أنّنا لابد لنا من طريقة تجمع لنا الحقيقة بقدر ما يستطيع الإنسان أن يدركها ، لا الحقيقة المطلقة والعلم المطلق الذي يمتلكه ا تعالى ؛ لأن ذلك مختص به تبارك وتعالى ، وبالتالي فإذا أردنا أن نحافظ على الحقيقة يجب أن لا نبعضها وأن لا نوزعها في هذا الطرف وذاك ؛ كي نحتفظ بها ، ولا تضيع بين هذه الأطراف ، وأنّه لابد من صيغة عقلية ذهنية فكرية تضمن لنا حفظ الحقيقة من الضياع عندما تقسم عند عدة أشخاص أو فئات ، وأن الطرح الذي يطرحونه من توزع الحقيقة عند الفئات أو الأشخاص لا يؤمن لنا الوصول إلى الحقيقة.

وقد ورد في الدعاء: "يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين بالعطية ، يا صاحب المواهب السنية"(١) ، وصاحب المواهب السنية هو صاحب الحقيقة المطلقة التي تفيض الكمالات على الإنسان .

ومن ضمن ما يطرحه العلمانيون الغربيون ، وتبعهم العلمانيون من العرب والمسلمين هو عدم نفي وإلغاء الطرف الآخر باعتبار أنّه يمتلك جزءاً من الحقيقة ، ولكنّنا نقول لهم : إلى أي مدى نعترف بالآخر ، هل نصحح آراءه بشكل مطلق؟ أم نصححها بشكل نسبي؟ وعندما نصححها بشكل نسبي ، ما هي النسبة التي نصححها بها ، هل هي نسبة التسعين في المئة أم العشرة في المئة؟ ثم ماذا نفعل عندما تكون آراء الآخر آراء سراب وليست آراء صواب ، هل نعترف بها بحجة عدم إلغاء

١- المصباح للكفعمي:٦٤٧، الفصل السادس والأربعون فيما يعمل في شهر شوال .

الآخر؟ إذاً فنحن بحاجة إلى وضع ضوابط وأدوات للاعتراف بالآخر .
صحيح إنّني لا أستطيع أن أدعي امتلاك الحقيقة باعتباري إنسان عادي غير معصوم ، والقرآن الكريم والمذهب الإمامي يدعو إلى العقل الجماعي ، قال علي(عليه السلام): "حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء، ويضم إلى علمه علوم الحكماء"(١) ، هذا صحيح لوجود لفظ حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء الناس ، والحديث لم يقل أعقل الناس من جمع أهواء الناس إلى هواه ، ولم يقل أعقل الناس من جمع سفاهات الناس إلى سفاهته ، ولذلك من المفيد أن نضيف إلى علمنا علم الغربيين من حيث التكنلوجيا والتقنيات الحديثة والدراسات العلمية والتعددية السياسية ، ولكن ينبغي علينا أن نترك ما يعتبر من التخلّف في المجتمعات الغربية من الانحلال الخلقي والتفسخ والرقص والمجون التي تضج منها أوروبا والهند واليابان مع كونهم غير مسلمين إلاّ أنّهم يخشون على أنفسهم من شراسة الجنس والإغراء والتحلّل والمجون الذي تصدره أمريكا .
والعقل الجماعي الذي تكلّمنا عنه هو الشورى في المفهوم الإسلامي ، العقل الجماعي وليس الإرادة الجماعية ، ونحن نحترم التعددية في هذا الإطار ، وهي جيدة ومفيدة ، ولكن المهم هو انتقاء الفكر الصحيح عند الآخر ، لا قبوله بشكل مطلق بحجة قبول الآخر والتعددية ، وإذا لم يكن فيه شيء صحيح لا نقبل منه شيء ، وإذا كان يحتوي على نسبة ضئيلة من الصحة لا نقبل غير هذه النسبة الضئيلة ، ونرفض الفكر الخاطىء منها .
ومن الأخطاءالشائعة في هذا الزمان اقتحام الحوارمن قبل أشخاص لايعلمون من التخصص الذي يدور حوله الحوار شيئاً ، فليس من المعقول أن يدير

١- ميزان الحكمة ٤: ١٥٢٥، الحديث ٩٨٦٣.

الحوار الطبي مهندس ميكانيكي ، وينصب هذا المهندس الميكانيكي نفسه حكماً على ذلك الحوار الطبي ، وهو لا يعرف من الطب حتّى أبجدياته .

صحيح أنّه من المهم أن لا يستبد الإنسان برأيه ، وأن من استبد برأيه هلك(١) ، وهذه هي ثقافة الإسلام التي سبق بها التعددية "البلوري ألسم" وإن كانت هذه الثقافة قد شوهتها وجود الحكومات الظالمة المستبدة التي كانت تحكم باسم الإسلام من حيث المظهر والشكل .

والسعي للحصول على تمام الحقيقة يدعونا إلى الانفتاح على الآخرين ، وأن البحث عن الحقيقة يحتاج إلى سلسلة من تجارب البشر حتّى يصلون إلى الحقيقة ، ونحن نعتقد أن ا قد بعث محمداً(صلى ا عليه وآله) قبل أربعة عشر قرناً ، وقد جعله سيد البشرية من حيث الروح والأخلاق والعقل، وقد أعطاه ا مالم يعط غيره ، فقال تعالى **{وإنك لعلى خُلُق عظيم}**(٢)، ويتجلّى لطف اللّه بمحمد(صلى ا عليه وآله وسلم) في سورة الشرح والضحى وغيرهما .

وا قد أعطى محمداً(صلى ا عليه وآله وسلم) قواعد العلوم ، وقد زقّة العلم زقّاً ، وا تعالى يحيط بالحقيقة بصورة غير قابلة للخطأ إطلاقاً ، وبكم وكيف لا يصل إليه البشر في سيرهم العلمي القائم على التجربة في العلوم السياسية والإنسانية والحقوقية وغيرها .

قال تعالى **{ألاَ يعلَم من خَلَقَ وهو اللطيفُ الْخَبِير}**(٣) ، ا يعلم ما خلق من الذرة إلى المجرة ، وهو اللطيف الخبير الذي لا يخفى عليه شيء ، وهذا ليس ادعاء منّا لكي نرفع من شأن محمد(صلى ا عليه وآله) ، بل هذا هو ما أخبر به ا تعالى حيث قال تعالى

١- ميزان الحكمة ٨ : ٣٤٦٤، الحديث ٢١٢٧٢ .
٢- القلم (٦٨) : ٤ .
٣- الملك (٦٧): ١٤.

{وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين}(١) ، وفي هذه الآية لا يقتصر الأمر على التشريع في الكرة الأرضية ، بل يتجاوز إلى الغائبة في السماء والأرض ، حيث توجد في الكتاب المبين وهو القرآن ولكن ليس القرآن النازل ، بل هو القرآن في اللوح المحفوظ.

وقال تعالى: **{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}**(٢).

{وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين}(٣).

{وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}(٤).

{حم* والكتاب المبين* إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين}(٥).

وسنورد معنى الكتاب المبين بصورة مقتضبة ، حيث يقول تعالى **{إنّا أنزلناه}** والتنزيل تخفيف ، كما لو قلنا سننزل هذا المطلب ، أي: سنخفّفه ، لأن حقيقة الكتاب المبين لا تستوعبه الدنيا ، أُصول المطالب الموجودة في الكتاب المبين موجودة في القرآن الكريم المقدس العظيم ، والكتاب المبين هو حقيقة القرآن وعلومه الغيبية بنص سورة الدخان ، ونستدل بها وليس بالرويات ؛ لكي لا تبقى حجة لمن يتّهمنا بالباطنية.

١- النمل (٢٧): ٧٥ .
٢- الانعام (٦) : ٥٩.
٣- يونس (١٠): ٦١.
٤- يس (٣٦): ١٢.
٥- الدخان (٤٤) : ١ ـ ٣.

{حم* والْكِتَابِ الْمبِينِ* إِنا جعلْنَاه قُرآناً عربِياً لَعلَّكُم تَعقلُون}(١) ، أي: جعلا مخَفّفاً يتحمله الوجود الأرضي ، وإلاّ فإنّه في حقيقته ليس عربياً ولا فارسياً ولا إنجليزياً ، وهذا ما نستفيده من كلمة "جعلناه" الواردة في الآية ، وإنّما هو وجود تكويني وحقيقة من الحقائق ، وأما ما هي هذه الحقيقة فهذه بحث آخر لسنا في صدد الخوض فيه .

وقال تعالى **{فَلا أُقْسم بِمواقعِ النجومِ* وإِنه لَقَسم لَو تَعلَمون عظيم* إِنه لَقُرآن كَرِيم* في كتَاب مكْنُون* لا يمسه إِلا الْمطَهرون* تَنزِيلٌ من رب الْعالَمين* أَفَبِهذَا الْحديث أَنْتُم مدهنُون}**(٢).

القرآن يقول هل أنتم مرتابون بهذه الحقيقة ولا تصدقونها .

وهذا القرآن الذي هو تنزيل ونزول ، والنزول هو مقابل الصعود كما هو معروف في اللغة .

والقرآن الكريم ينبئنا أن كثيراً من المغيبات والحقائق موجودة في الكتاب المبين، يقول تعالى **{ونَزلْنَا علَيك الْكتَاب تبياناً لِكُلّ شَيء وهدى ورحمةً وبشْرى لِلْمسلمين}**(٣) .

إن هذا ادعاء كبير ، ومن يستطع في هذا العصر أن يثبت هذا الادعاء أن القرآن فيه كلّ شيء؟

با   عليكم لولم يكن للقرآن قريناً آخر وهم أهل البيت(عليهم السلام) ، كيف يمكننا أن نثبت هذه الحقيقة أمام الأمم الأخرى؟

وقد حاول بنو أمية وبنو العباس أن يحرجوا أهل البيت(عليهم السلام) ، كيف يمكننا أن

١- الزخرف (٤٣): ١ ـ ٣.
٢- الواقعة (٥٦): ٧٥ ـ ٨١ .
٣- النحل (١٦): ٨٩ .

نثبت هذه الحقيقة أمام الأمم الأخرى؟

وقد حاول بنو أمية وبنو العباس أن يحرجوا أهل البيت(عليهم السلام) ، فكانوا يأتون بالعلماء لكي يناقشوا أهل البيت ، وبالتالي ينتصرون عليهم فتقلّ منزلة أهل البيت(عليهم السلام) عند الجماهير ، ولكنّهم فشلوا في هذا الأمر ، وانتصر أهل البيت(عليهم السلام)على جميع المستويات العلمية بما فيها الطب ، والتاريخ يشهد للإمام الصادق والإمام الرضا ، والمقام العالي للإمام الرضا(عليه السلام) هو الذي جعل المأمون ينجذب إلى الإمام الرضا ويجعله ولي العهد ، ولو قرأنا كتاب المجروحين لابن حبان وهو من علماء العامة في ترجمة علي بن موسى الرضا(عليه السلام) لرأيناه يقول: "يروي عن أبيه العجائب"(١) ، وهذا المقام العالي لأهل البيت(عليهم السلام) جعلهم القرين الآخر للكتاب .

١- كتاب المجروحين ٢: ١٠٦ .

المحاضرة الخامسة
مناقشة مدرسة العلمانية
"السكولارزم"

محاور المحاضرة:

أولا : التطور الذي طرأ على المجتمعات الإنسانية.

ثانياً : كيف يبقى الدين ثابتاً مع التطور العلمي والعملي الهائل؟

ثالثاً : ما هي نسبة الثابت والمتغير في حياة الإنسان؟

رابعاً : الباحث العلمي يبحث عن القوانين الثابتة وليست المتغيرة .

قلنا في الحديث السابق إنّنا لا نرفض مدرسة التعددية "البلوري ألسم" بشكل مطلق ، وأشرنا إلى الجوانب الإيجابية ، وذكرنا أنّنا نستنتج من آراء هذه المدرسة استنتاجات تصب في ضرورة النبوة والرسالة ووصاية السماء ، وليست هي ضد هذه المفاهيم كما يتراءى للمطّلع عليها من أول وهلة ، وسنشير إلى تطبيقات هذه المدرسة في المجال السياسي فيمابعد إن شاء ا .

وفي هذا اليوم سنناقش مدرسة العلمانية "السكولارزم" ، وهي أقدم المدارس الثلاث، ولازالت تتطور وتتبلور بصياغات فكرية جديدة وإضافات علمية متعددة . ملخّص إثارات هذه المدرسة ـ وإن كنّا لسنا في مقام استقصاء هذه الإثارات ـ يرتكز على الجانب المتغير في النظام الاجتماعي أو الاقتصادي أو

العسكري أو السياسي أو المالي أو الإداري في حياة البشر ، هذا بالإضافة إلى نظام الأُسرة والفرد ، وطبيعة المعيشة وتطورها من السكن في الكهف ثم الصحراء ثم الغابات ثم الأودية ثم القرية ثم المدينة ، فلو قارنّا معيشتنا في هذا الزمان مع من عاشوا قبل خمسين سنة ـ فضلا عمن عاشوا لقرون ـ لوجدنا أن طبيعة الأُسرة تختلف من حيث المتطلّبات والتعقيدات الحضارية ، وأن طبيعة المشاركة بين الزوج والزوجة اختلفت .

وفي الزمان الماضي لم يكن المال هو الوسيط الاقتصادي ، وإنّما كان عن طريق المقايضة والمبادلة بين بضاعة وأُخرى في فترة من فترات الزمن ، وكان في فترة من الفترات البضاعة السائدة هي النقد ، فمثلا: البلد الذي يكون فيه الشاي هو البضاعة السائدة يكون الشاي هو النقد في ذلك المجتمع ، ثم تحولت هذه الحالة إلى وضعية النقد المالي الذي بدأ بالنحاس ثم بالفضة والذهب ثم النقد الورقي ، والآن تحول النقد الورقي إلى النقد الاعتباري بالشيكات والحوالات وبطاقات الائتمان أو الفيزاكارد كما تسمى ، والنقد الورقي آخذ في الاضمحلال شيئاً فشيئاً .

وهكذا في الجانب السياسي الذي بدأ بصورة قبلية بسيطة ثم تطور إلى نظام الديوان والكتّاب والشرطة والجيش العسكري التقليدي بأسلحته التقليدية ، ولكن هناك فرق شاسع بين هذه الحالة وحالة الحكومات في زماننا المعاصر ، وتشكيل الوزارات والانتخابات والتطور الإلكتروني الذي دخل كلّ المجالات ، وأدوات النظام كذلك فلم يكن في الماضي الفصل بين السلطات الثلاث التشريعية والقضائية والتنفيذية ، ولم تكن القوانين في الأزمنة الغابرة على ما هي عليه في هذا الزمان من التشريعات الثابتة أو الدستور أو التشريعات المتغيرة أو مصوبات المجالس النيابية وغيرها .

والقوى التشريعية تضاهي القوة الفكرية عند الإنسان ، والقوى العسكرية

تضاهي القوة الغضبية الرادعة عند الإنسان ، ووزارات التربية والتعليم تضاهي الإدراك عند الإنسان ، فأصبح جهاز الدولة كإنسان كبير متطور وأعمال الصرافة التي تطورت حتّى أصبح البنك بحد ذاته كدولة مستقلة ، وهذا ما ينطبق على التطور الزراعي والصناعي وغيرهما .

الشبهة التي يطرحونها

كيف يبقى الدين ثابتاً مع كلّ هذا التطور الذي جرى على البشرية؟ ولو لاحظنا نسخ شريعة موسى بشريعة عيسى جاء في فترة لم تكن فيها قفزة تطورية في نظم الحياة ، وهكذا بالنسبة لنوح وإبراهيم ومحمد(صلى ا عليه وآله) ، وإنّما حدثت القفزات والتطورات الهائلة في العصور المتأخرة والأزمنة المعاصرة ، فكيف يبقى الدين ثابتاً مع هذا التطور العلمي؟

فمن باب أولى أن يحدث النسخ في الزمان الحاضر لحدوث التطور الهائل فإن المجتمع لم يعد مجتمع قبائل وعشائر ، بل تحول النظام إلى وطن وجنسية ومواطنة وبطاقة سكّانية وجواز وإثبات هوية وغيرها

وأنا أطرح هذه الإثارات بكلّ صراحة ؛ لأن ديننا دين خالد ، ويستطيع أن يستوعب كلّ الأمور ، عنده قابلية الرد على كلّ الإشكالات ، بل إنّه يمتلك قدرة تلبية العطش البشري ، ونحن لا نعيش في ذلك الزمان الذي ينغلق فيه كلّ قوم على أنفسهم ، وإنّما نحن في زمان أصبح فيه العقل البشري كلّه على طاولة واحدة ، ولا يمكن إخفاء أي شيء .

ومن إشكالاتهم أن النبي قد بعث في مجتمع يغلب عليه البداوة ، ولم يكن في مجتمع حضاري كالفرس والروم ، وهذا الأمر يدلّ على عظمة محمد(صلى ا عليه وآله) الذي استطاع أن يحول هذا المجتمع البدوي إلى مجتمع يحكم العالم ويسيطر عليه ،

وهذا محلّ إعجاب الباحثين والعلماء ، فهم يقولون مع هذا الإعجاب والانبهار بالدور الذي قام به محمد(صلى ا عليه وآله) إلاّ أن المجتمع الذي كان يعيش فيه كان مجتمعاً بدوياً ، ولا يمكن أن نبقى على أحكامه في ظلّ التطور العصري الهائل ، فلا يمكن الاعتماد على البينة والشاهد كما يطرحه الفقه الإسلامي ؛ لأن ملف القضاء في الزمان المعاصر قائم على التحقيقات والاستخبارات القضائية ، وفي باب المرور يأتي المختصون في هذا الاختصاص ليفصلوا الخصومة.

نحن قلنا : إن مدرسة العلمانية "السكولارزم" مدرسة فلسفية ، وهي لا تناقش قدرة النبي محمد(صلى ا عليه وآله) الفردية كما هو الحال في التعددية "الباوري ألسم" ، وإنّما تناقش مسألة المنهج والقانون والدين ، وهم يناقشون البحوث المختلفة في البحوث القضائية والأُسرية والمصرفية ، وفي بحوث الديات والقصاص والحدود ، فهم مثلا : يعترضون على قطع اليد والجلد وغيرها من العقوبات الإسلامية ، ويعتبرونها غير مناسبة للعصر الحاضر ، وينبغي ـ حسب رأيهم ـ التفكير في أساليب رادعة أُخرى لمحاربة الجرائم والجنايات ، وأن العقاب الإسلامي قد أكل الدهر عليه وشرب ، ولا يناسب النظام النفسي والسيكولوجي والاجتماعي الحديث .

والمدرسة الإمامية حاولت عبر عقود عديدة ، ورجالاتها في الحقل العلمي ناقشوا هذه القضايا في جو علمي هاديء بعيد عن التعصب .

الجواب الأول :

أول ما يثار على هذه التساؤلات هو ، هل كلّ ما هو في البيئة التي تحيط بالإنسان بكلّ أنواعها وأشكالها متغيرة أم ثابتة؟

نحن نطرح هذا التساؤل؛ لأن مدرسة العلمانية "السكولارزم" تريد أن تفصل

الدين عن الحياة بكلّ أطيافها بحجة أن البيئة تتغير دون أن تراعي أن هناك ثوابت إلى جانب المتغيرات .

ونحن نطرح سؤالا آخر،وهو ما هي نسبة الثابت والمتغيرفي حياة الإنسان؟ الإنسان منذ آدم وحتّى زماننا هذا هو الإنسان لم يتغير من الناحية الخلقة والبدنية والنفسية والفسلجية ، فالجهاز الهضمي والعصبي ، والدورة الدموية والأعضاء البدنية وغيرها هذه كلّها ثابتة.

الحاجات الإنسانية لم تتغير ، فالإنسان في زمن آدم لديه حاجات جنسية ، ويحتاج إلى نظام الزواج ، والإنسان في زماننا هذا كذلك ، وهو في ذلك الزمان يحتاج إلى الرعي والزراعة من أجل تأمين الجانب الغذائي ، وفي زماننا هذا كذلك ، والبيئة والصيف والشتاء والحرارة والبرودة ، والقوى الشهوية والغضبية والإحساسات والعواطف والقوى الروحية كلّ هذه الأمور ثابتة وليست متغيرة.

الإنسان صاحب عواطف وأحاسيس ، ولا يمكن تهميش هذا الجانب المهم في حياة الإنسان ، كما تنطلق بعض الدعوات التي تدعو لذلك ، فالإنسان يحب ويكره ، وينقبض وينبسط ، ويحزن ويفرح ، وهذا هو الجانب الحيوي في الإنسان ، ولا يمكن أن نفرض الجانب الفكري ، والجانب التربوي يعتمد على الجانب العاطفي والوجداني بدرجة كبيرة ، ولا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنه ، ولا يمكن إخضاعه للفكر بصورة مطلقة .

نحن ذكرنا في المحاضرات الأولى أن الدين هو الدين لا يتغير بين نبي وآخر ، وأن الذي يتغير هو أحكام الشريعة ، فالتوحيد الذي يحتاج اليه الإنسان في الغابة والكهف هو التوحيد الذي يحتاج إليه الإنسان في عصر المعلومات وغزو الفضاء .

التشريع الإسلامي يعالج الجوانب الثابتة في حياة الإنسان، كما أن التشريع يحارب الرذيلة،والرذيلة وإن تطورت في أساليبهاوأشكالها إلاّ أنّهاهي الرذيلة

التي يجب أن نحاربها ونجتثّها من المجتمع .
وعندما نرد على نظرية ما لا يعني أنّنا ننسف النظرية التي نرد عليها رداً نسفياً ينسفها من الأساس ، وقد تكون فيها جوانب إيجابية ، ونحن نرحب بالنوازع الفطرية التي أصابها بعض الانحراف ، ونحاول أن نهذّب الانحراف فيها ، وأن نرجعها إلى أُصولها الفطرية النقية ، وأهل البيت(عليهم السلام) قد علّمونا أن ننفتح على جميع الآراء .
كما نرى أن الإمام الصادق(عليه السلام) يناقش عبد الكريم بن أبي العوجاء وغيره من المنحرفين فكرياً(١) ، أما بقية أئمة المذاهب الأُخرى لو دخل عليهم داخل وأثار إثارات وإشكالات غامضة فإنّهم يطردونه ويتّهمونه بالزندقة ، كما ينقل أبو نعيم الإصفهاني في ترجمة مالك(٢)بينما الإمام الصادق(عليه السلام) كان لا يستعمل معهم هذا الأُسلوب ، وهذه الإثارات قد تفتح ذهن الإنسان على حقّانية الدين .
الجواب الثاني :
الباحث العلمي في شتّى حقول المعرفة يبحث عن الحقائق والمعادلات الثابتة ، وليست النتائج المتغيرة،فالفيزيائي عندما يبحث عن قانون لحساب السرعة في مجال معين،هل يبحث عن قانون يتبدل أم قانون ثابت؟طبعاً قانون ثابت.
نحن لا ننكر وجود الجانب المتغير ، ولكن نقول : إن الباحث في شتّى المجالات لا يستطيع أن يتنكّر للجانب الثابت في حياة الإنسان ، وهذه الجوانب الثابتة هي المهيمنة على كلّ المتغيرات .

١- الاحتجاج ٢: ٢٠٠ .
٢- حلية الأولياء ٦: ٣٥٥ ، رقم الترجمة ٣٨٦ .

المحاضرة السادسة

الإمام هو الذي يطبق الشريعة على المتغيرات

محاور المحاضرة :

أولا : وجود مجهولات في علم ما لا يعد نقصاً في العلم ، وإنّما يعد نقصاً في من يستنبط العلم .

ثانياً : الإمام هو الذي يعرف تأويل الكتاب وتفاصيل الشريعة.

ثالثاً : الغيبة مقابل الظهور ، وليس الغيبة مقابل الحضور .

رابعاً : العالم يدار من قبل الأجهزة السرية.

خامساً : ليس من الضروري أن يكون الشخص المؤثّر ظاهراً ومعلنا .

قلنا: إن ا قد أهل محمداً(صلى ا عليه وآله وسلم) أن يحمل رسالة تحتوي على ُأصول التشريع ، وهي ُأصول كلية وقواعد عامة كشف عنها التشريع الإسلامي بواسطة محمد(صلى ا عليه وآله) ، وا هوالذي يعلم ما خلق وهو اللطيف الخبير ، أما المتغيرات فهي موجودة ، وقد تطورات بشكل أكبر مما هي عليه من تطور بين الرسالات السابقة التي نسخت بعضها ، وهي رسالات عيسى وموسى وإبراهيم ونوح ، وأن منطقة الثبات في الدين هي منطقة ُأصول الدين وأركان الفروع ، أما التفاصيل التشريعية والعبادية والنظام السياسي والقضائي فخاضعة إلى التغيير ، والُأصول التشريعية جامعة وثابتة .

مجهولات العلوم وحلولها

ولكن هنا يطرح إشكال وهو : من يضمن سلامة وإتقان استنباط القضايا التفصيلية من الأصول والقواعد الكلية بنحو يرتبط بدقّة بالشريعة الإسلامية؟ وعلى سبيل المثال: علم الرياضيات والهندسة والجبر والحساب ، والتي تعد من العلوم البديهية تقريباً إلاّ أن المجهولات الهندسية والجبرية والرياضية والميكانيكية إلى الآن لم يستطع علماء الرياضيات أن يجدوا حلولا لها ، مع أن حلولها توجد في الأسس الأولية لعلم الرياضيات من عمليات الطرح والجمع والضرب والقسمة ، وعلم الرياضيات علم معصوم ، وإذا حدث خطأ ما فالخطأ في الشخص الذي استعمل الرياضيات بصورة خاطئة لا في علم الرياضيات نفسه ، وقد استمعت للعديد من المقابلات مع نجوم علوم الرياضيات ، وقد قالوا: إن علم الرياضيات الموجود بصورته الحالية يرجع إلى تسع معادلات ـ حسب كلامهم ـ وبعضهم قال: إنّها ست معادلات إلاّ أن العقل البشري لايستطيع استيعاب الأسس التي قامت عليها هذه المعادلات ،ولايعرف ما وراءها، وقد أكّد لي أحد حاملي شهادة الدكتوراه هذه الحقيقة.

وهم يقولون : إنّنا لو استطعنا معرفة الأسرار التي تقف وراء هذه المعادلات لاستطعنا أن نكتشف العديد من الأسرار المذهلة في الكون ، وهذا العجز البشري في معرفة هذه الأسرار لا يعني عجز علم الرياضيات في نفسه ، وإنّما النقص في من يستنبط هذه النتائج من هذا العلم ، وهذا لا يقتصر على علم الرياضيات ، وإنّما ينطبق على باقي العلوم .

الإمام عنده علم تأويل الكتاب

من الذي يستطيع من بعد محمد(صلى ا عليه وآله) أن يحفظ شريعة محمد(صلى ا عليه وآله) التي تغطّي كلّ

المتغيرات؟ وهذا السؤال لا يجد جواباً إلاّ عند مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، بحيث تعتقد أن الإمام عند علم الكتاب كلّه ، ومن هنا نحن نقول : إن هذا المقام يعدل مقام اُولي العزم من الأنبياء السابقين(عليهم السلام) ، وإن كنت لست في مقام إثبات هذا الأمر إلاّ أنّها إشارة معترضة؛ لأن الذي يحيط بأُسس شريعة واُصول عامة تغطّي المتغيرات لملايين البشر حتّى يوم القيامة ، هوالذي يستطيع الإحاطة بعلم الكتاب كلّه ، وهذا علمه يزيد على علم الأنبياء السابقين ، والفترة التي كانت فيها شرائع الأنبياء السابقين شرائع محدودة بفترة معينة قد تطول أو تقصر، وكلّها نسخت بشريعة النبي ، فالذي يقوم مقام النبي في خلافته ـ باستثناء النبوة ـ في تغطية حاجيات البشر من خلال المتغيرات التي تطرأ على البشر، فهو الحافظ للشريعة، كما يعرفه الإمامية بهذا التعريف باعتباره القادر على تغطية الشريعة للمتغيرات.

التأويل لا يعلمه إلاّ ا والراسخون في العلم ، وللتأويل معان عديدة، منها: تطبيق الأُسس على المتغيرات، كما حدث بين موسى(عليه السلام) والخضر في قضية السفينة والغلام والجدار التي يذكرها القرآن في سورة الكهف ، بحيث يكون الانطباق بين الشريعة والمتغيرات انطباقاً يقينياً يؤثّر في مستقبل القضية، فبقاء الجدار وعدمه ، وبقاء الغلام وعدمه ، وخرق السفينة وعدمها، يترتب عليه اُمور عديدة ونتائج مختلفة، ولو بقي هذا الغلام لانقطع نسل سبعين نبياً ، كما ورد في بعض الروايات التي يرويها الفريقان(١)، أي: سيحدث منعطف خطير في حياة البشرية لو قدر لهذا الغلام أن يبقى .

١- تفسير نور الثقلين ٣: ٢٨٦ ، ذيل سورة الكهف ، الحديث ١٧١ ـ ١٧٤ .
روح المعاني ٨: ٣٣٤ ، ذيل الآية ٨١ من سورة الكهف .

أين يوجد الإمام المهدي؟

المشكّكون في وجود المهدي يطرحون إشكالا مفاده: أنّه أين يوجد المهدي ، وما هي نشاطاته؟

النشاط المهم في الدولة هو النشاط السري والاستخباري ، والقوة تكمن في الخفاء وليس الغياب عن ميدان العمل الذي يعني تلاشي التأثير والفاعلية.

الغيبة مقابل الظهور ، وليس مقابل الحضور

هناك غيبة مقابل الظهور ، وهناك غيبة مقابل الحضور ، وغيبة الإمام المهدي هي من نوع الغيبة مقابل الظهور وليس الغيبة مقابل الحضور ؛ لأن الإمام المهدي (عجل ا فرجه) حاضر، ونحن نعبر عن عصره بعصر الظهور ، ونتكلّم عن علامات الظهور ، ولا نعبر عنه بعصر الحضور ، وعلامات الحضور ، وعصر الظهور هو العصر الذي تنكشف فيه هوية الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) للملأ ، والإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) موجود ونشط .

اختلاف أنماط الحكومات ، وأهمية الأجهزة السرية

الآن أنماط الحكومة تختلف حتّى القبيلة هي نمط من أنماط الحكومة ، والعشيرة والطائفة التي تمتلك مواردها الخاصة وقوانينها الخاصة وقدراتها الخاصة وروافدها الثقافية الخاصة .

إذاً المجتمع مجموعة قوى كلّ قوة لها إمكانياتها الخاصة ، ولذلك الأدبيات السياسية التي تحلّل المرجعية الشيعية تقول: إنّها حكومة ، ولكن حكومة شبه رسمية أو نصف رسمية ، حيث إن المرجعية الشيعية لها وزارة ثقافة تتصدي للغزو الثقافي والوضع الفكري المنحرف وتنشر الوعي ، ووزارة دفاع تتمثّل في فتاوى الجهاد ، ووزارة مالية تتمثّل في جمع الضرائب والأخماس وغيرها ، وهذه

الوزارات ليست وزارات لها مباني ، وإنّما هي وزارات لها نفوذ اجتماعي ، والحكومات ليست هي الحكومات الرسمية فقط ، وإنّما الحكومات هي القوى التي تمتلك النفوذ الاجتماعي سواء كانت رسمية أو غير رسمية ، وهناك أجهزة تدير العالم في زماننا هذا في الحقل المالي ، وحقل التسلّح العسكري والمصرف والإعلام ، هذه كلّها أجهزة سرية تدير العالم ، ولا نعرف من يقف وراءها ، فليس معنى النفوذ والنشاط أن يكون هذا النشاط معلناً ومن يقف وراءه معلناً ، ولا يوجد رابط بين القدرة على الحكم وبين إعلان الحاكم ، بل حتّى الحكومات المعلنة تقف وراءها أجهزة سرية .

الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) حاضر وموجود ونشط في مختلف القضايا ، ولو تأملنا في هذه الآية من سورة الكهف **{فَوجدا عبداً من عبادنَا آتَينَاه رحمةً من عنْدنَا وعلمنَاه من لَدنا علْماً}**(١) . لوجدنا أن هذه القصة تشير إلى مجموعة من العباد الذين آتاهم ا رحمة من عنده وعلماً لدنّياً يقومون بأدوار خفية على طبق البرنامج والأوامر الإلهية في إدارة المجتمعات .

يقول الإمام الباقر(عليه السلام):

"إن علياً(عليه السلام) كان محدثاً... يحدثه ملك. قلت: تقول: إنّه نبي؟]قال[فحرك يده هكذا: أو كصاحب سليمان ، أو كصاحب موسى..."(٢).

ولولا علم التأويل لم يقتنع موسى(عليه السلام) بما فعله الخضر(عليه السلام) ، **{ذَلك تَأْويلُ ما لم تَستَطع عليه صبراً}**(٣) ، عندما عرف التأويل اقتنع ورضي بما فعله الخضر على ضوء اُسس شريعته التي تغطّي هذه المتغيرات ، والنبي موسى لم يكن عنده هذا

١- الكهف (١٨): ٦٥ .
٢- تفسير كنز الرقائق ٨: ١٠٥ .
٣- الكهف (١٨): ٨٢ .

التأويل ، مع أنّه كان من أنبياء أُولي العزم بنص سورة الكهف ، بل كان عند غيره ، والله تعالى لم يصف الخضر بأنّه نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل، وإنّما وصفه بأنّه عبد من عباد الله ،وقال تعالى آتيناه علماً لدنّياً حينما عبر بـ **{من لدنا}**، والعلم اللدنّي هو السبب المتصل بين الأرض والسماء .
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "أنا أقاتل على التنزيل ، وعلي يقاتل على التأويل"(١) ، والعلم الذي عند الإمام علي(عليه السلام) هو من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو القائل "علّمني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب"(٢) .
إذاً سورة الكهف تثبت بأن الإنسان الذي يمتلك العلم اللدنّي يستطيع أن يغطّي كلّ المتغيرات حتّى ولولم يكن نبياً ، فهو باعتباره يمتلك العلم اللدنّي من عند الله فهو لا يخطىء ، وهو يستطيع أن يربط بين هذه الحلقة في هذا الزمن بحلقات اُخرى في أزمنة قادمة ، وهذا عمل جبار ، فلا يستطيع أحدنا أن يخطّط لعمل اجتماعي لخمسين سنة قادمة ، مع معرفة كلّ العوائق والسلبيات التي ستعترضه في هذا المجال ، فجميع التخطيط البشري يتبين فشله أو فشل أجزاء منه بنسب مختلفة بسبب قصور الفكر البشري عن استيعاب كلّ الجوانب ، فبعد إتمام المشروع تتبين النواقص التي فيه.
والإمام هو صاحب العلم اللدنّي ، وهذا العلم اللدنّي يؤهله أن يخبر عن الله ، ولكن ليس بمعنى أن يكون نبياً أو يكون صاحب شريعة جديدة ، وهذا تماماً ما حدث للخضر الذي حاور موسى بنفس الأُسس الشرعية في شريعته هو ، فسورة الكهف تخبرنا عن مقام إلهي تحتاج إليه البشرية ، وهذا المقام يستوجب الاطلاع

١- الفصول المهمة في أُصول الأئمة ١: ٥٦٩، الحديث ٨٥٩ .
٢- الفصول المهمة في أصول الأئمة ١: ٥٦٥، الحديث ٨٤٨ .

على إرادة ا   ، كما ورد في الآية **{وأما الجِدار فكان لِغُلامين يتيمين في المدينَة وكان تَحتَه كنز لهما وكان أبوهما صالِحاً فأراد ربك أن يبلُغَا أشُدهما ويستَخْرِجا كنزهما رحمةً من ربك وما فَعلْتُه عن أمري ذَلِك تأْوِيلُ ما لم تَستَطع عليه صبراً}**(١).

ولو تأملنا في الآية لوجدنا أن الخضر مطّلع على إرادة ا   من خلال قوله **{فأراد ربك}**، وهذا القول لا يعني أن الخضر قد أتى بشريعة جديدة من عند ا   ، وإنّما هو تطبيق للشريعة بأُسسها العامة التي تغطّي كلّ المتغيرات

المتغيرات كثيرة ، ولكن الشريعة تغطّيها

إذاً نحن نتّفق مع مدرسة العلمانية "السكولارزم" بأن المتغيرات كثيرة وكبيرة ، ولكن الأُسس الدينية قادرة على التغطية والاستيعاب لكلّ هذه المتغيرات ، كما أن الأُسس العامة للرياضيات تغطّي جميع المجهولات الرياضية.

لا يمكن الاكتفاء بظاهر اللفظ القرآني

الذي يدعي أن الشريعة مقتصرة على ظواهر القرآن يجني على الشريعة ، والقرآن يقول: إنّه تبيان لكل شيء(٢) ، ويقول: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل القرآن(٣) ، والآيات المحكمات والمتشابهات هي في القرآن المنزل وفي ظواهر القرآن ، أما الكتاب المبين في لوح محفوظ في كتاب مكنون(٤) في عوالم الغيب ذلك موجود فيه كلّ شيء وهو تبيان لكل شيء ، أما ظواهر القرآن فهي ليست تبياناً لكلّ شيء في التشريع ـ فضلا عن العلوم الأُخرى ـ وإلاّ فكيف نجمع

١- الكهف (١٨): ٨٢ .
٢- النحل (١٦): ٨٩ .
٣- آل عمران (٣): ٧.
٤- الواقعة (٥٦): ٧٨ .

بين وجود المحكمات والمتشابهات وبين قوله تعالى **{بَلْ هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أُوتُوا الْعِلْم}**(١) ، وهذه الآية تقول: إن هذه الآيات البينات في صدور الذين أوتوا العلم ، ولم تقل: إنّه في المصحف.

هل يمكن أن يوجد كتاب في الرياضيات يحتوي على حلّ جميع المجهولات الرياضية؟ طبعاً لا يوجد .

العالمون بالتأويل، وأصحاب العلم اللدنّي موجودون في أُمة محمد، وهم الأئمة(عليهم السلام)

إذا كان القرآن يحدثنا عن وجود التأويل عند الذين أوتوا العلم اللدنّي في زمن موسى ، فهل هذا الموقع شاغر في أُمة محمة(صلى ا عليه وآله) أم أن هناك من لديه العلم اللدنّي في أُمة محمة(صلى ا عليه وآله) ؟

إذا كانت شريعة محمد(صلى ا عليه وآله) سيدة الشرائع ، وهي الشريعة الخالدة ، فلا بد من وجود هذا الموقع ، وينبغي الإشارة إلى أن المسلمين مجمعون على الخضر ، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "... إن ا تعالى لما كان في سابق علمه أن يقدر من عمر القائم(عليه السلام) في أيام غيبته ما يقدره ، وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطول، طول عمر العبد الصالح من غير سبب أوجب ذلك ألا لعلة الاستدلال به على عمر القائم(عليه السلام)..."(٢) .

ا تعالى يقول:إن في هذه الأمة يوجد راسخون في العلم يعلمون التأويل، و الكتاب كلّه بين **{بَلْ هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أُوتُوا الْعِلْم}**(٣)، الآيات

١- العنكبوت (٢٩): ٤٩ .
٢- كتاب الغيبة: ١٧٢، الحديث ١٢٩ .
٣- العنكبوت (٢٩) : ٤٩ .

عندهم كلّها بينة ليس بعضها محكم والآخر متشابه في صدور أولئك الذين أوتوا العلم .

فمدرسة العلمانية "السكولارزم" تثبت ـ من حيث لا تشعر ـ ضرورة وجود من يحيط بالمتغيرات في الشريعة ، وهذا ما تجيب عليه المدرسة الإمامية التي تعتقد بوجود الأئمة(عليهم السلام) بعد رسول ا (صلى ا عليه وآله) ، وتعطيهم منصب الإحاطة بالشريعة والمتغيرات التي توجد حلولها في هذه الشريعة ، وفي عصر الغيبة تعتقد بوجود صاحب الزمان عجل ا فرجه ، وتعتقد باستحقاقه لهذا المقام .

المحاضرة السابعة
مناقشة مدرسة الهرمونطيقية

محاور المحاضرة:

أولا : تطور النقد الأدبي وظهور تعدد القراءات .

ثانياً : تطور علم الفقه .

ثالثاً : تأويل النص الديني يوازي التعمق في التحليل الأدبي .

رابعاً : أهل البيت(عليهم السلام) هم الذين ينطبق عليهم قوله تعالى {صراطَ الذين أَنْعمتَ عليْهم غَيرِ الْمغْضوبِ عليْهم ولاَ الضالين}(١) .

تم بشكل إجمالي مناقشة المدرستين العلمانية والتعددية "السكولارزم والبلوري ألسم" ، واستعراض بعض أفكارهما والرد عليها بصورة سريعة ، وحيث إنّني قد عرضت بعض الإشكالات التي طرحوها فمن اللازم أن أرد عليها .

إشكالٌ: إن القضاء الإسلامي يعتمد على البينة والحلف ، مع أن القضاء تجاوز بتطور هذه المرحلة

الرد: إن القضاء الإسلامي لا يعتمد على البينة والحلف كحلّ منحصر ، وإنّما يعتمد الحلف والبينة إذا لم يكن هناك طريق لعلم القاضي ، أما إذا أمكن القاضي أن يعلم عن طريق البراهين والأدلة والتحقيق القضائي ، فإنّه يحكم به ، فإذا لم يتوفّر

١- الفاتحة (١): ٧ .

أي من هذه الأدلة والبراهين ، فحينئذ يعتمد القاضي على الشهود والحلف ، وهذا لا يقتصر على القضاء الإسلامي ، بل هو العرف القانوني عند غير المسلمين ، فإذا انسدت الأبواب في التحقيقات القانونية والقضائية تصل النوبة حينئذ للحلف ، فكلّ بلد يحلف بالرمز المقدس الذي يعتقد به سواء كان هذا الرمز دينياً عند من يؤمنون بالدين أو رمزاً وطنياً مقدساً عند من يؤمنون به ، ولو راجعنا قضاء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لوجدناه يبحث ويحقّق عن أسباب النزاع والأدلة والبراهين القضائية التي توصله إلى الحقيقة ، بل إن أكثر قضاء أمير المؤمنين(عليه السلام) كان بهذه الطريقة ، وليس بالاعتماد على الحلف والشهود ، والذين أثاروا هذا الإشكال لم يطّلعوا على القضاء الإسلامي بصورة عميقة.

الإشكال الثاني: لماذا تطالب القبيلة والعصبة بدفع الدية؟

الدين الإسلامي يدعو للمحافظة على الأسرة وعلى وشائج القربى ، بل هو يحافظ على لحمة السبب بالإضافة إلى لحمة النسب ، فنحن نلاحظ أن بعض الأشخاص عندما يخرج من بلده إلى بيئة اُخرى بعيدة عن الرقابة الاجتماعية ينحرف سلوكه ، بينما كان محافظاً على سلوكه عندما كان يعيش في البيئة المحافظة ، ولذلك من المفيد الحفاظ على الأعراف التي لا تتعارض مع الدين ، ولذلك لم يقطع النبي أوصال شبكة القبائل الموجودة في ذلك الزمان مع أن الإسلام قد عانى من هذه القبائل ، ووجهت له ضربات قاسية ، كما حدث ذلك في معركة الأحزاب حينما تحزبت القبائل لمواجهة النبي(صلى ا عليه وآله) ودين الإسلام ، مع ذلك حافظ النبي على بناء القبيلة لما فيه من إيجابيات ، منها: أنّها نوع من النظام الاجتماعي الذي يحفظ الإنسان ـ من خلال الانتماء إليه ـ عن حالة الانفلات والخروج عن الرقابة الاجتماعية .

المدرسة الهرمونطيقية "قراءة النص"

هذه المدرسة تحمل في طياتها فكرة التعددية التي تحمله البلوري ألسم ، وهي مدرسة الألسنيات التي تهتم بقراءة النص ، فالنقد الأدبي أخذ يتوسع بصورة كبيرة ، وعلوم اللغة آخذة في التوسع في كلّ اللغات ، بشكل علوم متعددة ، فعلى سبيل المثال: كانت اللغة العربية مقتصرة على علم المفردات اللغوية وعلم النحو والصرف ثم البلاغة، ومن الجدير بالذكر أن مؤسس علم النحو هو أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ، كما ذكر السيد حسن الصدر في كتابه الشريف "تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام"(١) ، أما الآن فعلوم اللغة قد توسعت فأصبحت تضم فقه اللغة والاشتقاق وهو علم غير علم الصرف والنحو والنقد ، وغيرها .

وعلم البلاغة ليس مقتصراً على علم اللغة العربية وهو موجود في اللغات الأُخرى ، مثل: اللغة الإنجليزية ، مع أن الإنجليزية تنتمي إلى أُسرة لغوية تختلف عن الأُسرة اللغوية التي تنتمي إليها اللغة العربية ، والمعاني في اللغات واحدة ، وإنّما الألفاظ مختلفة ، فلفظة "ماء" في العربية و"آب" في الفارسية و"واتر" في الإنجلازية جميعها تدل على حقيقة واحدة لهذا السائل المعروف .

أما كيفية التركيب والدلالة فهي مشتركة بين اللغات ، فالجملة الإسمية يمكن أن تكون في كلّ لغة من اللغات ، وهكذا الجملة الفعلية والفعل والفاعل...

نشأة النقد الأدبي

النقد الأدبي لايقتصر على لغة معينة، بل هو يشمل كلّ اللغات ، وقد كان في بداياته يعتمد على تفسير المفردات وبعض التراكيب اللغوية ، ثم أخذ النقد الأدبي بدراسة النص دراسة شاملة تحلّل كلّ حيثيات النص الأدبي ، ودراسة البيئات

١- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٤٠ .

المحيطة بقائل النص ، ومن هذا المنطلق استطاع النقد الأدبي أن يخدم العلوم الأُخرى بصورة واسعة ، واستطاع النقد الأدبي أن يكشف بعض جوانب اللاشعور عند كاتب أو قائل النص ، وهذا التحليل الأدبي شبيه بالتحقيقات الجنائية التي تحاول أن تستفيد بكلّ ما يحيط بالجريمة من أجواء ، كذلك المحلّل الادبي يحاول أن يستفيد بكلّ ما يحيط بالنص من أجواء .

التعمق في النص الأدبي يوازي التأويل في النص الديني

وهذا النقد الأدبي الذي يعتمد على اُسس وأدلة في الاستنتاجات يوازي تأويل النص الديني ، ونرى أن الجميع يحترم النقد الأدبي حتّى أولئك الذين يتّهمون التشيع بالباطنية والغنوصية والخرافات والأساطير يحترمون هذا النقد الأدبي العميق ، ونحن فتحنا باب التأويل الذي يعتمد على الموازين الصحيحة لا التأويل القائم على التخر صات والكذب .

تطور علم الفقه

إنّنا نلاحظ أن الفقه بدأ بصورة بدائية فبدأ بصورة بسيطة ، ثم ظهرت محاولات في تبويب الفقه ، ثم استخرج العلماء القواعد الشرعية ، ثم أبواب التضارب أو التعارض وعلاجها في النص الديني، وتوسعت الأبواب الفقهية والتحليلات الاستدلالية ، فلم يعد الأمر مقتصراً على الفقه ، بل تعداه إلى اُصول الفقه والقواعد الفقهية، فكلّ هذه الأُمور تبحث في قراءة النص الديني ، فكم هو الفارق بين الفقه في عصوره الأُولى وما عليه الفقه في زماننا هذا، فلو قارنّا بين كتاب فقهي من القرن الرابع وكتاب منهاج الصالحين للسيد الخوئي(رحمه ا) أو تحرير الوسيلة للإمام الخميني(رحمه ا) نجد أن البون واسع حتّى نمط الاستدلال بين العلماء المعاصرين وبين العلماء المتقدمين يوجد فيه اختلاف كبير ، فسير الفتاوى وآراء الفقهاء في تحليل

القوانين كان بنمط والآن بنمط آخر ، فكان الشهيد الأول والشيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهما يحاولون قراءة النص الديني والاستفادة مما وراء النص الديني بعد الاستفادة من النص نفسه ، وما ذكرناه في الفقه أيضاً ينطبق على العقائد والمعارف ، ولازالت جهود الاجتهاد متواصلة .

القبول بالتعدد ليس مطلقاً

المدرسة الهرمونطيقية تقول بتعدد القراءات فليس لك أن تلغي قراءة من القراءات التي تفهم النص بصورة معينة ، وهي تدعو إلى فتح الباب على مصراعية أمام الاجتهاد في فهم النص ، ونحن نقبل بعض ما تطرحه هذه المدرسة ، كما أشرنا في المدرستين السابقتين .

وأما إذا كان قبول هذا التعدد يفرض علينا أن نشكّك بما قد توصلنا إليه من حقائق على اُسس علمية وعقلية فإنّنا نرفض قبول القراءة الأُخرى ، وهذا ما أثرناه مع مدرسة التعددية "البلوري ألسم" ، وما قلناه من أنّنا نبحث عن الحق المتوزع عند هذا الطرف أو ذاك في تلك المدرسة ، نقوله أيضاً في الرد على هذه المدرسة بحيث إنّنا نريد أن نجمع الحقيقة ونحصل عليها كاملة ، وهي في عقيدتنا توجد كاملة عند المعصوم الذي يستطيع قراءة النصوص الدينية بشكل صحيح ، وهو الذي يمتلك الحقيقة عندما وضعه ا في هذا المنصب ، حتّى الفقيه والمرجع مهما وصل إلى درجة عالية فإنّه يبقى دون درجة المعصوم في عقيدتنا ؛ لأن المعصوم له قنواته الخاصة التي لا يمتلكها غيره ولذلك فقد أخطأ من يعتقد أن الشيعة عندما فتحوا باب الاجتهاد فهم تنازلوا عن شرط العصمة والإمامة ، والصحيح أن دور الفقيه يأتي بعد وجود المعصوم ، ودور الفقيه ضروري ، وقد نص عليه القرآن الكريم بقوله :

{فَلَولاَ نَفَر من كُل فرقَة منْهم طَآئفَةٌ ليتَفَقهوا في الدينِ ولينذروا قَومهم إِذَا رجعوا إِليهم لَعلهم يحذَرون}(١) .

فالفقيه ينهل من الأُسس التي وضعها النبي(صلى ا عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام) ، وهم الذين عبر ا عنهم بأنّهم **{أُوتُوا الْعلْم}** في قوله تعالى **{بلْ هو آياتٌ بينَاتٌ في صدورِ الذين أُوتُوا الْعلْم}**(٢) ، وهذا التعبير لا يشير إلى طلب العلم العادي عند العلماء ، وإنّما يشير إلى العلم اللدنّي الذي عند أهل البيت(عليهم السلام) .

وقوله تعالى:

{إِنا أَنزلْنَا التوراةَ فيها هدى ونُور يحكُم بِها النبِيون الذين أَسلَموا للذين هادوا والربانيون والأَحبار بِما استُحفظُوا من كتَابِ ا وكَانُوا علَيه شُهداء}(٣).

فالترتب عند الإمامية يكون هكذا : الأنبياء ثم الأوصياء ثم العلماء ، وهذا ما أشارت إليه هذه الآية من سورة المائدة ، فالنبيون هم الأنبياء ، والربانيون هم الأوصياء ، والأحبار هم العلماء .

فكما أن جميع المجهولات الرياضية يمكن حلّها بالأُسس الرياضية الصحيحة ، وعدم حلّ بعض المسائل من قبل بعض الأشخاص لا يعني عدم وجود الحلّ في الأُسس ، فكذا الكلام ينطبق على تغطية الشريعة لكلّ المتغيرات، ولذلك عندما يظهر صاحب الزمان ، وهوالذي يمتلك علم تأويل الكتاب وفهم الشريعة بصورة مطلقة ، فهو الذي لديه كنوز العلوم .

{الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نعمتي ورضيتُ لَكُم الإِسلاَم ديناً}(٤)،

١- التوبة (٩): ١٢٢ .
٢- العنكبوت (٢٩): ٤٩ .
٣- المائدة (٥): ٤٤ .
٤- المائدة (٥) : ٣ .

القران الكريم يثبت أن الدين كمل وتمت النعمة ورضي الرب به ، ولكن من يستطيع فهم النص الديني بأعمق معانية، ويستخرج منه كلّ الحلول لكلّ القضايا .

وما تذهب إليه مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ليس من الخرافة ، كما يتّهمنا البعض، بل هو الحقيقة بعينها،ويظهر الإمام الذي يستطيع أن يسد كلّ الثغرات العلمية التي لازالت كثيرة رغم الجهود الجبارة التي يبذلها العلماء . والمدارس التي ذكرناها كلّها تشير بصورة أو بأُخرى إلى ضرورة العلم الجمعي والإحاطة بالحقيقة ، وهذا هو هدف البشرية والتي ستصل إليه بواسطة الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) .

حتّى سورة الفاتحة التي نقرأها صباحاً ومساء فيقول ا تعالى:

{اهدنَا الصراطَ الْمستَقيم* صراطَ الذين أَنْعمتَ علَيهم غَيرِ الْمغْضوبِ علَيهم ولاَ الضالين}(١) .

ا تعالى أنعم عليهم بنعمةخاصة وهم أهل البيت(عليهم السلام)الذين طهرهم دون غيرهم، قال تعالى: **{إِنما يريد ا ُ لِيذْهب عنكُم الرجس أَهلَ الْبيت ويطَهركُم تَطْهيراً}**(٢)، **{قُلْ لاَ أَسأَلُكُم علَيه أَجراً إِلا الْمودةَ في الْقُربى}**(٣) .

وهل هناك عائلة أو أُسرة أعطاها ا ما أعطى آل محمد(صلى ا عليه وآله) من الفضل والشرف ، وهذا ليس توارث قيصري أو توارث كسروي ، وإنّما هو توارث اصطفائي **{إِن ا َ اصطَفَى آدم ونُوحاً وآلَ إِبراهيم وآلَ عمران علَى الْعالَمين* ذُريةً بعضها من بعض وا ُ سميع عليم}**(٤) .

١- الفاتحة (١): ٦ ـ ٧ .
٢- الأحزاب (٣٣): ٣٣ .
٣- الشورى (٤٢): ٢٣ .
٤- آل عمران (٣) : ٣٣ ـ ٣٤ .

فهذه الذرية مؤهلة لأن ترتبط با ، وهذه الذرية واصطفاؤها ذكرها القرآن ، فلم يستنكر علينا أن نؤمن بأن ا اصطفى آل محمد؟!

إذاً إن الذين أنعم ا عليهم دون غيرهم هم أهل البيت(عليهم السلام) ، وهم(عليهم السلام)الذين ينطبق عليهم قوله تعالى **{غَيرِ الْمغْضوبِ علَيهِم}** ، فهذا الوصف ينطبق على أهل البيت(عليهم السلام) ، وحتّى بعض الصحابة الكبار من البدريين الذين قاتلوا مع الرسول في بدر نزل فيهم قول ا تعالى **{لَولاَ كتَاب من ا ـ سبقَ لَمسكُم فيما أَخَذْتُم عذَاب عظيم}**(١) .

فلولا أن ا قد أخذ على نفسه أن لا يعذّب المسلمين ورسول ا فيهم لعذّبهم **{وما كَان ا ُ لِيعذِّبهم وأَنْتَ فيهِم وما كَان ا ُ معذِّبهم وهم يستَغْفرون}**(٢) ، فإذا كان هذا حال البدريين فما حال سائر المسلمين .

والذين كانوا مع رسول(صلى ا عليه وآله) في معركة اُحد لامهم وغضب عليهم ثم عفا عنهم لوجود الرسول(صلى ا عليه وآله وسلم) بينهم ، أما أهل البيت(عليهم السلام) فلم يغضبوا ا تعالى ، وهذه هي العصمة العملية ، وهذا ما تثبته سورة الفاتحة لأهل البيت(عليهم السلام) ، وليس كما يتّهموننا بأن أفكارنا أتى بها عبد ا بن سبأ .

{ولاَ الضالِّين} كيف نهتدي بهداة قد يضلّون عن الحق ، ويخرجون من الإيمان إلى الفسق ولو في بعض الأمور ، وهؤلاء هم الذين لا تنطبق عليهم العصمة ، وأما المعصومون فهم منزهون عن الخطأ وينطبق عليهم **{غَيرِ الْمغْضوبِ علَيهِم ولاَ الضالِّين}** .

١- الأنفال (٨): ٦٨ .
٢- الأنفال (٨): ٣٣ .

فهرس المطالب (١)

(٢)

النهضة الحسينية
ومفهوم الإرهاب والسلام

المقدمة

بسم ا   الرحمن الرحيم

بين يديك عزيزي القارىء مجموعة من المحاضرات المكتوبة، التي ألقاها سماحة العلاّمة الشيخ محمد السند في مأتم السماكين في المنامة في شهر محرم الحرام عام ١٤٢٣هـ بعنوان (النهضة الحسينية ومفهوم الإرهاب والسلام) .

وقد عالج سماحته هذا الملف الساخن ، وبين أهداف الذين يرفعون قميص تهمة الأرهاب ضد المسلمين،كما رفع معاوية قميص عثمان ضد الإمام علي (عليه السلام)، واستعرض سماحته الخلفيات الحقوقية والأخلاقية والعقائدية للقوانين الإلهية والمادية، ثم استعرض العديد من تعريفات الإرهاب التي تتداولها صفحات القانون الدولي وعلّق عليها بالإيجاب والسلب ، وبين بعض النواقص فيها ، وسبب غياب بعض الألفاظ في هذه التعريفات .

كما أنّه بين الضابطة الصحيحة في اعتبار الإرهاب جريمة ، وبين الفرق بين الإرهاب لرد العدوان والإرهاب الذي يعتدي على حقوق الآخرين ، مستشهداً بآيات من القرآن الكريم.

كما كان سماحته يطبق في بحثه تطبيقات على حياة المعصومين(عليهم السلام) ، وتطبيقات ُأخرى على الواقع المعاصر وما يدور فيه من ملابسات وإشكاليات حول مفهوم الإرهاب والسلام ، رابطاً ذلك بنهضة سيد الشهداء(عليه السلام) .

كما أشار سماحته إلى خطورة التلاعب بالمصطلحات القانونية من أجل خدمة أطماع ومصالح معينة .

كما أنّه قارن بين بعض المصطلحات الفقهية والمصطلحات القانونية ، مبيناً بعض النقاط التي غابت عن فهم المهتمين بهذا الموضوع .

وفي الختام أشكر ا تعالى أن وفّقني لكتابة هذه المحاضرات ، ثم أشكر سماحة الشيخ الذي فتح لي باباً من أبواب العلم التي يحبها ا ورسوله ، أسأل ا أن يجعلها في ميزان حسناته ويوفّقه للعلم والعمل الصالح إنّه سميع مجيب .

سيد هاشم سيد حسن الموسوي

١٢ جمادى الأولى ١٤٢٥

٢٠٠٤/٧/٣٠م

المحاضرة الأولى
إحياء الشعائر الحسينية

محاور المحاضرة :

أولا: إحياء الشعائر الحسينية.

ثانياً: الشعائر الدينية لا تقتصر على شعائر الحج .

ثالثاً : للشعيرة عدة مصاديق ويشترط فيها عدم الحرمة الشرعية.

رابعاً: تطبيق على المولد النبوي .

خامساً : استحداث أُسلوب جديد في إحياء الشعيرة لا يعتبر بدعة .

سادساً: للمعنى اللغوي دور مهم في فهم النص الشرعي .

سابعاً: الفرح لفرح أهل البيت(عليهم السلام) والحزن لحزنهم من مصاديق مودتهم .

ثامناً: تعظيم من عظّمه ا أمر راجح في الدين.

تاسعاً: أهل البيت(عليهم السلام) بينوا بعض مصاديق الشعائر.

عاشراً: المحافظة على قدسية الذكرى.

إحياء الشعائر الحسينية

إن إحياء الشعائر الحسينية ، التي هي من الشعائر الدينية ، التي ورد الحث عليها متواتراً من طرق الفريقين ، أمر لا شك في مشروعيته **{ذَلِكَ وَمَن يعظم شَعَائِر ا ـ فَإِنها من تَقْوى الْقُلُوبِ}**(١) . والآية الكريمة لا تختص بالشعائر التي تعبدنا ا

١- الحجّ (٢٢): ٣٢ .

تعالى بها لكونها شعيرة ، وذلك لأن كلّ عمل ورد في الشريعة ، إذا لم يكن موضوعه قد عين وحدد من قبل الشرع ، فإن المتعارف لدى علماء الفقه والأُصول كمنشأ قانوني شرعي أن يحمل على معناه اللغوي .

الشعائر الدينية لا تقتصر على شعائر الحج

وهنا في الآية الكريمة قد أُضيفت كلمة "شعيرة" ، "شعائر" ، أُضيفت إلى ا تعالى ، حيث إن معنى "الشعيرة" : العلامة والدلالة ، فهذا العنوان الذي أُخذ من الآية أُضيف إلى ا تعالى ، فكلّ ما يكون معلماً دينياً يؤهله ذلك لأن يكون شعيرة دينية ، وإلاّ فالآية ليست مختصة بشعائر الحج ، مع أنّها واردة في سورة الحج وتتكلّم عن موضوع يتعلّق بالحج .

للشعيرة عدة مصاديق ، ويشترط فيها عدم الحرمة الشرعية

والدعوى أنّها حقيقة شرعية ولا بد فيها من التعبد ، فهذا خلاف ما يذهب إليه فقهاء كلّ الفرق الإسلامية وعلماء الأُصول ، وهناك ما يسمى الحقيقة اللغوية للحقيقة الشرعية ، ومقصودهم من الحقيقة الشرعية ذلك المعنى الذي انشأه الشارع بتحديد وترتيب أجزاء معينة في أمر معين ، كما في الصلاة التي لها معنى خاص بها ، حدده الشارع وتعبد المكلّفين به ، وإذا لم يرد التعبد في أمر معين ولم يرتّب حكماً من الأحكام عليها ، فحينئذ يبقى المعنى على حاله ، فإذا كان الحال كذلك فأي مصداق يكون مؤهلا لأن يكون من شعائر ا ، إضافة لتلك المصاديق التي جعلها ا من الشعائر .

ومن الطبيعي أنّه يجب أن تكون هذه الشعيرة مباحة أو راجحة شرعاً ، وليس من المعقول أن يكون هذا العمل المراد اعتباره شعيرة عملا محرماً شرعاً ؛ لأن

العمل المحرم يرفضه الشرع ، ولا يصلح أن يكون علامة للدين باعتبار أن الشعيرة علامة .

تطبيق على المولد النبوي

فإذن التحديد الموضوعي والقانوني لأي مصداق من مصاديق الشعائر أن يكون موضوعاً مباحاً في نفسه ، ولذلك لم يتحرج أحد من فقهاء المذاهب الإسلامية ـ عدا الشاذ النادر منهم ـ من اعتبار إحياء المولد النبوي المبارك أمراً حسناً وإيجابياً ، رغم أنّه لم يرد ما يدلّ على إحيائه بصورة خاصة دليل من الشرع ، إلاّ أن المذاهب الأربعة ـ فضلا عن مذهب الإمامية لم تتحرج من الاحتفال بهذه المناسبة الكريمة لأن الاحتفال بمولد النبي(صلى ا عليه وآله) يحمل في طياته التكريم والتبجيل والتعظيم للنبي محمد(صلى ا عليه وآله) ، وهذا يعتبر تعظيماً للدين ، ويكون مولده شعيرة من الشعائر الدينية .

استحداث أُسلوب جديد في إحياء الشعيرة لا يعتبر بدعة

إذن في الشعائر الدينية لا يرد اعتراض على استحداث أساليب لإحياء الدين باعتبارها بدعة ، و"كلّ بدعة ضلالة"(١) البدعة إنّما تكون في مالم يرخص به الشارع المقدس ، وذلك لأن الشعائر الدينية لم تكن محددة بمصداق معين بحيث تنطبق على غيره ، نعم هناك بعض العبادات محددة كالصلاة ، حيث حدد الشارع بدايتها بالتكبير ، ونهايتها بالتسليم ، وثلثها الركوع ، وثلثها السجود ، ولها كيفية معينة: أما إذا لم يحدد الشارع كيفية معينة ، فيستساغ إحياء الشعيرة بشرط كونها مباحة أو راجحة .

١- الكافي ١: ٥٦ ، الحديث ٨ ، كتاب فضل العلم ، باب البدع والرأي والمقائيس .

للمعنى اللغوي دور مهم في فهم النص الشرعي

وكذلك قوله تعالى: **{أحل ا ُ البيع}**(١) ، هذا نص شرعي ، ولا يعني هذا النص أن البيع قد استجد معناه وحمل معنى معيناً ، بل معناه هو المعنى اللغوي ، أي: نحمله على ما يفهمه عرف العقلاء، وأن الشارع لم يردع عن هذا المعنى اللغوي ، وهذا دأب حتى أولئك الذين يحكمون بالبدعة على كلّ ما استجد من الشعائر الدينية والطقوس والمراسم الدينية في إحياء وتشييد معان دينية سامية، حتى أولئك يعتمدون في فهم النص في أبواب الفقه على المعنى اللغوي الوارد فيه ، إلاّ إذا تناقض هذا الفهم اللغوي للنص مع معنى من المعاني التعبدية الشرعية .

الشعيرة علامة

وكما أن اليافطات والإعلانات تدلّ على أُمور معينة ، كما لو رأينا إعلاناً مكتوباً عليه "عيادة" فإن هذا الإعلان دليل على وجود طبيب وأجهزة طبية تمثّل العيادة ، كذلك "الدين" له علامات وشعائر . وتارة تكون هذه الشعائر محددة من قبل ا تعالى، كما قال سبحانه وتعالى **{إن الصفا والمروةَ من شعائِرِ ا ِ فمن حج البيتَ أَو اعتمر فلا جناح عليه أَن يطوفَ بِهِما}**(٢) ، وتحديد الشارع لبعض مصاديق الشعائر لا يعني رفضه للمصاديق الأُخرى التي لم يحددها .

الفرح لفرح أهل البيت(عليهم السلام)والحزن لحزنهم من مصاديق مودتهم

وكلامنا هذا لا يعني أنّه لم يرد من الشرع شيء في الحثّ على إحياء الشعائر الحسينية ، فالآية الكريمة التي تقول: **{قُلْ لا أَسأَلُكُم عليه أَجراً إِلا المودةَ في**

١- البقرة (٢) : ٢٧٥ .
٢- البقرة (٢): ١٥٨ .

الْقُربى}(١)، المودة تفيد أن الفرح لفرح المودود الذين هم آل محمد(عليهم السلام)،والحزن لحزنهم أمر لابد منه في تحقيق هذه المودة،وذلك لأن المودة أرقى وأعلى وأشد من المحبة ، ويشترط في المودة صدق الحب من المحب للمحبوب ، وكذلك المودة تتضمن موضوع إبراز المحبة وإظهارها ، ومن هذا المنطلق نحن نفرح لفرحهم ، ونحزن لحزنهم ؛ لكي نحقق مفهوم المودة

تعظيم من عظّمه ا أمر راجح في الدين

ونفس هذه الآية ، تدل على أن إحياء ذكرى عاشوراء ، هي من الشعائر الدينية ؛ لأن هذا الأمر أمر راجح في الدين ، وقد ورد في كتب العامة متواتراً: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"(٢) "وانهما ريحانتا رسول ا (صلى ا عليه وآله)"(٣) .

وما حصل عليه أهل البيت(عليهم السلام) ، من مقامات عالية في القرآن ، كما هو شأن آية المباهلة(٤) ، وآية المودة(٥) ، وآية التطهير(٦) ، وسورة الدهر(٧) ، وغيرها(٨) ، فيجب تعظيمهما وتبجيلهما ؛ لأن لهما ذلك المكان العالي الذي لابد للإنسان المؤمن أن يتعاطى معه بما يليق به .

١- الشورى (٤٢): ٢٣ .
٢- المعجم الأوسط ٣: ٢٠٣، الحديث ٤٣٣٢. مجمع الزوائد ٩: ٢١١، الحديث ١٥٠٨٢ فما بعد. كنز العمال ١٢: ٤٨، الحديث ٣٤١٨٧ .
٣- صحيح البخاري ٢: ٤٧٧، الحديث ٣٧٥٣، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب الحسن والحسين. الجامع الكبير ٦: ١١٤، الحديث ٣٧٧٠ .
٤- آل عمران (٣) ، ٦١ .
٥- الشورى (٤٢): ٢٣ .
٦- الأحزاب (٣٣) : ٣٣ .
٧- الانسان (٧٦) :
٨- المائدة (٥): ٥٥ ، الأعراف (٧): ١٧٢ .

وقد ورد في كتب العامة أن مخلوقات ا ، كالسماء والأرض ، وكل حجر ومدر ، والملائكة ، قد بكت على الحسين(عليه السلام)(١)، وهذا ما لا يترك للمشككين منفذاً للتشكيك في شرعية إحياء ذكرى الحسين(عليه السلام).
وقد ذكر الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء: أن مشاهدهم وقبورهم قد شُعرتْ من قبل الرسول(صلى ا عليه وآله) حيث قد ورد عن طرق العامة(٢) ـ فضلا عن طرق الخاصة(٣) ـ الحثّ على زيارتهم ، وإعمار قبورهم ، وما شابه ذلك ، مما يدلّ على رغبة الشارع في إشادة هذا البنيان كمعلم للدين ، إذن كون هذه الشعيرة من الشعائر العظيمة للدين ، أمر مسلّم به .

أهل البيت(عليهم السلام) قد بينوا بعض مصاديق الشعائر

وقد بين أهل البيت(عليهم السلام) بعض الأساليب والمصاديق في إحياء الشعائر الحسينية ، إلاّ أن بيانهم(عليهم السلام) لتلك الأساليب لا يدلّ على الحصر ، وأن غيرها من الأساليب والمصاديق مرفوضة في الشرع .
ولنا أن نتساءل عن كيفية اختيار الشعائر المناسبة؟ ذكرنا : أن الشرط الأول في الشعائر الدينية ـ فضلا عن الشعائر الحسينية ـ أن تكون هذه الشعائر عملا مباحاً ، وهذا أمر جلي واضح . وقد مر علينا أن الشعائر تعني العلامات لمعنى ديني معين ،

١- تفسير القرآن العظيم ٤: ١٣٨ ، عند قوله تعالى **{فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ}** ، الدخان (٤٤): ٢٩ .

٢- ورد في الدرّ المنثور ٥: ٩١، ذيل سورة النور (٢٤): ٣٦، وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قال: قرأ رسول اللّه(صلى الله عليه وآله) هذه الآية **{في بيوت أذن الله أن ترفع }** فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول اللّه؟ قال: بيوت الأنبياء. فقام اليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ البيت علي وفاطمة قال: نعم، ومن أفاضلها .

٣- جامع احاديث الشيعة ١٥: ٩٠ ، ١٤٩ ، باب ما ورد في فضل زيارة الائمة المعصومين(عليهم السلام)، وباب استحباب عمارة قبور الأئمة(عليهم السلام) .

ونحن نرى أن الشعائر الحسينية تؤتي ثمارها إلى يومنا هذا ، ليس على صعيد مذهب أهل البيت(عليهم السلام) فحسب ، وإنما على صعيد المذاهب الإسلامية الأُخرى أيضاً ، كما هو حال شباب الانتفاضة الفلسطينية الذين اتخذوا من شباب المقاومة في جنوب لبنان نموذجاً لمحاربة إسرائيل ، والجنوبيون اتخذوا الحسين(عليه السلام)مناراً في حربهم وتحريرهم لبلادهم من رجس العدو الصهيوني .

في روايات أهل البيت(عليهم السلام) قد حدد المعنى الذي يجب أن تكون الشعائر الحسينية دالة عليه ، وقد جمع الحر العاملي ، في كتاب وسائل الشيعة قسم كتاب الحج في نهايته ، روايات تتحدث عن الزيارة ، مبوبة في ما يربو على المائة باب ، ومن الباب السابع والثلاثين إلى ما بعد الباب السبعين ، خصها صاحب الوسائل للشعائر الحسينية .

روايات وسائل الشيعة في إحياء الشعائر الحسينية

ولابد لمن يريد أن يقيم دراسة معمقة عن الشعائر الحسينية ، من الاطلاع على هذه الأبواب التي ذكرناها ، فمن المصاديق المذكورة في رواياتهم(عليهم السلام)البكاء والجزع ، ويعني : شدة الحزن على سيد الشهداء وزيارة الحسين(عليه السلام)وإنشاد الشعر .

والشعائر الحسينية لها عدة وجوه :

الوجه الأول:

هو الحزن والجزع والتفجع والبكاء.

والوجه الثاني:

هو الحماس وإثارة المشاعر وتجييش العواطف والفداء والتضحية والاستبسال والشجاعة.

والحماس على أنواع: فقد يكون حماساً متصلا باللّعب والحرص والطمع ، وقد يكون متصلا بالعمل والجد ، وقد يتصل بأُمور دنيوية ، ولكن الحماس في الشعائر الحسينية ، فهو أمر مختلف ، لأنّه يتصل بالحزن على سيد الشهداء .

والوجه الثالث:

والوجه الثالث للشعائر الحسينية،هو وجه المباديء والقيم النبيلة التي استشهد من أجلها الإمام الحسين(عليه السلام) ، ومن المعروف أن الإمام الحسين (عليه السلام)هو أكثر إمام من الأئمة المعصومين(عليهم السلام)، ورد الحثّ على زيارته ، وهذه الزيارات المأثورة تشد الزائر إلى المعاني التي من أجلها استشهد الحسين(عليه السلام) ، "لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تُلبسك من مدلهمات ثيابها وأُشهد أنّك من دعائم الدين وأركان المؤمنين"(١) .

وقد ورد من آداب الزيارة للحسين أن لا يملأ الزائر بطنه بالطعام والشراب ، بل يكون جائعاً وعطشاناً(٢) ، لكي يعيش أجواء استشهاد الحسين(عليه السلام)المقتول عطشاناً، وقد أنّب الإمام الصادق(عليه السلام)، بعض الشيعة الذين كانوا يتهادون الحلوى عند قبر الإمام الحسين(عليه السلام)، وقال لهم: "بلغني أن قوماً إذا زاروا الحسين بن علي(عليه السلام) حملوا معهم السفرة فيها الحلاوة والأخبصة وأشباهها ولو زاروا قبور أحبائهم ما حملوا معهم ذلك"(٣) ، باعتبار أن تهادي الحلوى لا يناسب أجواء المصيبة والحزن .

١- زيارة وارث .

٢- جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٧٦ ، باب جملة مما يستحب للزائر من الآداب وما فيه من الثواب وما يستحب تركه .

٣- جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٣٨١ ، الحديث ٢١٠٢٦، باب جملة مما يستحب للزائر من الآداب وما فيه من الثواب وما يستحب تركه .

ينبغي أن تكون ذكرى عاشوراء خالية من مظاهر الفرح

وقد ذكر الشيخ المفيد : أنّه يستحب في يوم العاشر للمؤمن ، أن لا يلتذّ بالطعام والشراب ، ولا يتزين بزينة ، ولا تكون حالته الظاهرة حالة فرح ، بل حالة حزن ومصاب(١) ، وقد اُثر عن الكثير من فقهاء الإمامية ، أنّهم كانوا لا يتناولون الفواكه في أيام عاشوراء ، باعتبارها مظهراً من مظاهر التلذّذ . وطبعاً ، وكان الأئمة(عليهم السلام)تبدو عليهم علامات الحزن بمجرد دخول شهر محرم الحرام .

المحافظة على قدسية الذكرى

وكانت عاشوراء في السابق أكثر تفجعاً وحزناً في البحرين ، كما ينقل بعض من عاصر تلك الحقبة ، أما الآن فكثرة الأكل ، وإن كان على حب الحسين(عليه السلام)والأكل على حب الحسين(عليه السلام) من الشعائر ـ إلاّ أن المبالغة في الأكل ، لا سيما إذا اُضيفت له الفواكه والحلويات ، لا يتناسب مع الحزن على مصاب سيد الشهداء(عليه السلام) ، كما أن البعض في موسم محرم لا يراعي حرمة المناسبة فيلبس لباساً مثيراً ، ويعتبر هذا اللباس محرماً شرعاً ، أو على أقل التقادير مقدمة لمحرم ، وكذلك بعض الألحان التي تكون في مواكب العزاء ، لا تتناسب مع الحزن والفاجعة في هذه الذكرى الأليمة .

وقد ورد في بعض الروايات الحثّ على قرآءة القرآن بحزن(٢) ، لأن اللحن الحزين يساعد على التدبر والتحليق في معاني القرآن الكريم ، وأتذكّر الألحان القديمة لحمزة الصغير ، وغيره من الرواديد رحمهم ا ، كانت ألحان مفجعة .

١- المقنعة: ٣٧٨ .

٢- وسائل الشيعة ٦: ٢٠٨ ، باب استحباب القراءة بالحزن، من أبواب قراءة القرآن ولو في غير الصلاة .

إذاً المطلوب من الألحان أن تكون ألحاناً حماسية حزينة ، لا ألحاناً حماسيةً مطربة ، وهذا الأمر ليس أمراً هامشياً ، وإنّما أمراً مهماً ، لأن الموكب واجهة مهمة ، تُبرز الشعائر الحسينية للناس .

المحاضرة الثانية

البكاء ، وعلاج ظاهرة الإرهاب والقسوة

محاور المحاضرة :

أولا : أركان الشعيرة الحسينية .

ثانياً : يجب أن تدل الشعيرة الحسينية على أهداف وقيم الثورة الحسينية .

ثالثاً : يجب تطبيق مواقف وأهداف الإمام الحسين(عليه السلام)على الواقع .

رابعاً : هل البكاء ظاهرة سلبية؟

خامساً : البكاء علاج لأمراض الروح والنفس.

سادساً : الإسلام والقرآن الكريم يثني على البكائين.

سابعاً : البكاء يقرب الإنسان إلى الفضائل ، ويرقق القلب.

ثامناً : هل الإرهاب مرادفٌ للصلابة والشدة؟

تاسعاً : المراحل التي تستند إليها القضايا القانونية.

عاشراً : الإمام الحسين(عليهم السلام) يرجع أعداءه إلى الأصول الأخلاقية.

أركان الشعيرة الحسينية

مر علينا الليلة الفائتة ، أن الروايات المتواترة عن أهل البيت(عليهم السلام) ذكرت بأن الشعيرة الحسينية يجب أن تتقوم بأركان ثلاثة :

الركن الأول: تَضمن معنى الحزن والمصاب والتفجع.

الركن الثاني: الحماس والعاطفة الجياشة.

والركن الثالث: المباديء والقيم النبيلة رسمها الحسين(عليه السلام) في نهضة .

وقد تقدم الكلام عن الركنين الأول والثاني وبقي الكلام عن الركن الثالث.

يجب أن تدل الشعيرة الحسينية على أهداف وقيم الثورة الحسينية

فإن ضرورة كون الشعيرة الحسينية دالة على المعاني والفضائل والقيم النبيلة والأهداف الإصلاحية والتي كانت منعطفاً مهماً في التاريخ الإسلامي ، وحيث إن أهل البيت(عليهم السلام) ، هم العدل الثاني الذين أُمرنا بالتمسك بهم ، فلابد أن تكون أقوالهم وأفعالهم وسيرتهم حجة ، ومن ثَمّ فإن الشعيرة الحسينية لابد أن تكون دالة على الأهداف والفضائل والقيم النبيلة التي قام من أجلها الحسين(عليه السلام) ، وصحح مسيرة الأُمة.

يجب تطبيق مواقف وأهداف الإمام الحسين(عليه السلام) على الواقع

ويجب أن تجعل الشعيرة الحسينية ، من منطلقات الإمام الحسين(عليه السلام)وأهدافه ، محوراً وقطباً ومنهلا تنتهل منه الحلول لقضايانا الراهنة ، وإذا كان استعراض القضايا الراهنة بعيداً عن فكر كربلاء وعطاء الحسين(عليه السلام) ، فإن الشعيرة الحسينية لا تُؤدي غرضها كما ينبغي ، وكذلك استعراض السيرة الحسينية بعيداً عن ربطها بالقضايا الراهنة المعاصرة يقف عائقاً أمام تحقيق غرض الشعيرة الحسينية ، ولا يمكن للشعيرة الحسينية أن تُؤدي غرضها ، إلاّ إذا قمنا بتحليل مواقف الإمام الحسين(عليه السلام) ، وكلماته وتطبيقها على الواقع ، وحينئذ نكون قد تمسكنا بالإمام الحسين(عليه السلام) الذي هو مصباح الهدى وسفينة النجاة.

هل البكاء ظاهرة سلبية؟

ومن المعروف أن البكاء من الأُمور المؤكّدة التي حثّ عليها أهل البيت(عليهم السلام)(١)،

١- جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٤٢٩ ، باب أنّه يستحب البكاء لما أصاب أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله)وخصوصاً الحسين(عليه السلام) .

بل هو من أبرز الشعائر الحسينية .

ومن القضايا المثارة حول شعائر الحسين(عليه السلام) ، هي قضية البكاء والجزع ، التي تثير اعتراضات من قبل غير المسلمين أو غير الشيعة من المذاهب الإسلامية ، وهذه الاعتراضات اعتراضات غير مدروسة ، لأن البكاء ظاهرة نفسية تستحق البحث والدراسة في حقول علم النفس .

فهل أن البكاء ظاهرة سلبية بما تحمله من حالة الانكسار والضعف وعدم الشجاعة في مواجهة الواقع ـ كما يقولون؟

البكاء علاج لأمراض الروح والنفس

والدراسات الغربية تؤكّد أن الكثير من العقَد والأمراض النفسية والاجرام والاضطرابات الروحية ، إنّما تحصل نتيجة غياب وفقدان البكاء ، وأن في البكاء علاج لهذه الأمراض الروحية والنفسية ، وقد عمل بعض الأطباء الغربيين على تهيئة أجواء البكاء لبعض المرضى ، أو كما يصطلحون عليه بالبكاء الاصطناعي في مقابل البكاء الطبيعي ؛ لأن في البكاء علاج نفسي .

الإسلام والقرآن الكريم يثني على البكّائين

فمسألة البكاء يجب أن تخضع لدراسة ، ولا ينبغي أن يحكم عليها بالسلبية ، خصوصاً أن الإسلام قد حثّ على البكاء من خشية ا والتوبة من الذنوب والرجوع إلى ا .

ونلاحظ أن القرآن الكريم قد أثنى على القسيسين والرهبان ، لأن أعينهم تفيض من الدمع قال تعالى: **{لتَجِدن أَشَد الناس عداوةً ِللذين آمنُوا الْيهود والذين أَشْركُوا ولتَجِدن أَقْربهم مودةً ِللذين آمنُوا الذين قَالُوا ِإنا نَصارى ذَلِك بِأَن منْهم قسيسين**

ورهباناً وأنهم لاَ يستَكْبِرون* وإِذَا سمعوا ما ٱُنزِلَ إِلى الرسول تَرى أَعينَهم تَفيض من الدمع مما عرفُوا من الْحق يقُولُون ربنَا آمنا فَاكْتُبنَا مع الشاهدين}(١) .

البكاء يقرب الإنسان إلى الفضائل ، ويرقق القلب

الكبر والعجب والتعجرف والاستعلاء والعصبية أمراض ، وتعتبر ظاهرة البكاء علاج لهذه الأمراض ، ويستطيع البكاء أن يقتلع الكثير من جذور الصفات المذمومة في النفس.

ولا يقترب الإنسان ـ في أغلب الأحيان ـ من البكاء إلاّ إذا اقترب إلى الفضائل والقيم النبيلة والمباديء الإنسانية العالية ، وتكون نتيجة هذا البكاء هو تخلّص الإنسان من الرذائل ، وابتعاده عن الأفراد والجماعات التي تمارس هذه الرذائل الروحية ، ويقرب البكاء الإنسان إلى الفضائل ويجعله يحب ، ويقترب إلى أهل الفضائل والمحسنين والصالحين .

الحكمة الإلهية لخلق حالة البكاء عند الإنسان

ولو تساءلنا ، لِم خلق ا حالة البكاء ، وجعلها مرتبطة بالإنسان؟ الجواب هو : أن البكاء تصحيح ، وطب نفسي سريع جداً للأمراض المتجذّرة ، والتي ربما تكون أمراضاً نفسية سرطانية خطيرة تهدد مستقبل الإنسان والمجتمع ، ومن ناحية ٱُخرى فإن البكاء يبني الفضائل والمحاسن في نفس الإنسان بشكل سريع أيضاً ، فعلى سبيل المثال : الخشوع ، وهو من أفضل الكمالات التي يحصل عليها الإنسان ، ورقّة القلب والصفاء النفسي له علاقة وثيقة بالبكاء ، ويختصر البكاء الطريق إلى ا ويقرب إليه .

١- المائدة (٥) : ٨٢ ـ ٨٣ .

الآثار الإيجابية للبكاء

ولا نجد في المصادر الإسلامية من القرآن(١) وأحاديث أهل البيت(عليهم السلام)(٢) بل حتّى روايات أهل السنّة المذكورة في صحاحهم(٣) ؛ إلاّ الثناء والمدح للبكاء والتنويه بآثاره الإيجابية ، لأن البكاء يقف مقابل الرعونة والخشونة والقساوة ، والمجتمع الدولي يعاني اليوم من الإرهاب والقساوة والعنف والفرعنة والأنانية .

ويصلح البكاء إذا ما نجحنا في تفعيله في النفس أن يذهب القساوة والعنف والإرهاب من نفس الإنسان ، فمن الخطأ الاستخفاف والاستهزاء بالبكاء ، لأن البكاء من أفضل العبادات ، والإنسان يكون في أقرب الحالات إلى ا تعالى إذا كان في حالة الانكسار والتضرع والضعف .

الحسين قتيل العبرة

والبكاء يصاحب هذه الحالات النفسية العالية ، ومن هنا كانت روايات أهل البيت(عليهم السلام) تعبر عن الحسين(عليه السلام) أنّه "قتيل العبرة"(٤) ، والعبرة هي الدمعة والبكاء المرتبط بالفضائل ، والنبي(صلى ا عليه وآله) يقول: "إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٥) ، إذاً العبرة الحسينية تصب في مصب بناء مكارم الأخلاق وتتناغم مع أهداف الرسالة المحمدية .

لا بد من التفاعل مع القضية ، لكي نستطيع تفعيل دور البكاء

وبعض الروايات تشير إلى أن من أسرار استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) ، هو بكاء

١- الاسراء (١٧): ١٠٩ . مريم (١٩): ٥٨ .
٢- وسائل الشيعة ٧: ٧٤، باب استحباب الدعاء مع حصول البكاء .
٣- صحيح مسلم ٢: ٥٣٠، الحديث ٩٢٣ ، كتاب الجنائز (١١) .
٤- وسائل الشيعة ١٤: ٤٢٢، الحديث: ١٩٥٠٦ .
٥- جامع أحاديث الشيعة ١٧: ٥١٩ ، الحديث ٢٤٢٦٧ ، باب مكارم الأخلاق .

المؤمنين عليه(١) ، باعتبار أن البكاء له دور كبير في البناء الاجتماعي وتحصينه من الآفات وحثّه على المكرمات .

ولا يمكن للبكاء أن يفعل مفعوله في النفس ، إلاّ إذا عرف الإنسان آثاره الإيجابية ، وسعى إليه وتفاعل مع القضية التي بكى من أجلها ، وبكى باعتبار البكاء باباً من أبواب الفضيلة والكمال الإنساني ، ومن المعروف أن ا قريب من الخاشعة قلوبهم وبعيد عن القاسية قلوبهم .

هل الإرهاب مرادف للصلابة والشدة

الآن سنبحث عن موضوع الإرهاب كمرادف للوحشية والحيوانية والرعونة والخشونة والقسوة والعدوان ، وفي مقابله اللين والرفق والسلام ، وما نريد أن نبينه هنا ، هو هل كل موقف من مواقف الشدة والصلابة هو موقف إرهابي وحشي؟

الإجابة القانونية لهذا السؤال

وللجواب عن هذا السؤال لابد أن نستعرض الإجابة القانونية سواء كان القانون قانوناً إلهياً سماوياً أو قانوناً أرضياً وضعياً ، وقبل الإجابة عن السؤال ، لابد من معرفة الخلفيات الحقوقية لهذا الموضوع ، وتسبق هذه الخلفية الحقوقية مرحلة أخلاقية ، ثم رؤية فلسفية عقائدية ، وهذا أمر متسالم عليه عند فقهاء القانون الإلهي والوضعي ، إذاً هناك أربع مراحل :

المرحلة الأولى: رؤية عقائدية وفلسفية ، والمرحلة الثانية : المرحلة الأخلاقية ، والمرحلة الثالثة : القضية الحقوقية ، والمرحلة الرابعة: القضايا القانونية .

١- بحار الأنوار ٤٤: ٢٧٩ ، الحديث ٥ و٦ ، باب ثواب البكاء على مصيبته، ومصائب سائر الائمة(عليهم السلام) .

المراحل التي تستند إليها القضايا القانونية

المرحلة الأولى: رؤية عقائدية فلسفية ، سواء كانت دينية تعتقد بوجود الخالق ، أو رؤية مادية لا تعتقد بوجود الخالق هل الإنسان هو المحور؟ أم ا هو المحور؟ أو المجتمع هو المحور؟ ولابد من تحديد الرؤية العقائدية والنظرة الفكرية للكون ، وحتى الدساتير الغربية التي كانت تعتبر الفرد هو المحور والحريات الفردية هي المقدمة على غيرها ، قالت: ينبغي الموازنة بين حرية الفرد وحرية المجتمع على كلّ حال ، هذه الدساتير تستند إلى رؤية عقائدية معينة ، أياً كانت هذه الرؤية ، وهو ما يسمى في العلوم الإسلامية بـ "علم الكلام" أو "نظرية المعرفة" .

المرحلة الثانية : القضايا الأخلاقية .

المرحلة الثالثة: القضايا الحقوقية .

المرحلة الرابعة: القضايا القانونية .

لا يمكن الحكم على القانون دون معرفة خلفياته الحقوقية والأخلاقية والعقائدية

ومن المستعصي أن تعرف أن هذا القانون قانون عادلٌ ظالم ، وأنت لا تعرف خلفيته الحقوقية ، ومن الممتنع أن تحكم على أمر معين بالصحة أو الخطأ ، وأنت لا تعرف فلسفته الأخلاقية ، ومن الممتنع أن تحكم على رؤية أخلاقية ، من دون أن تتعرف على الرؤية العقائدية التي تستند إليها تلك الرؤية الأخلاقية ، فمثلا : بعض فلاسفة الغرب يعتقدون أن كل منظومة الأخلاق ، هي وليدة الغرائز الجنسية ، ويدعون إلى الإباحة الجنسية ، أما الرأي الآخر فيقول : هناك روح وهناك قوة عقلية يجب أن تهذّب الغريزة الجنسية وتضبطها عن الخروج من الإطار الذي حدد لها . ومن الواضح أن حكم هؤلاء القانوني سيختلف عن حكم أولئك ، باعتبار

الاختلاف الناتج عن الخلفيات العقائدية الفلسفية والأخلاقية والحقوقية.
وهناك مدرسة الباراسيكلوجية أو علماء الأثير ، ولهم نظرة مخالفة للماديين ، ونظرياتهم مشابهة للنظريات الدينية والملل الموحدة ، ولهم مدارس وبحوث وجامعات وأكاديميات ومنتديات علمية ومباحثهم معطاءة وخلاّبة

لابد من دراسة الخطوط الحمراء والخضراء بناء على هذه الخلفيات

وإذا أردنا دراسة الإرهاب كمرادف للوحشية والرعونة والخشونة والحيوانية والقسوة وإثارة الحروب والبغض والكراهية ، وفي مقابلة اللّين والرفق والسلام والهدوء والأمن والحوار والتأنّي في الحكم والإخاء والصداقة والمحبة ، فلابد أن ندرس القانون وخلفياته الحقوقية والرؤية العقائدية الفلسفية التي تستند إليها هذه الخلفية ، من أجل معرفة الصحيح من السقيم في كل هذه الأمور التي ذكرناها ؛ لكي تتبين الخطوط الحمراء والصفراء والخضراء ، وأين يكون التجاوز وأين يجوز الحكم...

رؤيتنا العقائدية تبتني على وجود الخالق وتوحيده

وإذا كان بحثنا بحثاً علمياً منطقياً ، فلا بد لنا أن نلتزم بهذا التسلسل ، ولابد من البداية من الرؤية العقائدية، ولاداعي للتفصيل في هذه الرؤية العقائدية؛ لأنّنا مسلمون وموحدون،وهذا من المسلّمات التي نعيشها، وأمر مفروغ منه.

لكل فعل منشأ أخلاقي

وقبل الدخول في المرحلة الأخلاقية نُنوة إلى قاعدة ذكرها علماء الفلسفة وعلماء الأخلاق،وهي: "أن لكل فعل ، جذر أو منشأ أخلاقي عند الفرد وعند المجتمع" ، اي : كل ظاهرة فردية أو اجتماعية أو أُسرية ، لها منشأ نفساني

أخلاقي ، وكل عمل فردي أو اجتماعي ، لابد أن ينطلق من رؤية عقائدية معرفية معينة .

الارتباط بين المراحل الأربع

والنزاع القانوني لايمكن حلحلته ، وتتبع أوراقة وحقائقه ، إلاّ عبر هذه المراحل الأربع التي ترتبط فيما بينها ارتباطاً شديداً ، ونحن نلاحظ أن الدساتير في البلدان الإسلامية تشير إلى أن دين الدولة الإسلام ، وأن القرآن مصدر التشريع أو بعبارات قريبة من هذا المعنى ، ومن هذا المنطلق يجب أن يتنبه القانونيون إلى أن الأصول القانونية ليست هي فقط المواد الدستورية ، ونقصد من الأصول القانونية "البنى الأساسية التي يرجع إليها في سن القوانين ، وترجع إليها تفاصيل القوانين والقوانين الفرعية" ، فيجب الالتفات إلى أن الأصول القانونية ليست مقتصرة على المواد الدستورية الأم ـ الأصلية ـ ، بل إلى المواد الأخلاقية التي يؤمن بها ذلك المجتمع ، التي هي نفسها أصول قانونية بناء على ما ذكرناه من ارتباط المراحل الأربع .

روح الشريعة وفقه المقاصد

النهضة الحسينية ومفهوم الإرهاب والسلام

وما ذكره فقهاء الإمامية : من أن هناك روح الشريعة وفلسفة "الأحكام ترجع إلى أصول قانونية ، ولكن لا تقتصر على الأصول القانونية الفرعية ، وما يسمى بـ "فقه المقاصد" لا يعني : إرجاع الفقه إلى المقاصد الفرعية ، بل هناك ما هو أكثر أصالة من الأحكام الفرعية ، وهي البنية التحتية الأخلاقية التي تهيمن على القوانين الفرعية.

صحيح أن هناك فرق بين الباحث القانوني والباحث الأخلاقي باعتبار اختلاف التخصص ، والقاضي أيضاً سواء كان قاضياً مدنياً أو شرعياً إلاّ أن عليهم

أن يفصلوا النزاع بالمواد القانونية التي ترجع إلى الهيمنة الأخلاقية، كما ذكرنا .

الإمام الحسين(عليه السلام) يرجع أعداءه إلى الأصول الأخلاقية

وفي واقعة الطف يخاطب سيد الشهداء(عليه السلام) الوجدان العربي ، فمثلا : عندما اعتدى الجيش الأموي على مخيم الإمام الحسين(عليه السلام) ، وعلى حرم رسول ا (صلى ا عليه وآله) ، قال لهم الحسين(عليه السلام): "ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى أحسابكم إذ كنتم أعراباً ، فناداه شمر فقال: ما تقول يا ابن فاطمة؟ قال: أقول: أنا الذي أُقاتلكم ، وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح..."[1] ، أي أن الحسين(عليه السلام) عندما شعر أن القانون والشرع لم يؤثّرا في هؤلاء الأعداء ، حاول إرجاعهم إلى الأصول الأخلاقية ، فقال لهم : كيف تقومون بهذا الفعل المتناقض مع الأخلاق والإنسانية؟!

١- بحار الأنوار ٤٥: ٥١ ، باب سائر ماجرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد بن معاوية .

المحاضرة الثالثة
استناد الأحكام القانونية للقاعدة
الأخلاقية في التشريع الإسلامي

محاور المحاضرة:

أولا: الاختلاف بين التعامل القانوني والتعامل الأخلاقي .

ثانياً: فصل النزاعات بالقانون أم بالأخلاق؟

ثالثاً: الصلة بين الموازين الأخلاقية والموازين القانونية .

رابعاً: القانون يهدد في حالة الحدية في تطبيق القانون مع استبعاد العنصر الأخلاقي .

خامساً : القرآن يأمر بالأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين .

سادساً : الرفق في مرحلة نص القانون، وفي مرحلة تطبيق القانون .

سابعاً : سن القوانين وتفسيرها تبعاً لمصالح شخصية .

ثامناً: الفرق بين العفو والإعراض عن الجاهلين .

تاسعاً : كظم الغيظ ، والسيطرة على القوة الغضبية .

عاشراً: أحاديث أهل البيت(عليهم السلام) في الرفق والحلم .

الاختلاف بين التعامل القانوني والتعامل الأخلاقي

وإكمالا لحديثنا السابق نطرح تساؤلا وهو :

كيف تكون الأخلاق أساساً ، وبنية تحتية للقانون ، مع أن الأخلاق والقانون

أمران مختلفان، سواء كانا في نطاق الفرد أو الأسرة أو المجتمع أو بين الدول؟

وكيف يكون ذلك مع أن التعامل القانوني تعامل صارم حاد وجاف، والتعامل الأخلاقي يعتمد على المرونة والدماثة واللّين والرفق والإحسان للمسيء؟

فصل النزاعات بالقانون أم بالأخلاق؟

تارة يتم فصل النزاع بين الأفراد أو الأسر أو المجتمعات أو الدول عن طريق القانون ، وتارة يتم ذلك عن طريق التعامل الأخلاقي بين الطرفين المتنازعين أو بمبادرة أحد الطرفين المتنازعين .

وفي تفسير قوله تعالى: **{والذين يصلُون ما أَمر ا ُ به أَن يوصلَ ويخْشَون ربهم ويخَافُون سوء الْحسابِ}**(١) ، قال الإمام الصادق(عليه السلام) في تفسير "سوء الحساب" ، أي: "الاستقصاء والمداقة..."(٢) .

وأخوف ما يخاف العبد من ا تعالى أن يعامله بالعدل ؛ لأن الإنسان إذا عامله ا بعدله فلن ترجح كفة حسناته على كفة سيئاته ، وسيكون مصير العبد هو الخسران المبين ، ولذلك فنحن نرجو أن يعاملنا ا بفضله وعفوه ، ولا يعاملنا بعدله ، إذن هناك فرق بين القضاء والحكم بالقانون ، وبين القضاء والحكم بالأخلاق ، ومن المفترض أن يربط البحث القانوني بالعدالة والحقوق لا بالفضل والإحسان والأخلاق ، ومن هنا يطرح الإشكال الذي يثير علامة استفهام على جعل القوانين تستند إلى الأخلاق .

الصلة بين الموازين الأخلاقية والموازين القانونية

وقالوا في إشكالهم: لاصلة بين النصوص القانونية والنصوص الأخلاقية، ولا

١- الرعد (١٣): ٢١ .

٢- وسائل الشيعة ١٨: ٣٥٠ ، الحديث ٢٣٨٢٤ .

يصلح أن تستنبط الأحكام القانونية استناداً إلى الموازين الأخلاقية . وكما يقال: أن القانون يمهد إلى الحياة الخلقية، ولكن هناك اختلاف كما أشرنا بين الأمرين باعتبار أن الموازين القانونية تستلزم استيفاء كل حدود القضية .

القانون يهدد في حالة الحدية في تطبيق القانون مع استبعاد العنصر الأخلاقي

وللرد على هذا الإشكال نقول : إذا سلّمنا أنّه إذا كانت الموازين القانونية أقل مرتبة من الموازين الأخلاقية ، وأن الموازين القانونية أقل مرتبة من الموازين الأخلاقية ، وأن الموازين القانونية تهدف إلى غرس الفضيلة في المجتمع ، فإن المشرع القانوني الديني أو المشرع القانوني الوضعي يضع نصب عينيه الوصول إلى الغايات الأخلاقية حينما يسن القوانين في المجتمع ، ولو بني النظام القانوني على القصاص الحدي في جميع النزاعات بدون أي مرونة أو عفو أو تعاطي في هذه القضية ، لكان ذلك منشأ اختلال نفس ذلك القانون ؛ لأن ذلك يمثّل جفافاً ، والجفاف سريع الاشتعال ، وهذا الاشتعال سواء بين الأطراف المتنازعة على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات والدول سيؤدي إلى تأزم القضية ، وإلى القضاء على القانون الذي ابتعد عن الموازين الأخلاقية وألغاها تماماً ، والنفس البشرية لا تتلاءم مع الانصياع والخضوع للموازين القانونية الحدية التي تستبعد الموازين الأخلاقية وتقضي عليها ، إذن من المستحيل الاستغناء عن العنصر الأخلاقي في الموازين القانونية ، وأن هذا العنصر هوالذي يساهم في حفظ استقرار القانون وصونه ، ومع هذا نقول : أنّه ليس من الضروري أن يؤمن القانون جميع الدرجات في الموازين الخُلقية ، بل إنّه قد يبتعد بنسبة معينة حسب متطلبات القضية ، وهذا الأمر مسلّم به عند علماء المسلمين .

القرآن يأمر بالأخذ بالعفو والإعراض عن الجاهلين

يعتبر الإسلام ، بل حتّى الديانات الأُخرى ، أن الرفق واللّين والروية والتعقّل والحلم والحوار ، هو الأصل في قوانين الإسلام على المستوى الاجتماعي والفردي ، ففي الآية الكريمة التي يعبر عنها المفسرون ، أنّها من التوصيات القانونية التي أوصى بها ا تعالى نبيه في القرآن الكريم ، وهي قوله تعالى **{خُذْ الْعفْو وأْمر بِالْعرف وأَعرِض عن الْجاهلين}**(١) ، خذ العفو ، أي : أن العفو ركيزة أساسية ، رئيسية في سيرة النبي (صلى ا عليه وآله) ، القانونية والسياسية والقضائية والإجرائية والتشريعية ، و**{خُذْ الْعفْو}** إذا كان للعفو سبيل ، وهذا الأمر إلزامي من ا لنبي الرحمة محمد(صلى ا عليه وآله) .

{وأْمر بِالْعرف} البعض قال: أن العرف هو ما تعارف عليه الناس(٢) ، وهذا قول مردود ؛ لأن النبي(صلى ا عليه وآله) يعمل طبقاً لخطة الوحي الإلهي ، وأن عرف الناس قد يحمل الكثير من رواسب الجاهلية ، وهذا يتناقض مع دور النبي الذي عبر عنه القرآن الكريم: **{يأْمرهم بِالْمعروف وينْهاهم عن الْمنكرِ ويحل لَهم الطيبات ويحرم علَيهم الْخَبائِثَ ويضع عنْهم إِصرهم والْأَغْلالَ التي كَانَتْ علَيهِم}**(٣) ، والبعض الآخر قال: **{وأْمر بِالْعرف}** ، أي : ما تعرفه الفطرة البشرية ، أي : ما يعرفه العقل من الحسن والقبح(٤) ، وهذا المعنى صحيح في نفسه ؛ لأن الدين الإسلامي دين الفطرة **{فَأَقم وجهك لِلدينِ حنيفاً فطْرةَ ا ـ التي فَطَر الناس علَيها لاَ تَبديلَ لِخَلْق ا ـ ذَلِك الدين الْقَيم**

١- الأعراف (٧): ١٩٩ .
٢- الميزان ٨: ٣٨٠ ، عند قوله تعالى (وأمر بالعرف) ، الأعراف (٧) : ١٩٩ .
٣- الأعراف (٧) : ١٥٧ .
٤- مجمع البيان ٤: ٧٨٧ ، عند قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالمعروف) ، الأعراف (٧) : ١٩٩ .

ولكن أَكْثَرَ الناسِ لاَ يعلَمون}(١) ، والروايات تشير إلى أن النبي هو الرسول الظاهر ، والعقل هو الرسول الباطن(٢) ، وهذا المعنى وإن كان صحيحاً في نفسه ، إلاّ أن ظاهر اللفظ لا يساعد عليه ، وينبغي تهيئة الجو الاجتماعي لتقبل القانون ، وأن لا يتم إقحام القانون في أجواء لا تتفاعل معه ، وأن أي قانون جديد إذا أردنا أن نطبقه في مجتمع ما ، لابد أن يسبقه وعي قانوني ، وثقافة قانونية ناضجة ، لأنّه لا يكفي أن يكون القانون متكاملا ، بل يجب مراعاة استيعاب الناس لهذا القانون ، ولهذا السبب نزول القرآن بشكل مفصل وتدريجي ، حتى تتهيأ النفوس للتفاعل معه ، ولأن الناس لا تستوعب التربية القرآنية على شكل دفعة واحدة بدون تهيئة .

قال السيد الطباطبائي ، في ذيل تفسير هذه الآية الكريمة: **{خُذْ الْعفْو وأْمر بِالْعرف وأَعرِض عن الْجاهلين}**(٣) قال: "الأخذ بالشيء هو لزومه أو عدم تركه فأخذ العفو ملازمة الستر على إساءة من أساء إليه ، والإغماض عن حق الانتقام الذي يعطيه العقل الاجتماعي لبعضهم على بعض . هذا بالنسبة إلى إساءة الغير بالنسبة إلى نفسه والتضييع لحق شخصه ، وأما ما أُضيع فيه حق الغير بالإساءة اليه فليس مما يسوغ العفو فيه ، لأنّه إغراء بالإثم ، وتضييع لحق الغير بنحو أشد، وإبطال للنواميس الحافظة للاجتماع ، ويمنع عنه جميع الآيات الناهية عن الظلم والإفساد وإعانة الظالمين والركون إليهم ، بل جميع الآيات المعطية لأصول الشرائع والقوانين ، وهو ظاهر .

فالمراد بقوله: **{خُذْ الْعفْو}** ، هو الستر بالعفو فيما يرجع إلى شخصه(صلى الله عليه وآله) وعلى ذلك كان يسير فقد تقدم في بعض الروايات المتقدمة في أدبه(صلى الله عليه وآله) : أنّه لم ينتقم من

١- الروم (٣٠) : ٣٠ .
٢- الكافي ١: ١٦ ، الحديث ١٢ ، كتاب العقل والجهل .
٣- الأعراف (٧) : ١٩٩ .

أحد لنفسه قط"(١) .

وفي تفسير الأمثل ، في ذيل هذه الآية الكريمة ، قال: "العفو قد يأتي بمعنى الزيادة في الشيء أحياناً ، كما قد يأتي بمعنى الحد الوسط ، كما يأتي بمعنى قبول العذر والصفح عن المخطئين والمسيئين ، ويأتي أحياناً بمعنى استسهال الأمور... ، ومن البديهي أنّه لوكان القائد أو المبلغ شخصاً فظّاً صعباً ، فإنّه سيفقد نفوذه في قلوب الناس ، ويتفرقون عنه ، كما قال القرآن الكريم: **{ولو كُنْتَ فَظّاً غَليظَ الْقَلْبِ لانْفَضوا من حولك}**(٢) ، ثم تعقب الآية بذكر الوظيفة الثانية للنبي(صلى الله عليه وآله)... ، وهي تشير إلى أن ترك الشدة لا يعني المجاملة ، بل هو أن يقول القائد أو المبلغ الحق ، ويدعو الناس إلى الحق ولا يخفي شيئاً"(٣).

الرفق في مرحلة نص القانون ، وفي مرحلة تطبيق القانون

ونريد أن ننوه أن اللّين والرفق تارةً يكون في النص القانوني والمادة القانونية ، وتارةً يكون في الأداء والإجراء القانوني والقضائي المتخذ مع المتهم ، فقد تكون المادة القانونية خالية من الحدة والقساوة والظلم ، ولكن الإجراء القانوني وتطبيق المادة القانونية هوالذي يحمل الحدة والقساوة .

سن القوانين وتفسيرها تبعاً لمصالح شخصية

وهذا الأمر قد يستفاد منه بشكل إيجابي ، وقد يستفاد منه بشكل سلبي وبصور خطيرة ؛ لأن أصحاب المصالح الشخصية قد يتلاعبون في المادة القانونية ، ويفرغونها من محتواها حسب مصالحهم ، أو يفسرونها بتفسيرات تتناسب مع

١- الميزان ٨: ٣٧٩ ، عند قوله تعالى **{خذ العفو وأمر بالعرف}** ، الأعراف (٧): ١٩٩ .

٢- آل عمران (٣): ١٥٩ .

٣- الأمثل ٥: ٣٣٩،عند قوله تعالى**{خُذْ الْعَفْوَ وأمُرْ بِالمَعْرُوفِ}** الأعراف (٧): ١٩٩.

ميولهم ومصالحهم وأطماعهم ، والتلاعب في المواد القانونية أمر في غاية الخطورة ، حتى في النزاعات الدولية بين الدول التي تريد تسخير القوانين وتفسيرها حسب مصالحها ، فعلى سبيل المثال : قد يسمى التحرير إرهاباً ، وهذه مغالطة جلية وواضحة ، وهناك فرق كبير بين الإرهاب والتحرير ، والغرض من تغيير الإسم ، هو أن القوى الكبرى لا تستطيع الاعتراض على شعب يريد تحرير أرضه ؛ لأن هذا حق طبيعي مكفول ، ولكنّها تسمي التحرير إرهاباً من أجل عرقلة التحرير ، ووضع السدود أمامه ، ولكي تكون هذه العرقلة مصبوغة بصبغة شرعية ومقبولة لدى المجتمع الدولي ، وهي صبغة محاربة الإرهاب ، وهم في هذه الحالة يعملون على صناعة رأي عام مزور من أجل تطبيق قوانين مزورة ومزيفة وظالمة قائمة على التحايل والغش القانوني ، في المقابل نحن نحتاج إلى أن نعمل على صناعة رأي عام صادق من أجل أن يتقبل المجتمع القانون القضائي الصادق .

الفرق بين العفو والإعراض عن الجاهلين

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}(١) وهذا أيضاً نوع من أنواع اللّين والرفق ، وهناك فرق بين الإعراض عن الجاهلين ، وبين العفو عنه ، لأنّك قد تعفو عن إنسان ما ، ولكن يبقى في نفسك شيء تتذكّر به ذلك الفعل السيء الذي فعله ذلك الجاهل ، والمقصود من الجاهل هو ذلك الشخص الذي يتعدى الحدود ويظلم ، والجهل هنا مقابل العقل الذي يعني : التقيد بالتعاليم الدينية ، وليس الجهل هنا في مقابل العلم ، لأن العلم قد يدعوك إلى التعقّل ، وقد يسيء الإنسان الاستفادة من العلم .

الفرق بين الإعراض والعفو ، أن الإعراض مرتبة أعلى من العفو ، لأن العفو وإن كان متضمناً لمسامحة الجاهل ، إلاّ أنّه يبقى في النفس شيء من ذلك الأمر ، وربما

١- الأعراف (٧): ١٩٩ .

تحدثك نفسك بالانتقام منه والنقمة عليه ، ولكن الإعراض لا يبقى في نفس الإنسان بعد أن يعفو عن الجاهل شيء ، وقد يعبر عن الإعراض بالصفح ، **{فَاصفَح الصفْح الْجميلَ}**(١) ، وذكر علماء الأخلاق والتفسير والفقه والقانون أن هذه الآية **{خُذْ الْعفْو...}**(٢) من أمهات الآيات ، وقد جمعت أُصول علم الأخلاق ، والبحث فيها طويل .

كظم الغيظ ، والسيطرة على القوة الغضبية

الآية الأُخرى تقول: **{والْكَاظمين الْغَيظَ والْعافين عن الناس وا ُ يحب الْمحسنين}**(٣) ، وكظم الغيظ يعني : مسك النفس وحبس الغيظ والسيطرة على القوة الغضبية ، وتعاليم أهل البيت(عليهم السلام) تحثّنا على أن لا نؤدب أولادنا في حالة الغضب والغيظ(٤) لأن الغضب قد يخرج التأديب عن هادفيته ، فكظم الغيظ يعني : إخماد سورة الغضب ، وهذه توصية اجتماعية ، وليست توصية فردية فقط ، والغضب قد يخرج القاضي حينما يقضي عن إطار تحكيم العقل بصورة صحيحة لما للقوة الغضبية من أثر سلبي في هذا المجال ، وعندما يهدأ الغضب يبدأ العقل في العمل بصورة طبيعية بعيدة عن أي مؤثّرات قد تؤثّر على الحكم الصحيح .

اختلاف المصطلحات

إذن عندنا ثلاثة مصطلحات:الأول: هوالعفو، وهو أن تسامح المعتدي عليك،

١- الحجر (١٥) : ٨٥ .
٢- الأعراف (٧) : ١٩٩ .
٣- آل عمران (٣) : ١٣٤ .
٤- بحار الأنوار ٧١: ٤٢٨ ، كتاب الايمان والكفر ، باب الحلم والعفو وكظم الغيظ ، كقول علي(عليه السلام) : "ولا نسب أوضع من الغضب" .

ولكن يبقى في نفسك شيء . والثاني : كظم الغيظ يبقى في نفسك شيء تجاهه. والثالث: وهو الأفضل منهما، الصفح والإعراض ، وهو أن تنسى أنّك قد عفوت عنه ، وهناك الصفح(١) وهناك الصفح الجميل(٢) ، وهو مرتبة أعلى .

قال تعالى: **{ادفَع بِالتي هي أَحسن فَإِذَا الذي بينَكَ وبينَه عداوةٌ كأنه ولِي حميم}**(٣)وقال تعالى: **{ادفَع بِالتي هي أَحسن السيئَةَ}**(٤) ، وتارة يكون التعبير بـ **{الحسنة}**(٥) ، وتارة بـ **{التي هي أحسن}** ، وأما تعبير **{وإنك لعلى خُلُق عظيم}**(٦) ، فهذه هي أرفع الدرجات على الإطلاق .

أحاديث أهل البيت(عليهم السلام) في الرفق والحلم

قال النبي(صلى ا عليه وآله) : "بعثت بالحنيفية السمحة ، ومن خالف سنّتى فليس منّي"(٧) .

وقال النبي(صلى ا عليه وآله) : "لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خلق ا شيء أحسن منه"(٨) .

وقال(صلى ا عليه وآله)(عليهم السلام)"لو كان الخرق ـ الحدة ـ خُلقاً يرى ما كان في شيء من خلق ا أقبح منه"(٩) .

١- البقرة (٢) : ١٠٩ .
٢- الحجر (١٥) : ٨٥ .
٣- فصّلت (٤١) : ٣٤ .
٤- المؤمنون (٢٣) : ٩٦ .
٥- الرعد (١٣) : ٢٢ .
٦- القلم (٦٨) : ٤ .
٧- ميزان الحكمة ٢: ٩٥٢ ، الحديث ٦٢٧٩ .
٨- وسائل الشيعة ١٥: ٢٧٠ ، الحديث ٢٠٤٨٢ .
٩- وسائل الشيعة ١٦: ٢٧ ، الحديث ٢٠٨٧٤ .

وعنه(صلى ا عليه وآله) : "إن الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه ، ولا نزع من شيء إلاّ شانه"(١) .

ومن الأحاديث الواردة في هذا المجال: "إن لكل شيء قفلا ، وقفل الإيمان الرفق"(٢) ، أي الحافظ للإيمان ، الرفق .

ومنها: "ما اصطحب اثنان إلاّ كان اعظمهما أجراً وأحبهما إلى ا ، أرفقهما بصاحبه"(٣) .

ومنها : عن النبي(صلى ا عليه وآله) : "الرفق يمن ، والخرق شؤم"(٤) .

ومنها : "الرفق نصف العيش"(٥) .

وعن علي(عليه السلام) : "الحدة ضرب من الجنون ، لأن صاحبها يندم ، فإن لم يندم فجنونه مستحكم"(٦) .

ومنها : عن الصادق(عليه السلام) : "الغضب مفتاح كل شر"(٧) .

عن النبي(صلى ا عليه وآله) : "أعقل الناس أشدهم مداراة للناس"(٨) .

ومنها : عن الصادق(عليه السلام) : "الغضب ممحقة لقلب الحكيم"(٩) .

ومنها : عن الصادق : "من لم يملك غضبه لم يملك عقله"(١٠) .

١- وسائل الشيعة ١٥: ٢٧٠ ، الحديث ٢٠٤٨٥ .
٢- الكافي ٢: ١١٨ ، الحديث ١: كتاب الايمان والكفر ، باب الرفق .
٣- وسائل الشيعة ١٥: ٢٧١ ، الحديث ٢٠٤٩٠ .
٤- وسائل الشيعة ١٥: ٢٦٩ ، الحديث ٢٠٤٧٧ .
٥- وسائل الشيعة ١٥: ٢٧٠ ، الحديث ٢٠٤٨٣ .
٦- ميزان الحكمة ١: ٤٤٢ ، الحديث ٢٦٥٩ .
٧- وسائل الشيعة ١٥: ٣٥٨ ، الحديث ٢٠٧٣٣ .
٨- ميزان الحكمة ٣: ١١٠٢ ، الحديث ٧٣٦٣ .
٩- وسائل الشيعة ١٥: ٣٦٠ ، الحديث ٢٠٧٤١ .
١٠- وسائل الشيعة ١٥: ٣٦٠ ، الحديث ٢٠٧٤١ .

ومنها : "العاقل من يملك نفسه إذا غضب ، وإذا رغب ، وإذا رهب"(١) .

ومنها : "إن رسول ا (صلى ا عليه وآله) أتاه رجل فقال له : يا رسول ا علّمني عظة أتعظ بها ، فقال له : انطلق ولا تغضب ، ثم عاد إليه فقال له : انطلق ولا تغضب ـ ثلاث مرات"(٢) .

ومنها : "ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، وأن يعظم حلمك وأن تُباهي الناس بعبادة ربك"(٣) .

ومنها : عن النبي(صلى ا عليه وآله) : "العفو لا يزيد العبد إلاّ عزاً ، فاعفوا يعزكم ا "(٤) .

ومنها : "ما التقت فئتان قطّ إلاّ نصر أعظمهما عفواً"(٥) .

وعن الصادق(عليه السلام) : "أما علمت أن إمارة بني أُمية كانت بالسيف والعسف والجور ، وأن إمامتنا بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد..."(٦) .

١- ميزان الحكمة ٥: ٢٠٤٦ ، الحديث ١٣٤٧٧ .
٢- ميزان الحكمة ٥: ٢٢٦٤ ، الحديث ١٤٩٨٥ .
٣- ميزان الحكمة ٧: ٢٩٨٦ ، الحديث ١٩٣٥٤ .
٤- ميزان الحكمة ٥: ٢٠١٣ ، الحديث ١٣١٨٢ .
٥- ميزان الحكمة ٥: ٢٠١٣ ، الحديث ١٣١٨٦ .
٦- وسائل الشيعة ١٦: ١٦٥ ، الحديث ٢١٢٤٨ .

المحاضرة الرابعة
الحوار هو الخيار الأول في الفكر الإسلامي وسيرة أهل البيت(عليهم السلام)

محاور المحاضرة :

أولا: لماذا كان التعقّل هو الطبيعة الأولية في القوانين الشرعية؟

ثانياً : البناء والإعمار ليس من طبيعة القوة الغضبية .

ثالثاً: الدمار هو نتيجة إطلاق عنان القوة الشهوية والقوة الغضبية .

رابعاً: يجب أن نطلق عنان القوى العقلية والفكرية ، ونجعلها حاكمة على بقية القوى .

خامساً: التعقّل هو أنسب الخيارات للطبيعة البشرية .

سادساً: الفرق بين العقوبة والردع .

سابعاً: **{وما كُنا معذبِين حتى نَبعثَ رسولا}**(١) .

ثامناً: الحوار في النزاعات القضائية .

تاسعاً: ممارسة الحكومات الدكتاتورية ، شوهت صورة الإسلام .

عاشراً : أمير المؤمنين(عليه السلام)، وحواره مع حزب الخوارج .

لماذا كان التعقّل هو الطبيعة الأولية في القوانين الشرعية؟

وصل بنا البحث إلى أن الطبيعة الأولية في القوانين الشرعية هي السماحة

١- الإسراء (١٧) : ١٥ .

والسهولة واللّين والهدوء، كما بينا في الليلة الماضية.

ويجدر بنا البحث عن فلسفة هذا الأمر وعلّته ، لِم كان اللّين والهدوء هو الطبع الأولي؟ حتى أن رسول ا (صلى ا عليه وآله) عنون رسالته بهذا العنوان :

"بعثت بالحنيفية السمحة"(١)، ولماذا كل هذا التركيز على هذه الطبيعة الأولية؟ وعندما نقول أن هذه هي الطبيعة الأولية ، يفهم من كلامنا أن هناك استثناءات ، ستأتي في ما بعد .

البناء والإعمار ليس من طبيعة القوة الغضبية

السبب في أن اللّين والهدوء والتعقّل هو الطبيعة الأولية في القوانين الشرعية ، إن الغضب والحدة مظهر من مظاهر القوة الغضبية ، والقوة الغضبية سواء كانت على نطاق الفرد أو على نطاق الأُسرة أو على نطاق المجتمع أو في النظام السياسي ، ليست بنّاءة ، ولا مشيدة لبناء ، بل طبيعتها أنّها مانعة رادعة للتجاوزات والظلم الذي يحلّ بالفرد ، ويمثّل الجيش والشرطة القوة الغضبية في أي دولة من الدول ، والجيش والشرطة والقوة الغضبية ليس من طبيعتها البناء والهندسة والتخطيط والتنمية والإعمار والبحث العلمي والبناء الفكري ، بل الحرب والقتال والمواجهة ، وتمثّل أيضاً درعاً يحفظ باقي قطاعات المجتمع المختلفة من الأخطار الأمنية والعسكرية .

الدمار هو نتيجة إطلاق عنان القوة الشهوية والقوة الغضبية

وما قلناه في القوة الغضبية ينطبق على القوة الشهوية ، فلا يصح أن يطلق العنان للشهوات والغرائز ، فإذا كانت سياسات الفرد أو الأُسرة أو الدولة منصبة كلها على

١- ميزان الحكمة ٢: ٩٥٢ ، الحديث ٦٢٧٩ .

إطلاق العنان للقوة الشهوية فمن الواضح أن النتيجة ستكون انهيار الفرد والأسرة والدولة التي أطلقت عنان الشهوة.

فالسياحة على سبيل المثال: قد تكون سياحة تثقيفية تعليمية ، مثل: زيارة الأماكن الأثرية ، والتعرف على معالمها التاريخية ، فتكون في مثل هذه الحالة سياحة إيجابية ، وقد تكون السياحة تركّز على توفير أجواء الدعارة والفساد فهي سياحة مدمرة هدامة للقيم والمبادئ والشعوب .

يجب أن نطلق عنان القوى العقلية والفكرية ، ونجعلها حاكمة على بقية القوى

الإسلام يرفض إطلاق عنان القوة الشهوية والغضبية ، بل ينبغي أن توضع حدود تضبط هاتين القوتين. أما ينبغي أن يطلق عنانه فهي القوة الفكرية المتمثّلة في ميدان البحث العلمي والفكري والاجتماعي والصناعي ونشر الفضيلة وسيطرة القوى العالية على القوى الدانية.

والحال أن القانون الغربي جعل الفرد هو محور التقنين ، ومؤخراً جعلوا المجتمع هو المحور ، ولذلك فقد بنوا تشريعاتهم ، ونظام الحقوق عندهم على إطلاق الحريات ، كما أن المشرع القانوني في الغرب يطلق عنان القوة الغضبية ، فيتوفر السلاح حتّى بيد الصبيان ، وتكثر عندئذ الجرائم ، وتنتشر ثقافة العنف والإجرام من خلال أفلام الرعب السينمائية التي تشعل القوة الغضبية ، وأما في إطلاق العنان للقوة الشهوية فحدث ولا حرج ، مع أن القوتين الشهوية والغضبية يجب أن تكونا محدودتين.

التعقّل هو أنسب الخيارات للطبيعة البشرية

إذن اختيار الإسلام للتعقّل والتريث والهدوء والحوار والأخلاق كخيار أول ؛

لأنّه أنسب الخيارات للطبيعة البشرية ، ولأن القوى الغضبية والشهوية موجودة في الحيوان، كما هي موجودة في الإنسان ، أما القوى العقلية فهي خاصة بالإنسان .

ولذلك ، فإن الإسلام يطرح قاعدة: "لا عقوبة إلاّ بعد قيام الحجة" وهذه قاعدة أُصولية وكلامية وتقنينية هامة ، ويقول علماء الأُصول : إن تنجيز الأحكام لا يتم إلاّ بالعلم(١) في القانون الوضعي ، والقانون الشرعي ، والسر في ذلك يرجع إلى نفس النكتة السابقة ، وهي أن الإنسان موجود عاقل ذو فكر ، ويجب أن يكون عقله مسيطر على باقي قواه الأُخرى ، ومن الخطأ إقحام العقوبات والردع ، وإطلاق العنان للقوة الغضبية بدون المرور بمحطة العقل والفكر ، باعتبار أن العقل هو الذي يدبر باقي القوى الأُخرى كما قلنا .

الفرق بين العقوبة والردع

وهناك فرق بين اصطلاح "العقوبة" واصطلاح "الردع" ، فالعقوبة هي نوع من الجزاء للمجرم على ما ارتكب من الإثم والجرم ، بعد ارتكابه لذاك الإثم والجرم ، أما الردع ، فقد يطلق على الدفع ، وقد يطلق على الرفع ، ويعني الردع : أن المخالف ، والذي اجرم جرماً ، وهو لا يعلم أن هذا الأمر جرم ، فهذا الشخص لا يعاقب ، وذلك لأنّه لا يعلم ، ولكن يجب أن ينهى عن الاستمرار في هذا الأمر الممنوع والمخالف.وقد يكون الردع من باب الدفع، كما لو أراد أن يقدم إنسان ما على منكر وفاحشة معينة، وهو لا يعلم، ولكن يردع بدرجة مناسبة لانتهائه عن ذلك المنكر ، مع أن الحجية لم تتم عليه.

إذن الردع لايحتاج إلى قيام الحجة ، ويتحقق القيام بالردع وإن كان بالفعل السيء لم تتم عليه الحجة، والسر في ذلك أن مصلحة المجتمع قد تتطلب هذا

١- أصول الفقه ٣: ٣٥ عند قوله: "وغاية ما نقوله في دخالة العلم .." .

الأمر ، لأن المسألة لا تحتمل التأخير والمماطلة فينبغي المبادرة بالردع لحفظ تلك المصلحة ، وللردع درجات ، منها: إعلام وتعليم القائم بالمنكر ، أن هذا الأمر منكر .

{وما كُنا معذبِين حتى نَبعثَ رسولا }

وهذا هو منطق الإسلام ، وقد دلّت عليه العديد من النصوص ، قال تعالى: **{وما كُنا معذبِين حتى نَبعثَ رسولا}**(١) ، فإذا كان الإسلام يقول : "لا عقوبة إلاّ بعد قيام الحجة" ، فهذا يعني : أن الحوار والتعقّل هو الأصل ، والحجية تتقوم بالإيصال العلمي ، ولا تتم الحجة إلاّ بعد أن يكون ذلك الشخص على دراية وعلم وإلمام تام بذلك الجرم وبحكمه المحرم ، وإذا لم يتم الإلمام التام بذلك لا تقام الحجة عليه ، ومن ثَم لا يعاقب .

القساوة في المرحلة الثانية

ثم تأتي النوبة للعقوبة والخشونة والقساوة بعد تجاوز تلك المرحلة ، ولذلك فإن في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يذكر الفقهاء : أنّه يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد ، التأكّد من علم الطرف الآخر ، وإحاطته بالحكم(٢) ، لا أن يضرب قبل التأكّد من علمه بذلك ، فلا يجوز المبادرة بعقابه باليد ، وما شابه ذلك ، قبل التأكّد من علمه بالحكم الشرعي لما قد عمله من منكر ، وبعد إعلامه بالمنكر أو بوجوب المعروف ، يتم نصحه وإرشاده ووعظه ، وإذا لم ينفع كل ذلك ، يتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باليد أو بالمدافعة وما شابه ذلك بإذن الحاكم الشرعي.

١- الإسراء (١٧): ١٥ .
٢- تذكرة الفقهاء ٩: ٤٤٣ .

الحوار في النزاعات القضائية

وفي فصل النزاعات أيضاً الحوار هو المتقدم على غيره ، ففي القضاء الشرعي الإسلامي يدلي المتنازعان برأيهما ، ويطرح كل منهما الأدلّة والبراهين على صحة ما قاله ، وقد يكون النزاع بين فردين أو بين دولتين أو أن المجتمع يرفع قضية معينة ضد حكومته ، ومن هذا المنطق وجدت المحكمة الدستورية في الأنظمة الحديثة ، وهذه المحكمة الدستورية تمثّل القضاء الذي يحكم القضايا التي تحدث بين السلطة الحاكمة والمجتمع في تلك الدولة ، ولسنا الآن في مقام الكلام عن تفاصيل هذه المحكمة .

ممارسة الحكومات الدكتاتورية شوهت صورة الإسلام

إذن الحوار ليس شعاراً جديداً على التشريع الإسلامي ، ولكن ممارسة الحكومات الدكتاتورية التي كانت تحكم باسم الإسلام ، كالدولة الأموية والدولة العباسية ، أعطت الرأي العام صورة سيئة عن الحوار الإسلامي من خلال ممارساتها القمعية مع من يخالفها ويعارضها من قطاعات الشعب الذي تحكمه ، فهذه الحالة مرفوضة ، ويجب أن يكون التحاكم الثقافي والتحاكم العلمي هو السائد ، كما يطرح ذلك الدين الإسلامي .

الشورى لا تعني إرادة الأكثرية ، وإنّما هي الأخذ بأفضل الآراء

قال ا تعالى: **{وشَاوِرهم في الأمر}**(١) وقال تعالى: **{وأَمرهم شُورى بينَهم}**(٢)،والشورى هي الحوار،وهي جمع العقول،وجمع المعلومات، وجمع

١- آل عمران (٣) : ١٥٩ .
٢- الشورى (٤٢): ٣٨ .

الخبرات، وتلاقح الأفكار ، أي : هي ظاهرة ثقافية فكرية ، وليست ظاهرة غضبية ، وليست ظاهرة تحميلية ، أي : تحمل الطرف الآخر على قبول رأيك بالقوة ، ويخطأ من يقول أن الشورى هي إرادة الأكثرية ؛ لأن الشورى ليست إرادة ، وإنّما هي رأي ، والإرادة من القوى العملية ، والشورى من القوى العلمية ، وفرق بين هذا وذاك .

قال رسول ا (صلى ا عليه وآله): "أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه"(١) ، وقال علي(عليه السلام): "حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء"(٢) .

وأحاديث أهل البيت(عليهم السلام) تحثّ على المشورة(٣) ، وتعتبر المشورة من أعظم أنواع الخيرة ، وإن كانت الخيرة بالسبحة مستحبة ، ولكن المشورة متقدمة عليها ، لأن الشورى تُوفّر للإنسان فرصة دراسة الموضوع الذي يريد الإنسان أن يقدم عليه من جميع الجوانب ، وتتكامل عنده الصورة بشكل أوضح ، وهناك شروط لمن تصح مشاورته .

وليست الشورى بمعنى مجموعة الإرادات أو الإرادة الجمعية أو الحاكمية للأكثرية ، بل الشورى تعني : الحاكمية للصواب وإن كان الصواب يمثّل رأي الأقلية في تلك المجموعة ، والشورى تعني : حاكمية العلم وإن كانت لفرد واحد إذا كان أخبر القوم وأعلمهم ، وهو صاحب الرأي الصحيح في قبال مجموعة كبيرة ، الشورى مداولة الآراء لمعرفة الخطأ من الصواب ، ولا تعني : القهر والفرض والاستبداد .

١- ميزان الحكمة ٥: ٢١٠٨، الحديث ١٤١٦٤ .
٢- ميزان الحكمة ٤: ١٥٢٥ ، الحديث ٩٨٦٣ .
٣- ميزان الحكمة ٤: ١٥٢٤، الشورى المرقمة بـ "٢٨١" .

يفتح باب القتال إذا أُغلق باب الحوار

ولو جئنا إلى الآية الكريمة: **{وإن طَائِفَتَانِ من الْمؤْمنين اقْتَتَلُوا فَأَصلحوا بينَهما فَإِن بغَتْ إِحداهما علَى الْأُخْرى فَقَاتلُوا التي تَبغي حتى تَفيء إِلَى أَمرِ ا ِ فَإِن فَاءتْ فَأَصلحوا بينَهما بِالْعدلِ وأَقْسطُوا إِن ا َ يحب الْمقْسطين}**(١) ، فبعد أن فشل الإصلاح بينهما تأتي مرحلة قتال الفئة الباغية ، ولا يصلح النقاش والحوار الفكري بعد هذه المرحلة ؛ لأن الأمر مرتبط بالنزاع العسكري الذي لا يحلّ بالنقاش الفكري مع إصرار إحدى الطائفتين على البغي، وأما إذا تخلّت عن إصرارها فيأتي دور الإصلاح مرة أُخرى .

الإمام علي(عليه السلام) طرق كل أبواب الحوار قبل القتال

والحوار هو أسلوب أهل البيت(عليهم السلام) في التعامل مع الآخرين حتّى لو كانوا أعداءهم ، فهذا الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) رفض البدء بالقتال مع أصحاب الجمل ، وقد أرسل الإمام الحسن(عليه السلام) وعبد ا بن عباس إلى الطرف الآخر قبل بدء الحرب إلى درجة أنّهم قالوا: إن بني هاشم لديهم من الحجج والبراهين الكثيرة ، ولا نقوى على حججهم(٢) ، وهذا دليل على أن معسكر الإمام علي(عليه السلام)كان يتوسل إلى القوى العقلية لفض النزاع ، ولم يلجأ إلى القوة الغضبية إلاّ بعد أن استنفذ كل الوسائل والطرق العقلية ، وذلك حرصاً على وحدة المسلمين وحقن دمائهم ، ومن يتابع أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في كل موقف من مواقف حياته ، سيجد هذه الصفة متجلّية عنده ، فلا يقدم القوة الغضبية على القوة العقلية ، وهذا ما فعله في

١- الحجرات (٤٩): ٩ .

٢- كتاب الجمل وصفين والنهروان: ١٦٣ .

صفين ، حيث كان يقول : "أنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم"(١) ، وهذه لا تعني : الكراهة بمعنى أن هذا الفعل مكروه شرعاً ، بل هو محرم ، أي : أُحرم على نفسي أن أبدأهم بقتال .

أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وحواره مع حزب الخوارج

وفي تعامل أمير المؤمنين(عليه السلام) مع الخوارج نموذج رائع ، مع أنّهم كانوا تحت سلطته حيث كان الكثير من المحيطين بالإمام علي(عليه السلام) يحثّونه على قتال الخوارج وإبادتهم قبل معركة النهروان ، ولكنّه رفض مقاتلتهم إلاّ بعد أن أتم الحجة عليهم بالحوار(٢) .

وما فعله الإمام(عليه السلام) مع الخوارج يصلح لأن يكون أنموذجاً في التعامل مع المعارضة حيث كان الإمام(عليه السلام) يعطيهم كل الحقوق المتعلّقة بإبداء الرأي وطرح الفكر ، وهناك دراسات في جامعة الأزهر تحاول أن تغوص غمار هذه التجربة العلوية المباركة مع الحزب المعارض المتمثّل بالخوارج ، ومن المعروف أن الخوارج لم يكونوا أفراداً ، بل حزباً سياسياً وأيدلوجياً ، وحتّى هؤلاء الخوارج لم يبدأهم الإمام علي(عليه السلام) بالقتال ، ولم يقصهم أو يقم عليهم الإقامة الجبرية ، بل فتح لهم باب الحوار على مصراعيه ، مما جعل الخوارج يفتحون الجبهة الإعلامية بشكل قوي ، مع ذلك لم يحاربهم ، واقتصر على رد الرأي بالرأي ، وطرح بيناته وحججه ، وتحمل الإمام علي(عليه السلام) الطرف المعارض إلى أقصى حد ، مادام الطرف الآخر قد اعتمد لغة الحوار ، والأكثر من ذلك أن أمير المؤمنين(عليه السلام) كان يقبل المقاضاة ، وهو حاكم الدولة وخليفة المسلمين وأمير المؤمنين في قضية مالية ،

١- جواهر التاريخ ١: ٢٨٧ .
٢- كتاب الجمل وصفين والنهروان : ٤٢٦ .

فيقبل أن يقف أمام شريح القاضي هو والطرف الذي رفع الشكوى عليه[1] ، وهذه النماذج لا نجدها إلاّ عند أهل البيت(عليهم السلام) .

النبي(صلى ا عليه وآله) يقدم الحوار على القتال

والنبي(صلى ا عليه وآله) وهو معلّم الإمام علي(عليه السلام) كان كذلك ، وتقسيم الدعوة إلى مرحلتين : المرحلة المكّية والمرحلة المدنية دليل على ما نقول ، حيث كان في مكّة يطرح البراهين والحجج والدلائل على صدقه لمدة ثلاثة عشر سنة ، وهي مدة ليست بالقليلة ، وفي المدينة بعد أن أسس الدولة والنظام الإسلامي ، وتشكّلت القوة الإسلامية العسكرية ، ومع هذا نرى في غزوة بدر لم يبدأ النبي (صلى ا عليه وآله)بالقتال[2] ؛ لأن هذه هي سنة النبي(صلى ا عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام) ، فقد كانوا يرفضون البدء بالقتال ، ولا يقاتلون إلاّ بعد أن يبدأ الطرف الآخر بالقتال .

الإمام الحسين(عليه السلام) ، والحوار مع الأعداء

ولو تتبعنا حركة الإمام الحسين(عليه السلام) لرأينا الحوار حاضر في كل محطّة من محطّاته ، كحواره مع أهل الكوفة ، ومع عمر بن سعد ، ومع جيش بني أمية ، ولم يبدأ الإمام الحسين(عليه السلام) جيش بني أمية بالقتال[3] .

١- وسائل الشيعة ٢٧: ٢٦٥ ، الحديث ٣٣٧٣٧ .
٢- الصحيح من سيرة النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ٥: ٤١ .
٣- الارشاد ٢: ٨٤ ، قوله (عليه السلام) : "ما كنت لأبدأهم بالقتال" .
أبعاد النهضة الحسينية : ١٤٤ .

المحاضرة الخامسة

الجهاد الابتدائي والحروب العدوانية

محاور المحاضرة :

أولا : المعترضون على الإسلام .

ثانياً : هل الإسلام دين القوة والعنف والإرهاب؟

ثالثاً : طمع الجيوش الفاتحة في الأموال والنساء .

رابعاً : لماذا دخلت أوروبا في الدين المسيحي في القرن الثاني الهجري؟

خامساً : هل الجهاد الابتدائي هو الحرب العدوانية؟

سادساً : بعض الكتاب المصريين تنكّروا لوجود الجهاد الابتدائي .

سابعاً : حروب النبي(صلى ا   عليه وآله) كلّها دفاعية .

ثامناً : الجواب الصحيح عن إشكال الجهاد الابتدائي .

تاسعاً : القرآن الكريم ينهى عن إهلاك الحرث والنسل .

عاشراً : الإسلام يكرم بني آدم .

المعترضون على الإسلام

هناك بعض الاعتراضات على الطرح الذي يقول: إن الدين الإسلامي ذو طبيعة أولية تتسم بالرفق واللّين والتعقّل الهدوء والحوار ، وأن طبيعته لا تتسم بالرعونة والإرهاب والعنف والشدة ، وسنستعرض هذه الاعتراضات ، وسنرى أنّها مردودة على أصحابها .

هل الإسلام دين القوة والعنف والإرهاب؟

اعترض مجموعة من المستشرقين : أن الإسلام هو دين السيف والقوة والعنف والإرهاب ، ويقولون : أن في الفترة التي قضاها النبي(صلى ا عليه وآله) في المدينة المنورة في عشر سنوات ، نشبت ثمانون حرباً ، وهذا العدد يدلّ على أن الإسلام يرتكز على السيف والقوة والخشونة ، ولا يرتكز على الحوار والعرض العلمي والتفاهم .

طمع الجيوش الفاتحة في الأموال والنساء

وفي عصر الفتوحات الذي كان يحتوي على الكثير من المخالفات الإنسانية ، سطّرتها كتب المسلمين ـ فضلا عن غيرهم ـ ففي آذربايجان دخل أهل هذه المنطقة الإسلام ، ولكن ما يسمى بالجيوش الفاتحة لم تعترف بإشهار أهل تلك المنطقة لإسلامهم ، وذلك رغبة في الحصول على السبي والنساء الجميلات والغنائم والأموال ، لأنّهم لو أذعنوا بإسلام أهل تلك المنطقة ، لما حصلوا على شيء من ذلك أبداً .

وحدث مثل هذا في أطراف الهند والصين ، حتى إن ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة ، يذكر : من المصادر التاريخية القديمة ، القصص الطويلة التي تقشعر منها الأبدان .

وكذلك الأقباط في مصر ، والبربر في بلدان المغرب العربي ، وكذلك في إسبانيا ، إلى درجة أن الإسبانيين عندهم يوم خاص ، يحتفلون به بهزيمة المسلمين في كل عام ، وهناك مؤلف إسلامي ، عنده العديد من الكتب حول الأندلس ، ولعلّه كتاب الغصن الرطيب في تاريخ الأندلس ، يبين فيه أن الإسبانيين انتقموا من المسلمين بنفس الطريقة التي عوملوا بها ، فسبوا النساء واسترقوهن ، وهدموا المساجد ، كما هدم المسلمون الكنائس ، ومازالت آثار تلك المعاملة تستعر في

قلوب الآخرين تجاه الإسلام والمسلمين .

وفي البوسنة والهرسك ، وما فعله الصرب بالمسلمين ، كان نتيجة مخلّفات تاريخية ، وأقرأ ما فعلته الدولة العثمانية التركية من ممارسات خاطئة .

لماذا دخلت أوروبا في الدين المسيحي في القرن الثاني الهجري؟

والشيء الملفت أن أوروبا إنّما دخلت في المسيحية في القرن الثاني الهجري ، وكانت قبل ذلك وثنية ، ولازال الإسلام فتياً ، ومن المفترض أن نور بريقه يسطع في أوروبا ، فكيف نجح المسيحيون في نشر ديانتهم في أوروبا في وقت كان الإسلام يتمتع بالعنفوان والقوة والانتشار؟ بينما كان بين تلك الحقبة التاريخية ، وبين بعثة النبي عيسى(عليه السلام) ستة قرون ، وهذا شيء مؤسف وخسارة كبيرة للإسلام والمسلمين ، وقد انطلق المبشّرون المسيحيون بمفاهيم السلام والرحمة والتعامل بالحسنى ، وغزوا كل أوروبا في تلك الفترة ، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى الأمريكتين ، والعديد من دول العالم ، ولازال المسيحيون إلى زماننا هذا يتفوقون عددا على المسلمين في تلك المناطق ، فلابد من دراسة الأسباب التي حولت أوروبا للدين المسيحي ، وجعلتها تعرض عن الإسلام .

هل الجهاد الابتدائي هو الحرب العدوانية؟

ولو أنّنا قرأنا كتاب الجهاد في الفقه الإسلامي لرأينا مصطلح "الجهاد الابتدائي" ، ولو ترجمنا هذا المصطلح إلى لغة القانون الحديثة لكان "الحرب العدوانية" التي تحمل في طياتها الحدة والعنف والشدة والقتل .

بعض الكتاب المصريين تنكّروا لوجود الجهاد الابتدائي

وطَرح هذا الإشكال، جعل بعض الكتّاب المصريين قبل ما يقارب من خمسة

عقود يتنكّرون لوجود الجهاد الابتدائي في الإسلام ، وأن الجهاد المذكور في القرآن الكريم هو جهاد دفاعي ، وليس جهاد ابتدائي ، وقالوا : إن هناك فرق بين التشريع الإسلامي ، وممارسة المسلمين ، وقد استدلّوا ما قالوا : بالعديد من الآيات والروايات النبوية ، وقبل أن نستعرضها نود الإشارة إلى أن تنصل هؤلاء مما حصل أثناء الفتوحات ، إقرار بوجود أخطاء ، وتجاوزات قامت بها جيوش الفتح .

ومن الآيات التي استدلّوا بها ، وهي آيات مدنية قوله تعالى: **{وقَاتلُوا في سبِيل ا ِ الذين يقَاتلُونَكُم ولا تَعتَدوا ِإن ا َ لا يحب الْمعتَدين}**(١) ، واعتبروا هذا النص نصاً مقيداً لباقي النصوص القرآنية التي تدعوا إلى الجهاد ، واستدلّوا بقوله تعالى: **{لا ينْهاكُم ا ُ عن الذين لَم يقَاتلُوكُم في الدينِ ولَم يخْرِجوكُم من ديارِكُم أَن تَبروهم وتُقْسطُوا ِإلَيهِم ِإن ا َ يحب الْمقْسطين}**(٢) ، وقوله تعالى: **{وأَعدوا لَهم ما استَطَعتُم من قُوة ومن رِباط الْخَيلِ تُرهبون بِه عدو ا ِ وعدوكُم وآخَرِين من دونهِم لا تَعلَمونَهم ا ُ يعلَمهم وما تُنفقُوا من شَيء في سبِيلِ ا ِ يوف ِإلَيكُم وأَنْتُم لا تُظْلَمون* وِإن جنَحوا ِللسلْمِ فَاجنَح لَها وتَوكَّلْ علَى ا ِ ِإنه هو السميع الْعليم}**(٣) ، عند كثير من المذاهب أن هذه الآية ليست منسوخة ؛ لأن هذه الآية تدلّ على تشريع المهادنة مع الكفار ، وعقد العهد والأمان معهم ، وهذا يدلّ على أن قتال الكفار في القرآن الكريم ليس بشكل مطلق ، وقوله تعالى : **{وِإن أَحد من الْمشْرِكين استَجارك فَأَجِره حتى يسمع كَلام ا ِ ثُم أَبلغْه مأْمنَه ذَلك بِأَنهم قَوم لا يعلَمون}**(٤) ، وهذه السورة من أواخر السور التي نزلت ،

١- البقرة (٢) : ١٩٠ .
٢- الممتحنة (٦٠) : ٨ .
٣- الأنفال (٨): ٦٠ ـ ٦١ .
٤- التوبة (٩): ٦ .

وقيل : آخر سورة نزلت بالمدينة(١) ، وإن كان الأصح بين المفسرين أن سورة المائدة هي آخر سورة نزلت .

حروب النبي(صلى ا عليه وآله) كلّها دفاعية

وطَرح مثل هذه الآيات هدفه التأمل ، ومراجعه الأحكام الواردة في كتب الجهاد عند المسلمين في تشريع الجهاد الابتدائي ، أما بالنسبة لسيرة النبي(صلى ا عليه وآله)فيقولون: إنّنا يجب أن نفرق بين سيرة النبي ، وسيرة من بعده عموماً ، وأن حروب النبي ابتداء من بدر ، وحتى تبوك لم تكن حروباً تمثّل الجهاد الابتدائي ، بل كلها حروب دفاعية ، والشاهد على ذلك أن غزوة بدر لم يقم بها النبي(صلى ا عليه وآله) إلاّ بعد أن قامت قريش بالاعتداء على المسلمين ، وعلى أموالهم في مكّة المكرمة ، بل كانت قريش تعتدي على المسلمين حتّى في المدينة المنورة على شكل غارات ليلية ، فكان هدف النبي(صلى ا عليه وآله) وقف العدوان القرشي ، والاقتصاص من قريش فلذلك هجم على قافلة قريش التي كان يقودها أبو سفيان ، وحينها نزل قوله تعالى: **{وإذْ يعدكُم ا ُ إِحدى الطائِفَتَين أَنها لكُم وتَودون أَن غَير ذَات الشوكَة تَكُون لكُم ويريد ا ُ أَن يحق الْحق بِكَلماته ويقْطَع دابِر الْكَافرين}**(٢) ، ونجت قافلة أبي سفيان من المسلمين الذين كانوا يبنون على المقاصة المالية ، والمقاصد المالية منطق دفاعي ، وليس منطقاً عدوانياً ، وليس جهاداً ابتدائياً ، كما هو مطروح في فقه المذاهب الإسلامية ، وأن أبا سفيان قد أرسل إلى جيش قريش قائلا : إن العير قد نجت ، ولا حاجة للحرب ، إلاّ أن قريش بخيلائها وكبريائها أبت الرجوع عن الحرب(٣) ، وعتبة قد نصح قريش أن لا تعتدي على النبي(صلى ا عليه وآله) ، وأن لا تحاربه ، وكان النبي(صلى ا عليه وآله) يقول: إن

١- القائل: قتادة ومجاهد ، مجمع البيان ٥: ٣ ، سورة التوبة .
٢- الأنفال (٨) : ٧ .
٣- شرح نهج البلاغة ١٤: ١٠٦ .

يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر(١) ، وكان عتبة هو الراكب على الجمل الأحمر ، حيث كان يريد أن يثنيهم عن ذلك ، إلاّ أن أبا جهل قال له : "جبنت وانتفخ سحرك" ، فابتدأ القتال(٢) ، ولكن لم يكن الابتداء من طرف النبي(صلى ا عليه وآله) ، بل هو من طرف قريش ، بدءاً بالعدوان المالي والعرضي والأمني ، وانتهاء بساحة المعركة ، إذن هذه هي معركة دفاعية ، وفي غزوة أُحد كان الكفّار قد أتوا للانتقام من المسلمين ، وفي غزوة الخندق كذلك ابتدأ الكفّار بالحرب ، وأما غزوة تبوك فهي عبارة عن الاستعداد الرادع لطغيان الروم الذين كانوا يهددون المسلمين ، وكذلك غزوة مؤتة التي استشهد فيها زيد بن حارثة ، وعبد ا بن رواحة ، وجعفر الطيار ، والصحيح أن جعفر الطيار هو أول من استشهد في هذه المعركة ، وليس زيد بن حارثة ، كما تذكر بعض المصادر(٣) ، وكذلك في غزوة حنين ، وما فعلته قبيلة هوازن من تهديد المسلمين ، وعندما دخل النبي(صلى ا عليه وآله)إلى مكّة فاتحاً أخذ الراية أحد الصحابة قائلا : "اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة" فأمر النبي(صلى ا عليه وآله) علياً أن يأخذ الراية ، ويقول: "اليوم يوم المرحمة اليوم تحفظ فيه الحرمة"(٤) حتى إن النبي عامل البيت الذي طالما ناصبه العداء والحقد، وهو بيت أبي سفيان برفق ، حيث قال(صلى ا عليه وآله) : "من دخل دارك يا أبا سفيان فهو آمن"،وعندما قال لهم(صلى ا عليه وآله): "ما تظنّون وما أنتم قائلون؟" قال سهيل: "أخٌ كريم وابن عم كريم"(٥) .

١- كنز العمال ١٠: ١٨٠ ، الحديث ٢٩٩٢٧ ، كتاب الغزوات والوفود.
٢- مناقب آل أبي طالب ١: ٢٣٩ ، فصل في غزواته(صلى الله عليه وآله) .
٣- تاريخ اليعقوبي ٢: ٤٢ ، "غزاة مؤته" . الكامل في التاريخ ٢: ٢٣٦ .
٤- السيرة الحلبية ٣: ١١٨ ، باب ذكره مغازية(صلى الله عليه وآله). المبسوط للسرخسي ١٠: ٤٥ ، كتاب السير ، باب معاملة الجيش مع الكفار .
٥- تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٨ ـ ٣٩ ، فتح مكة .

هذه إجابات هؤلاء الباحثين ، وبين الفينة والأُخرى نرى بعض الدراسات التي تحاول إثبات أن الجهاد الابتدائي لا تدلّ عليه النصوص الشرعية القرآنية أو النبوية .
أما رأينا في هذه الإجابات هو أنّها تحمل بعض اللفتات الصحيحة ، والاستدلالات المحقّة إلاّ أنّها لا تصلح أن تكون جواباً للإشكال المطروح .

الجواب الصحيح عن إشكال الجهاد الابتدائي

الجواب الصحيح عن هذا الإشكال : أن الجهاد الابتدائي ليس معناه الابتداء بالعدوان ، وإن كانت كلمة "الابتدائي" توحي للسامع هذا المعنى ، والمعنى الصحيح لهذا المصطلح ، هو بدء إظهار القوة العسكرية ، وإظهار لغة القوة ، ولكن هذا المصطلح لا يتضمن البدء بالحرب ، بل يعني : استعمال الأسلوب الضاغط، وأسلوب القوة في معالجة عدم خضوع الدولة الأُخرى أو الجهة الأُخرى التي تعادي المسلمين لميزان العدالةفي التعامل مع المسلمين.

الجهاد الابتدائي له خلفية حقوقية دفاعية

وفي الواقع أن الجهاد الابتدائي له خلفية حقوقية دفاعية ، بمعنى إذا تعرضت حقوق المسلمين للانتهاك ، كما لو نكث الطرف الآخر العهد معهم ، وأقيمت الحجة على الطرف الآخر ، ولم يستجب للغة الإنصاف والعدل ، فمن الواضح أن الإسلام لن يبقى على طبيعته الأولية ، وهي الحوار والتعقّل والرفق واللّين ؛ لأن المفترض أن الحجة قد أُقيمت ، ولم ينفع الخطاب العقلاني مع الطرف الآخر ، ولم يبق مجال إلاّ لمنطق القوة ، والساحات العسكرية ، واستخدام لغة القوة يهدف إلى كبح جماح النزوات الغريزية الحيوانية في الطرف الآخر المعتدي ، ولا يتضمن استخدام القوة في المفهوم الإسلامي ، إهلاك الحرث والنسل ، فالقرآن الكريم يبغض ، وينهى عن

إهلاك الحرث والنسل .

القرآن الكريم ينهى عن إهلاك الحرث والنسل

قال تعالى: **{وإِذَا تَولى سعى في الأَرض لِيفْسد فيها ويهلك الْحرثَ والنسلَ والله لاَ يحب الْفَساد}**(١) ، فليس من المنطق الإسلامي أن تحرق مكتبة الإسكندرية ، وتبقى مدة طويلة تلتهمها النيران ، هذا ليس منطق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا منطق الإمام علي(عليه السلام) ، وهذه أوراق يجب أن تبحث بصراحة .

أما منهج أهل البيت(عليهم السلام) فيعتمد على الانفتاح على العلوم البشرية ، وتهذيبها وترشيدها ، والاستفادة من الخبرات البشرية ، والإنجازات التي حققها الآخرون في تدبير المعيشة ، وخدمة العلوم الدنيوية ـ فضلا عن العلوم الأُخروية ـ .

الإسلام يكرم بني آدم

الأصل الأولي في الإنسان عموماً ، هو أن يكون مكرماً ، قال تعالى: **{ولَقَد كَرمنَا بني آدم}**(٢) ، وهذا يشمل المسلمين وغير المسلمين ، هذا هو الأصل الأولي ، وكما يقول الإمام علي(عليه السلام): "إما أخ لك في الدين ، أو نظير لك في الخلق"(٣) والتي رفعها شعاراً الأمين العام للأُمم المتّحدة كوفي عنان ، وقال : إنّها يجب أن تكون شعاراً لحوار الحضارات .

إذن ، الجهاد الابتدائي ، يعني : التلويح بالقوة لحفظ حقوق المسلمين المسلوبة ، ولا يعني : الاعتداء على دولة أُخرى بدون سبب ، أو ترويع شعب مسالم آمن .

١- البقرة (٢): ٢٠٥ .
٢- الإسراء (١٧): ٧٠ .
٣- ميزان الحكمة ٨: ٣٦٩١ ، الحديث ٢٢٧٩٩ .

المحاضرة السادسة
الخلفيات الحقوقية للجهاد الابتدائي

محاور المحاضرة:

أولا: الجهاد الابتدائي والإرهاب .

ثانياً : قوى الاستكبار وآيات الجهاد .

ثالثاً : الإسلام ليس مسؤول عن المخالفات الشرعية التي يقوم بها المسلمون.

رابعاً : لا يصح أن نحمل اصطلاحات علم على اصطلاحات علم آخر .

خامساً : الجهاد الابتدائي يستند إلى خلفية حقوقية .

سادساً : الجهاد الابتدائي جهاد دفاعي في المصطلح الحقوقي .

سابعاً : لايوجد مصطلح الجهاد الابتدائي في النصوص الشرعية .

ثامناً : مبررات القتال في القرآن الكريم .

تاسعاً : الجهاد الابتدائي له شروط خاصة ، وله أهداف محددة .

عاشراً : الفيتو عند الإمامية الاثني عشرية لايكون إلاّ عند المعصوم .

الجهاد الابتدائي والإرهاب

كان الكلام في ما سبق ، هو الإثارة المطروحة الآن في محافل بشرية عديدة ، من أن الدين الإسلامي يحمل في طياته لغة الإرهاب ، وما يتمسك به القائلون بهذه الدعوة المضادة ، هو وجود مفهوم الجهاد الابتدائي في القرآن الكريم والتشريع الإسلامي .

طبعاً أصل هذه الإثارة حول الجهاد الابتدائي أو جهاد الدعوة ، لها منشأ مرتبط بالموروث التاريخي المتعلّق بالفتوحات الإسلامية ، وهذا البحث يتصل بالفتوحات ، كما يتصل بموقف علي(عليه السلام) ، حيث انكفأ في حكومته على الإصلاح الداخلي ، والتركيز على السياسة الداخلية ، وترتيب أوراق الوضع الداخلي .
ذكرنا في الليلة الماضية مجمل الأدلّة التي استند إليها بعض الكتّاب في نفي وجود لغة العنف في الدعوة الإسلامية ، وأنّه ليس هناك ما يدعو للقتال والعنف والقوة وقهر الآخرين وإجبارهم على الدخول في الدين الإسلامي .

قوى الاستكبار وآيات الجهاد

هذا الأمر جدي جداً ، وملح في الوسط الدولي ، ونحن نلاحظ أن أمريكا والعالم الغربي يريدون إقناع العالم بأن هذا الأمر يعتبر أمراً إرهابياً ، ولابد من الضغط على المسلمين من أجل حذف هذه الآيات من القرآن الكريم والشريعة الإسلامية والفقه الشرعي .
فالمسألة من الخطورة بمكان بحيث تتجاوز مرحلة التنظير والبحث النظري ، بدل يراد لها أن ترسوا على خطوات خطيرة جداً ، إذ ينبغي على فقهاء الشريعة أن يفهموا هذه الإشكالية بعمق ، وأن تتم دراستها دراسة مستفيضة ، والرد عليها بشكل قوي ، لأن هذه المسألة ليست مسألة نظرية ، وليست ثرثرة فكرية ، بل هي مسألة قد أخذت طابعاً عملياً إلى درجة أن بعض البلدان الآن تمنع قراءة آيات الجهاد في الإذاعة والتلفزيون والمحافل العامة ، وأن هناك توصية غربية مفروضة على بعض البلدان الإسلامية لكي تمنع قراءة آيات الجهاد ، وحذفها من المناهج الدراسية .

الإسلام ليس مسؤول عن المخالفات الشرعية التي يقوم بها المسلمون

في البدء لابد أن نستعرض التنظير العلمي لهذه القضية، وهناك فرق بين البحث

النظري والتطبيق العملي ، بمعنى أن النظرية الإسلامية غير مسؤولة عن الممارسات الخاطئة التي قام بها المسلمون ، وأنّها ليست مسؤولة إلاّ عن ما يستند إلى التشريع الإسلامي الصحيح ، فليس من العدل أن نحمل النظرية ، التطبيقات الخاطئة ، والممارسات غير المسؤولة لمن يعتقد بهذه النظرية .

لا يصح أن نحمل اصطلاحات عالم على اصطلاحات عالم آخر

النقطة الأُخرى التي نريد الإشارة إليها ، هي أن جهاد الدعوة أو الجهاد الابتدائي ليس مطروحاً في الفقه الإسلامي ، بمعنى ابتداء العدوان أو الحرب العدوانية ، وبعبارة أُخرى : من الخطأ الفادح أن نحمل اصطلاحات في عالم معين على اصطلاحات أُخرى في عالم آخر ، ومن الخطأ أيضاً أن يقرء باحث في بيئة معينة ، مفاهيماً معينة ، ويطبقها على بيئة أُخرى ، لأن لكل بيئة مفاهيمها وأفكارها الخاصة بها .

الجهاد الابتدائي يستند إلى خلفية حقوقية

وما ذكره الفقهاء من أن الجهاد الابتدائي بند من بنود الشريعة الإسلامية ، ليس المراد منه العدوان واستخدام لغة القوة ، وقد يفهم السامع لكلمة "الابتدائي" معنى العدوان ، بينما هي ليست كذلك في الفقه الإسلامي ، بل إن معنى الجهاد الابتدائي هو المبادرة العسكرية التي تحمل في طياتها غطاء حقوقياً ، وهذا باتفاق جميع المذاهب الإسلامية ، وإن كان هناك خلاف في بعض التفاصيل بين مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، والمذاهب الأُخرى إلاّ أن جميع المسلمين يعتقدون أن الجهاد الابتدائي يتضمن غطاء حقوقياً فيكون جهاداً دفاعياً في المصطلح الحقوقي ، وليس حرباً عدوانية ، كما ترجمة البعض .

الجهاد الابتدائي جهاد دفاعي في المصطلح الحقوقي

إذن ، كل الجهاد يرجع إلى الجهاد الدفاعي ، كما أشار إلى ذلك : الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء والشيخ الكليني ، وقد قسم الفقهاء الجهاد إلى قسمين : جهاد ابتدائي وجهاد دفاعي ، والمقصود من الجهاد الدفاعي ، هو استخدام لغة القوة رداً على استخدام العدو للغة القوة ، أما الجهاد الابتدائي فهو جهاد دفاعي أيضاً مع فارق أن فيه مبادرة باستخدام القوة العسكرية مع وجود الغطاء الحقوقي ، وبالتالي يكون جهاداً دفاعياً في المصطلح الحقوقي .

وتطبيقاً لما ذكرنا يتّضح أن معركة بدر وحنين ومؤتة كانت جهاداً ابتدائياً بالمصطلح الفقهي ، وحروباً دفاعية بالمصطلح القانوني .

لايوجد مصطلح الجهاد الابتدائي في النصوص الشرعية

الجهاد الابتدائي مصطلح فقهي ، ولا يوجد هذا اللفظ في النصوص الشرعية ، نعم بعض الروايات عبرت عنه بجهاد الدعوة(١) وإذا استعرضنا المبررات الشرعية لهذا الجهاد فلن يكون حرباً عدوانية ، بل سيكون جهاد إصلاح وإنماء وإرساء للعدالة .

الجهاد الابتدائي بين الفطرة الإنسانية والنظام العالمي

ولو تساءلنا هل للجهاد الابتدائي ـ في المصطلح الفقهي وليس الحقوقي ـ أو جهاد الدعوة منشأ في الفطرة الإنسانية ، وفي البحوث العقلية باعتبار أن الشريعة الإسلامية توافق الفطرة الإنسانية؟

١- وسائل الشيعة ١٥: ٤٢ ، باب وجوب الدعاء إلى الإسلام قبل القتال إلاّ لمن قوتل على الدعوة وعرفها .

نعم، العقل يرجح نصرة المظلوم ، والوقوف في وجه الظالم ، وعلى الصعيد الدولي نرى أن المجتمع الدولي يرفع شعار مكافحة الإرهاب حتّى لولم يكن ذلك الإرهاب في نفس الدولة التي رفعت الشعار .
أما في إطار النظام العالمي الموحد نرى أن أمريكا تعطي لنفسها الحق في التدخل في شؤون الدول بعنوان مكافحة الإرهاب أو حقوق الإنسان ، وحتّى البنك الدولي يفرض شروطه ، ويتدخل في الشؤون والسياسات الداخلية للبلد التي تطلب منه قرضاً مالياً ، فلا يدعمها ويقرضها إلاّ إذا أذعنت لشروطه وضغوطه .
إذن ، أصل استخدام لغة القوة لدفع ظاهرة عدوانية وإن كانت في بلد آخر أمر موجود عقلا ومعمول به دولياً ومتعارف عليه من قبل المجتمع الدولي
إذن ، الكلام كل الكلام ليس في استخدام القوة ، وإنّما الكلام في الخلفية الحقوقية ، والتبرير الحقوقي لاستخدام القوة .

ما هو الإرهاب؟

ولذلك ترى جدلا كبيراً في تحديد مفهوم الإرهاب ، وإلى الآن لم يرس هذا على مفهوم متفق عليه على طاولة الجدل البشرية .
الإرهاب بما هو مفهوم يعتبر مفهوماً مذموماً ، لا يساوي المبادرة بالقوة العسكرية ، فربما يبادر الشعب المظلوم باستخدام القوة اتجاه الجهات التي تظلمه ، وهذا يتم في غياب أجواء الحوار ، وعندها تعطي تلك الجهة الظالمة لنفسها الحق في استخدام القوة اتجاه تلك القوة الضعيفة ، وتعتبر أي فعل يشكّل مبادرة عسكرية من قبل تلك الجهة الضعيفة إرهاباً ، ومن الإجحاف اعتبار هذا العمل إرهاباً ، بل هو مقاومة مشروعة لاسترداد الحق ، كما هو حال المقاومة في جنوب لبنان .

مبررات القتال في القرآن الكريم

العنف واستخدام القوة ليس من طبيعة الإنسان الأولية لا في التقنين ولا في التشريع ، ولكنّها تكتسب الشرعية من خلال بعض الظروف المحيطة بها.

نحن نرى أن التشريع الإسلامي والآيات الكريمة تحمل شعاراً يتناغم مع الفطرة ، فمن الآيات المحكمة قوله تعالى: **{وما لكم لا تُقاتلون في سبيل ا ـ والمستَضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً}**(١) ، والقرآن الكريم بين أن هدف الجهاد وغرضه وغايته هو تثبيت شرع ا تعالى ، ونصرة المظلومين والمستضعفين .

إذن : جهاد الدعوة يحمل في طياته نصرة المظلومين، وانجاز حقوق اللّه على عباده، والاستضعاف تارةً يكون استضعافاً مالياً ومادياً، وتارةً يكون استضعافاً عقائدياً وفكرياً وهو من أشد الاستضعاف ، قال تعالى: **{إلا المستَضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستَطيعون حيلةً ولا يهتَدون سبيلا}**(٢) ، فهنا **{لا يستَطيعون حيلةً}**، هو الاستضعاف المالي والمادي ، ولا يهتدون سبيلا هو الاستضعاف الفكري والعقائدي .

دور الإعلام في استضعاف الشعوب

الآن الأعراف الدولية والقوانين البشرية تقرأن الشعوب المستضعفة مقهورة، وتقع تحت التضليل الإعلامي للدول القوية باعتبار أن الإعلام هو السلطة الرابعة، بل قد يكون أخطر من السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ؛ لأن الإعلام

١- النساء (٤): ٧٥ .
٢- النساء (٤): ٩٨ .

هوالذي ينشر الفكر أو يجمده هنا وهناك .

ويقال : أن الشعوب المستضعفة أكثر وعياً في الجانب السياسي من غيرها من الشعوب ، لأنّها تقع تحت الظلم ، وهذا الظلم يجعلها تتابع الأحداث حتى تتوصل إلى نقطة الخلاص ، والإعلام له دور كبير في تضليل الرأي العام ، وقلب الحقائق .

تعاليم القرآن وممارسات بعض المسلمين

ومن آيات الجهاد الابتدائي قوله تعالى: **{يا أَيها الذين آمنُوا إِذَا ضربتُم في سبِيل ا ِ فَتَبينُوا ولاَ تَقُولُوا لِمن أَلْقَى إِلَيكُم السلاَم لَستَ مؤْمناً تَبتَغُون عرض الْحياة الدنْيا فَعنْد ا ِ مغَانم كَثيرةٌ كَذَلِك كُنتُم من قَبلُ فَمن ا ُ علَيكُم فَتَبينُوا إِن ا َ كَان بِما تَعملُون خَبِيراً}**(١) .

هذا على سبيل النظرية ، أما على سبيل التطبيق فهناك من الممارسات الخاطئة في ما يسمى بالفتوحات الإسلامية ما يقرح القلوب .

صفات المجاهدين في القرآن الكريم

كذلك اشترط الدين الإسلامي في المجاهدين صفاتاً خاصة فضلا عن القائد لهؤلاء المجاهدين الذي يقوم بالوصاية على جهاد الدعوة ، ولم يرض الإسلام بتأهيل أي شخص لهذه الوصاية .

قال تعالى: **{إِن ا َ اشْتَرى من الْمؤْمنين أَنفُسهم وأَموالَهم بِأَن لَهم الْجنةَ يقَاتلُون في سبِيل ا ِ فَيقْتُلُون ويقْتَلُون وعداً علَيه حقّاً في التوراة والإِنجِيل والْقُرآن ومن أَوفَى بِعهده من ا ِ فَاستَبشروا بِبيعكُم الذي بايعتُم بِه وذَلِك هو الْفَوز الْعظيم}**(٢) ، ثم يصف ا تعالى المجاهدين بقوله : **{التائِبون الْعابِدون الْحامدون السائِحون الراكعون الساجِدون**

١- النساء (٤): ٩٤ .

٢- التوبة (٩): ١١١ .

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود ا ـ وبشر المؤمنين}(١) .

وفي رواية لطيفة عن الإمام السجاد(عليه السلام) حينما كان متوجهاً إلى الحج ، حيث التقى به عباد البصري ، فقال له : يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته ، وأقبلت على الحج ولينه ، إن ا عز وجلّ يقول: **{إن ا ـ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنةَ يقاتلون في سبيل ا ـ}**(٢) الآية ، فقال علي بن الحسين صلوات ا عليه : أتم الآية فقال **{التائبون العابدون}** الآية ، فقال علي بن الحسين(عليه السلام) : إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج(٣) .

الجهاد الابتدائي له شروط خاصة ، وله أهداف محددة

إذن جهاد الدعوة : والجهاد الابتدائي بالمصطلح الفقهي ليس مفتوحاً لكل من هب ودب، وإنّما كان مفتوحاً لفئة خاصة تتميز بصفات معينة في التشريع الإسلامي .

إذن غرض جهاد الدعوة هو نصرة المظلومين ، وانجاز حقوق اللّه على الناس، وقد يتسائل البعض هل حقوق على البشر؟ وهذه جدلية كتبت فيها الكتب، وأن أي مصدر من مصادر الحقوق ،فيها حق كحق الحاكمية الذي تقر حتى المسيحية به، ولكنّهم يقولون: أن ا قد أعفى عباده من هذا الحق.

الجهاد الابتدائي من حقوق الإمام المعصوم الخاصة

المبرر الحقوقي لجهاد الدعوة هو إنجاز حقوق ا على الناس ، والنقطة الثانية التي نريد الإشارة إليها هو أن الذي جعله ا وصياً على البشرية هو ليس أي فرد

١- التوبة (٩): ١١٢ .

٢- التوبة (٩): ١١١ .

٣- وسائل الشيعة ١٥: ٤٦ ، الحديث ١٩٩٥٦ .

من الأفراد ، وإنّما هناك أشخاص معينون للجهاد ، ليس كل من ربى لحيته أو وضع على رأسه عمامة فهو مؤهل لهذا الجهاد ، وأن جهاد الدعوة حق للمعصوم ، وهذا ما عليه إجماع الإمامية إلاّ من شذّ .

وأن جهاد الدعوة هو صلاحية خاصة للمعصوم علماً وعملا ، وهو الإنسان الكامل ، حتى أن الإمام الخميني(رحمه ا) رغم أنّه يرى صلاحيات أوسع للفقيه ، أي : ولاية الفقيه المطلقة ، استفتى عدة استفتاءات ، وإلى آخر أيام حياته كان يرى أن الجهاد الابتدائي هو حق للمعصوم لا غيره ، وهذا ما تظافرت عليه الروايات .

وفي رواية عن الإمام الصادق(عليه السلام) في قوله تعالى : **{وا ُ يدعو إِلَى دارِ السلاَمِ ويهدي من يشَاء إِلَى صراط مستَقيم}**(١) ، إن ا هو أول داع لنفسه ، ثم الرسول(صلى ا عليه وآله) ، حيث قال تعالى: **{ادع إِلَى سبِيلِ ربك بِالْحكْمة والْموعظَة الْحسنَة وجادلْهم بِالَّتي هي أَحسن}**(٢) ، ثم يستعرض الإمام الصادق(عليه السلام) صلاحية الدعوة بعد ذلك ، فيبين أن الذي يصلح للدعوة والجهاد هو من يكون ملتزماً بشرع ا عز وجلّ في الجهاد، ومن لم يكن ملتزماً بشرع ا في الجهاد فليس بمأذون له في الجهاد والدعوة إلى ا حتّى يحكم في نفسه ما أخذه ا من شرائط الجهاد(٣).

أمريكا والتناقض بين الشعار والواقع

في زماننا أمريكا أو الأمم المتحدة ترفع شعار مكافحة الإرهاب ، وكل ما يعكّر صفو الأمن البشري أو ما يتناقض مع حقوق الإنسان ، ولكن هل تحقق أمريكا أو الأمم المتحدة العدالة ، ففي أمريكا هناك امتيازات للجنس الأبيض على

١- يونس (١٠): ٢٥ .
٢- النحل (١٦) : ١٢٥ .
٣- وسائل الشيعة ١٥: ٣٤ ، الحديث ١٩٩٤٩ .

الجنس الأسود، وهذا هو الواقع وإن كانت القوانين المدونة لا تعترف بهذه الحقيقة .

الإسلام يدعو إلى العدالة ويطبقها

ولكن عند المسلمين دالأمر يختلف فالكل سواسية كأسنان المشط ، بينما عند المسيحيين لا يمكن للأسود أن يكون باباً للكنيسة هذا هو الواقع ، وهذا هو المتعارف عندهم وإن لم يكن مدوناً ، ولكنّهم أشد التزاماً بالأعراف من القوانين ، بينما نرى الإسلام يفتح المجال أمام الأبيض والأسود لكي يصل إلى أعلى المناصب ما عدا الإمامة المعصومة التي تعتمد على الاصطفاء الإلهي ، وهي "ارستقراطية إلهية" لا يستطيع أحد أن يعارضها .

إذن ، الإسلام عندما يدعو إلى العدالة فإنّه يطبق هذه العدالة ، والتشريع الإسلامي يمتاز بهذه الميزة التي تفتقر إليها الديانات المحرفة ، والمدارس الوضعية الأخرى ، نحن نتكلم عن النظرية ، وليس عن التطبيق .

الفيتو عند الإمامية الاثنى عشرية لا يكون إلاّ عند المعصوم

قانون الفيتو يجب أن يكون له مبرر حقوقي ، وهو سيطرة الأعقل على العاقل ، ووصاية الأخبر على من هو أقل خبرة منه .

في مذهب الإمامية لا يسمح للفقيه والمرجع أن يكون له حق النقض "الفيتو" ، ولا يمتلك هذا الحق إلاّ الإمام المعصوم المتصل علمه بعلم ا تعالى ، وهو صاحب العلم اللدني ، بينما نرى ـ في القانون الغربي ـ أن حق النقض "الفيتو" متاح للقوي الذي يخضع بدوره إلى مصالحه الخاصة ونزواته وغرائزه وشهواته فيكون هذا الفيتو باب من أبواب تكريس الظلم في المجتمع البشري .

النزوع الفطري نحو العصمة

كيف نبرر مفهوم "الفيتو" في المنطق الغربي على المستوى القانوني والحقوقي ، إذن لا بد لقيمومة الأعدل والأعلم على غيره ، وهذا الأعلم والأعدل والأخبر والأعقل هو المعصوم في مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، والتسليم بهذا المبدأ يعني : النزوع الفطري نحو العصمة ؛ لأن الإنسان بفطرته يريد أن يعطي حق الفيتو للمعصوم الذي لا يخطأ على المستويين العلمي والعملي .

المحاضرة السابعة

الرد على شبهة الرق وحقوق الإنسان

محاور المحاضرة :

أولا : مسألة الرق وحقوق الإنسان .

ثانياً : قراءات جديدة تفسر النصوص الشرعية .

ثالثاً : الحداثيون : أحكام الإسلام ليست أبدية .

رابعاً : الدين يتناسب مع كل الأزمان وكل البيئات .

خامساً : كرامة الإنسان في التشريع الإسلامي .

سادساً : هناك فرق بين الكفار في الفكر الإسلامي .

سابعاً : الجزء الوافر من الشريعة الإسلامية مستمد من الفطرة الإنسانية .

ثامناً : معنى الرق في الفقه الإسلامي .

تاسعاً : الإسلام شجع على تحرير العبيد ومعاملتهم بالحسنى .

عاشراً : نيويورك مدينة بيضاء .

مسألة الرق وحقوق الإنسان

من الأمثلة التي يعترض بها المعترضون على الإسلام، هي مسألة الرق والاستعباد المذكورة في القرآن الكريم وفي التشريع الإسلامي، وهي مسألة قديمة حديثة ، وهناك مخطط أمريكي يستهدف فرض الوصاية على الإرشاد الديني،والمناهج في الدول الإسلاميةباعتبار أن بعض تعاليم الإسلام تحرض

على الإرهاب ، وتناقض حقوق الإنسان ، وتحاول أمريكا الضغط على الدول الإسلامية من أجل التخلّي عن مفاهيم بعض الآيات القرآنية التي تدعي أنّها تحرض على الإرهاب أو تناقض حقوق الإنسان .

قراءات جديدة تفسر النصوص الشرعية

وهناك بعض الحداثيين من العالم الإسلامي يحاول أن يجد إجابة عن هذه التساؤلات ، ويوجد الحل بأن يقول : أن جملة من التشريعات القرآنية والنبوية هي تشريعات كانت مقنّنة ومؤسسة على ضوء البيئة العربية الجاهلية ، أو البيئة البشرية في أعراف ذلك الزمن ، وبعضهم يتمادى في هذا المجال ، ويسميه قراءة حديثة للقرآن الكريم ، ويقول : حتّى الحجاب بهذا التشدد الوارد في التشريع الإسلامي ، إنّما كان باعتبار أن المرأة العربية السابقة كانت تعيش في مجتمع عربي بدوي كان فيه العطش الجنسي شديد ، وكان أي بريق من جمال المرأة يثير ذلك المجتمع ، فلذلك أمرها القرآن بالجلباب(١) ، وهو ما يسمى بـ "العباءة والخمار" ، وهو الربطة التي في الرأس أو الحجاب ، وللأسف الشديد أن المرأة قد تركت العباءة ، واستبدلتها بما يسمى بـ "البالطو" الذي يتفنّن مصمموا الأزياء في تشكيله بشكل يظهر مفاتن المرأة من الخصر والصدر والبطن ، فتمشي المرأة بهذا اللباس ، وكأنّها في استعراض لمفاتنتها .

الحداثيون : أحكام الإسلام ليست أبدية

في الرد على هذه القراءة ، أقول: أنا لست بصدد الرد على مثل هذه القراءات الحداثية ، وبيان أُصول الاستنابط الشرعي ، لأن هذا موضوع قائم بنفسه ، ويحتاج

١- محمد شحرور في كتابه الكتاب والقرآن .

إلى سلسلة بحوث كثيرة ، ولكن من الواضح أن من يدعون أنّهم يقرأون القرآن قراءة حداثية أو قراءة جديدة يحاولون إثبات أن بعض الأحكام الإسلامية ليست أحكاماً أبدية ، وإنّما كانت تناسب بيئة معينة ، كما هو الحال في الرق والاستعباد ، لأن هذا الموضوع مرفوض عند البشرية جمعاء في زماننا الحالي ، أما في العرف القانوني في الزمان الذي رافق ظهور الإسلام كان العرف القانوني يقر الأسر والسبي والرق والاستعباد ، أما الآن وبعد أن اُلغي الرق في الأعراف البشرية ، آن الأوان أن تُعاد قراءة هذا الباب ، وأن نقرأه قراءة جديدة تغير بعض الأحكام الواردة فيه ـ كما يقولون ـ .

الدين يتناسب مع كل الأزمان وكل البيئات

أما نحن فنقول: إن الدين باعتباره ديناً ربانياً إلهياً فهو يغطّي كل الأجيال ، وكل أشكال وأنواع النظام الإجتماعي ، وهو يقدم موقفاً قانونياً ونظاماً يتناسب مع كل المجتمعات ، سواء ذلك المجتمع مجتمعاً قبلياً أو حضرياً أو مدنياً أو قروياً ، وهناك ثابت ديني ومتغير ديني ، ولكنّنا لسنا في مقام تفصيل هذه المصطلحات الآن .

كرامة الإنسان في التشريع الإسلامي

وهنا علامة استفهام : هل أن الرق والعبودية المطروحة في الشريعة الإسلامية تستند إلى الخشونة والقساوة وعدم احترام حقوق الإنسان أم أن الأمر ليس كذلك؟

هناك قاعدة اُصولية، وهي من القواعد الأم في التشريع الإسلامي، ألا وهي: "أن الطبيعة الأولية هي كرامة الإنسان في التشريع الإسلامي" يعني: أنّنا في كل مورد من الموارد لا نجد فيه نصاً خاصاً أو تعبداً خاصاً على الاستثناء أو التخصيص أؤ الرفع عن هذه الطبيعة الأولية التي هي كرامة الإنسان في التشريع

الإسلامي ، فإنّنا نعتمد على هذه القاعدة في التشريع ، وقد صرح بهذه القاعدة في تطبيقاتها الفرعية في الأبواب ، كحرمة التمثيل بالميت ولو كان عدواً وأيضاً حرمة قتل النساء والشيوخ والصبيان . الكثير من علماء الإمامية الاثني عشرية ، وربما جملة من بقية المذاهب الإسلامية الأُخرى ، وتستند إلى الكثير من النصوص القرآنية ، منها قوله تعالى: **{ولَقَد كَرمنَا بني آدم}**(١) ، وقوله تعالى: **{لَقَد خَلَقْنَا الإِنسان في أَحسنِ تَقْوِيم}**(٢) ، وقوله تعالى: **{ا ُ الذي خَلَقَ السموات والأَرض وأَنزلَ من السماء ماء فَأَخْرج بِه من الثمرات رِزقاً لَكُم وسخر لَكُم الْفُلْك لِتَجرِى في الْبحرِ بِأَمرِه وسخر لَكُم الأَنهار * وسخر لَكُم الشمس والْقَمر دائِبينِ وسخر لَكُم الليلَ والنهار}**(٣) ، وهذه الآيات هي قواعد قانونية ، ولا تندرج تحت فقه المقاصد ، أو روح الشريعة ، أو أنّها ثقافة قرآنية عامة ، وأن أكثر ما خلقه ا إنّما سخّره للإنسان ، إذن فالأُمور التي توجب إهانته أو سلبه للكرامة الإنسانية ، هذه الأُمور بما إنّها منافية للكرامة الإنسانية فهي أُمور مرفوضة في الشريعة ، والقرآن لم يخصص المؤمنين أو المسلمين ، بل قال: **{ولَقَد كَرمنَا بني آدم}**(٤) ، إذن الإنسان بما هو إنسان ، لا الإنسان بما هو مادي أو ملحد أو مجرم ؛ لأن هذه عناوين أُخرى ، الطبيعة الفطرية للإنسان كريمة عند ا ، قال تعالى: **{فطْرةَ ا ِ التي فَطَر الناس علَيها لاَ تَبديلَ لِخَلْق ا ِ ذَلِك الدين الْقَيم ولَكن أَكْثَر الناسِ لاَ يعلَمون}**(٥) ، أو بتعبير قرآني آخر : **{صبغَةَ ا ِ ومن أَحسن من ا ِ صبغَةً}**(٦) ، وهذا ليس من باب فلسفة التشريع ، بل هو قالب

١- الإسراء (١٧) : ٧٠ .
٢- التين (٩٥) : ٤ .
٣- إبراهيم (١٤) : ٣٢ ـ ٣٣ .
٤- الإسراء (١٧) : ٧٠ .
٥- الروم (٣٠) : ٣٠ .
٦- البقرة (٢) : ١٣٨ .

قانوني قرآني ، وفي تعبير الإمام علي(عليه السلام) : "إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"(١) ، أو قول الإمام الحسين(عليه السلام) : "إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحراراً في دنياكم"(٢) ؛ لأن نبع الفطرة لها مقتضيات قانونية يحترمها التشريع الإسلامي تؤكّد على كرامة الإنسان ، والذين ينادون اليوم بكرامة الإنسان قد سبقهم الإسلام بأربعة عشر قرناً بالمناداة بكرامة الإنسان ، وأنّها الأصل ، ولا تهتك كرامة الإنسان إلاّ بموجب .

هناك فرق بين الكفار في الفكر الإسلامي

أما بالنسبة للكفار فالقرآن الكريم يفرق في التعامل بينهم فهناك كافر عدو وكافر ليس بعدو ، انظروا إلى التعبير القرآني الوارد في قصة إبراهيم مع آزر : **{وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو ـ تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم}**(٣) ، لاحظوا أنّه كان يعلم أنّه كان كافراً ، ولكن فرق بين الكافر العدو والكافر غير العدو ، وهناك مصطلح الكافر ومصطلح المشرك ، والكافر الذي يستحق النار والكافر الذي لا يستحق النار ، وقد يستغرب البعض من الكفار الذي لا يستحق النار ، نعم الكافر الذي هو في معرض الهداية ، وفي طريق البحث عن الحقيقة لا يستحق النار .

الجزء الوافر من الشريعة الإسلامية مستمد من الفطرة الإنسانية

الجزء الوافر من الشريعة الإسلاميةمستمد من الفطرة الإنسانية،وهي الفطرة التي أودعها ا في الإنسان،وهي قواسم مشتركةبيننا وبين باقي أبناء البشر،

١- ميزان الحكمة ٨: ٣٦٩١ ، الحديث ٢٢٧٩٩ .
٢- بحار الأنوار ٤٥ : ٥١ ، باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد .
٣- التوبة (٩): ١١٤ .

وهذا مصدر مهم في التشريع ، وفي مذهب الإمامية بشكل بارز ربما أكثر من المذاهب الأُخرى ، وأن أحد المصادر والحجج الربانية هو العقل ، والعقل يرجع إلى الفطرة ، سواء كان العقل النظري أو العقل العملي ، على الأقل في البديهيات التي ليست نظريات مختلف عليها بين أصحاب العقول ، وهي نقطة اشتراك بين الأصوليين والأخباريين ، كما يذهب إلى ذلك الشيخ يوسف البحراني(رحمه ا)(١) ، وقد ورد في روايات أهل البيت(عليهم السلام) : أن العقل رسول باطني كما أن النبي رسول ظاهر(٢) ، إذن فنحن ندور في دائرة اللغة الثابتة الشاملة للمتغيرات ، وهي اللغة العقلية الفطرية نحن مع الأُمم الأُخرى .

معنى الرق في الفقه الإسلامي

أما بالنسبة لظاهرة الرق والسبي وما شابه ذلك ، فلنعرف ما معنى العبودية أولا؟ حيث تصاحب هذه اللفظة معاني التقزز والتنفّر ، وهذا صحيح ، ولكن عبودية شخص لشخص آخر لها عدة معاني وعدة درجات، إذا لم يدركها الإنسان قد يستبشع العنوان في نفسه أو يحصل له الاشتباه في هذا المفهوم ، ونحن عندنا أن الأجير إذا أجر نفسه صار سخرة للمستأجر،بمعنى: أن نتاج جهده يكون لمصلحة المستأجر ، وهذا يفرض نوع من طاعة الأجير إلى المستأجر ، ومطلق الطاعة من المطيع إلى المطاع هو نوع من الخضوع

الإسلام شجع على تحرير العبيد ومعاملتهم بالحسنى

وقد وردت الكثير من النصوص الشرعية عند المسلمين ترغّب الإنسان في

١- الحدائق الناظرة ١: ١٥٥ .
٢- ميزان الحكمة ٥: ٢٠٣٦ ، الحديث ١٣٣٥٨ .

تحرير العبيد بالثواب الجزيل(١) كما أن التشريع الإسلامي جعل بعض الكفارات عتق رقبة عبد ، بل الكثير من الكفارات لا تقع إلاّ بتحرير رقبة لأجل تطويق ظاهرة الرق ، كما أن الإسلام قد حثّ على معاملة العبيد بالرفق والحسنى(٢) ، إذن الإسلام كان عنده برنامج للقضاء على هذه الظاهرة ، قد تحمل لون العقوبة في الكفارة على الشخص المخالف للحكم الشرعي ، ولكنّها تحمل في طرفها الآخر تحرير للعبد ، كما أن التشريع قد أوجب على السيد الذي يملك الأسير نفقته وضمانه الصحي وضمانه الاجتماعي ومسؤوليته الجنائية ، وسيتحمل الكثير من أجل أن يبقى هذا العبد تحت عهدته .

فالأحرى بالغربيين الذين يتّهمون الإسلام أن يقروا بما فضحهم به مؤتمر مكافحة العنصرية الذي عقد في جنوب أفريقيا أشهر أو في العام الماضي بأن ضمانات العبيد الذين استعبدوا بأشنع وأفضع وأشد وأقمع وأقبح طريقة بشرية من قبل البيض لهؤلاء السود ضمانات ضائعة .

نيويورك مدينة بيضاء

حتى اليوم ليس الأبيض كالأسود في الدول الغربية ، وفي خطابه الأخير بكل وقاحة وقلّة حياء ، يصرح الرئيس الأمريكي : أن مدينة نيويورك يجب أن ترجع مدينة بيضاء ، أي : فقط للجنس الأبيض ، فهل هذا منطق إنسان يحترم حقوق الإنسان ، بينما الإسلام يجعل من الرق نظام ضمان وكفالة للعبد أو الأسير مقنّنة ومشروطة ، ومع ذلك يخطط للقضاء على الرق بشكل كلي في عدة تشريعات فقهية.

١- وسائل الشيعة ٢٣: ٩ ، باب استحباب العتق .

٢- جامع أحاديث الشيعة ٢٤: ٣٧٣ ، باب وجوب نفقة المملوك ورعاية حقوقه واستحباب البرّبه .

الرق يعني الخدمة في التشريع الإسلامي

يجب أن نحذّر من الانسياق وراء العناوين القانونية ، حيث يتم الخداع والمغالطات وخدمة المصالح وترجيح طرف الباطل على طرف الحق ، ولابد من الالتفات إلى نفس المعنى مهما حاولوا تسميته وبأي تسمية .

الرق في التشريع الإسلامي ، يعني : الخدمة وملكية الخدمة ليس إلاّ ، ولا يعني : القهر والظلم ، والآن لازالت الكثير من الدول لا يتمتع الخادم فيها بالضمان الذي يضمن الحماية لهذا العبد أو الخادم ، والموجود في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية ، والتاريخ رصد لنا ماذا فعل الجنس الأبيض بالجنس الأسود ، والمفروض أن يطرحوا هذه الإشكالات على حضارتهم التي تستنقص العنصر الأسود ، وتمنعه من الوصول إلى العديد من المناصب .

استئصال الغدة السرطانية

هناك العديد من الاعتراضات على التشريع الإسلامي سأجيب عنها إجابات عامة ، ولن أخوض في تفاصيلها لضيق المقام .

منها : أنّه لو فسد عضو من أعضاء الإنسان بسبب مرض ما كمرض السكري بحيث لا تسلم بقية الأعضاء إلاّ إذا بتر ذلك العضو ، فمن الواضح أن بتر ذلك العضو بتر مستساغ ، ولا يعد بتره مخالفاً للإنسانية والحق الطبيعي أو خلاف التشريع الديني ، بالعكس هو من صلب الإنسانية والتشريع الديني والحق الطبيعي ؛ لأنّه سيحفظ حياة إنسان .

ولكم في القصاص حياة

وهذا ماينطبق على الشخص أو الجماعة التي تهدد نظاماً اجتماعياً من خلال الجريمة والتعدي على المجتمع وتهديد الأمن والاستقرار وسلب الأموال

والاعتداء على الحرمات ، في مثل هذه الأمور يعبر القرآن الكريم: **{ولَكُم في الْقِصاصِ حياةٌ يا أُولِي الأَلْبابِ}**(١) ، باعتبار أن ردع الجاني يهييء الجو لسيادة الأمن وقطع دابر الجرائم ، وهناك العديد من الاعتراضات على الحدود والتعزيرات الإسلامية .

مفهوم الإرهاب

مفهوم الإرهاب الدولي وموقف الإسلام منه ، ومتى يستخدم ومتى لايستخدم ، وسيكون البحث في الليالي القادمة حول مفهوم الإرهاب في مقابل السلم ، ومتى يسوغ وقوعه ومتى لا يسوغ وقوعه ، وسنختم هذه المراحل الثلاث بموقف الإمام الحسين(عليه السلام) باعتبار قرآناً متجسداً ناطقاً ، لا سيما أن واقعة عاشوراء اجتمعت فيها عدة ظروف عديدة شملت الكثير من المواقف والموضوعات والمحاور ، وكأنّها نقطة لاستقطاب معرفة المواقف من خلال منطلقات الإمام الحسين(عليه السلام)الذي انطلق منها .

تعريف الأمم المتّحدة للإرهاب

ذكر في النصوص القانونية لبعض المجاميع البشرية ، لا سيما في الأمم المتّحدة ، أن الإرهاب هو "استخدام الرعب كعمل رمزي للتأثير على السلوك السياسي بوسائل غير معتادة مهددة عنيفة"(٢) ، وقولهم عمل رمزي يشير إلى الفرق بين الإرهاب والحرب ، فالإرهاب ليس حرباً ، فالحرب تعتمد على التوسع الجغرافي والغنائم المادية ، أما الإرهاب فليس من أهدافه تحقيق مكاسب مادية ،

١- البقرة (٢): ١٧٩ .
٢- الإرهاب الدولي ، تأليف : أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيّار ـ إصدار مركز الدراسات العربي الاوروبي .

وقد يكون للإرهاب دور يفوق دور الحروب أحياناً في تحقيق بعض الأهداف .

النصر بالرعب

وعندنا روايات تشير إلى أن النبي(صلى ا عليه وآله) قد نصر بالرعب(١) ، حيث يكون الرعب أنجح وأنجع من الحرب الميدانية ، وقد أشار الإمام الخميني(رحمه ا) في معرض حديثه عن القوى الكبرى : أن هذه القوى تستخدم الإرهاب أكثر من الحروب الميدانية لتحقيق أهدافها .

وهناك قواسم مشتركة بين الحرب وبين الإرهاب ، وهذا التعريف صحيح في بعض أجزائه ، وسنستعرض تعاريف ُأخرى للإرهاب ، ولكن هذا التعريف يغفل نقاطاً مهمة من أجل أن يتّهموا جهات معينة بالإرهاب ، كالشعوب التي تنشد الحرية وغيرها ، لأن هؤلاء المقننين يخدمون الاستكبار العالمي لكي تتهيأ له الأجواء القانونية في استكباره ، ولكي تلقى خططه العدوانية تأييداً تحت مسميات مزورة .

١- الخصال: ٢٠١ ، باب الأربعة، الحديث ١٤ .

المحاضرة الثامنة

مناقشة تعريفات الإرهاب وتطبيقاتها

محاور المحاضرة :

أولا : العمليات الإرهابية لا تستهدف الحصول على مكاسب مادية .

ثانياً: العمليات الإرهابية ترتبط بالأهداف السياسية وتستهدف الضغط النفسي.

ثالثاً: الإرهاب هو العنف المتطرف .

رابعاً: لابد من وجود ضوابط للقوة .

خامساً : أقسام الإرهاب .

سادساً : ارتباط ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) بالشرع والمثل والمبادىء والقيم في كل مراحلها .

سابعاً : الحكم ليس إلاّ وسيلة لإقامة العدل .

ثامناً : أهل البيت(عليهم السلام) يرفضون قاعدة "دفع الأفسد بالفاسد" .

تاسعاً : الفرق بين جيش الإمام على وجيش الإمام الحسن(عليهم السلام) .

عاشراً : المرجعية الشيعية تعتبر شبه دولة .

العمليات الإرهابية لا تستهدف الحصول على مكاسب مادية

مر علينا أحد تعريفات الإرهاب وهو. "استخدام الرعب كعمل رمزي للتأثير على العمل السياسي بوسائل مهددة عنفية غير معتادة" .

قد تستخدم الآلات العسكرية في الحرب ، وفي العمليات الإرهابية ، ولكن في العمليات الإرهابية لا ترتبط ـ غالباً ـ هذه العمليات بالحصول على مكاسب مادية أو توسيع الرقعة الجغرافية ، ولا يكون استخدام هذه الآلات بشكل متواصل ودائم ، بينما تكون للحرب ـ غالباً ـ أهداف مادية ، وتستهدف التوسع الجغرافي ، وتستخدم الآلات الحربية بشكل دائم .

العمليات الإرهابية ترتبط بالأهداف السياسية وتستهدف الضغط النفسي

وتمثِّل العمليات الإرهابية عاملا مادياً آلياً يستهدف الضغط النفسي على الطرف الآخر الذي قد يكون دولة أو شعباً أو طائفة أو حزباً منافساً أو فرداً معيناً ، وفي الغالب تكون العمليات الإرهابية مرتبطة بالأغراض السياسية ، وهناك بعض العمليات الإرهابية مرتبطة بالحصول على مبالغ مالية ، والهدف منها مادي ، كما هو حال المافيا الدولية التي تمارس الإرهاب في العالم من أجل هذا الغرض

الإرهاب هو العنف المتطرف

التعريف الثاني للإرهاب هو : "العنف المتطرف لأهداف سياسية الذي تنتهك به المعتقدات الإنسانية والأخلاقية" ، والتعبير هنا بـ"المتطرف" إشارة إلى أن استخدام القوة شيء حسن إذا خضع للضوابط ، ولكن في التعريف أشار بكلمة "المتطرف" لكي يشير إلى أن استخدام القوة في العمليات الإرهابية أمر غير صحيح ، وغير خاضع للضوابط .

ضوابط المبارزة العسكرية

في حروب العرب السابقة ، وكذلك الأمم المعاصرة لها ، كان الجيشان يلتقيان ، ويبرز من كل جيش منهما أفراد من أجل المبارزة العسكرية ، وكانت هناك أُصول

قانونية تحكم كيفية القتال بين هذين الفارسين المبارزين ، أو يخرج من كل جيش مجموعة وتبارز المجموعة التي خرجت من الجيش الآخر ، وفي هذه الحالة يصح أن يعين كل محارب من هو في جيشه ، كما أعان الإمام علي (عليه السلام) عمه الحمزة في غزوة بدر ، والإمام علي(عليه السلام) قد قتل ابن عتبة ، ثم أعان عمه الحمزة على قتل عتبة ، كما شارك في قتل شيبة أيضاً ، فنلاحظ أن المبارزة لها قوانين وضوابط ، وما كان يصح أن يأتي من جيش المسلمين أو جيش المشركين غير هؤلاء الستة قبل انتهاء المبارزة العسكرية .

لابد من وجود ضوابط للقوة

وهذا حصل مع عبيد ا بن زياد حيث نهاه بعض جلسائه عن استخدام لغة القوة مع السبايا لأنّهن نسوة ، وهذا يدل على وجود ضوابط لاستخدام القوة منذ الزمن الإسلامي القديم ، بل حتّى في زمن الجاهلية كانت توجد أعراف قانونية يتقيد بها ، وقد ذكر القرآن لفظ الجاهلية الأولى في قوله تعالى: **{ولاَ تَبرجن تَبرج الْجاهلية الأُولَى}**(١) ، والبعض يقول : إن القرآن قد تنبأ بوجود جاهلية ثانية(٢) ، ويبدو أن الجاهلية الأُولى كانت لها ضوابط أكثر من الجاهلية الثانية التي تمارس الفحشاء بلا حدود ، وتقنّن قوانينها بالخداع واللعب بالمصطلحات وتفسيرها تفسيراً مخادعاً .

قتل المدنيين في الحروب مخالف لقوانين الحرب

النتيجة هي أنّه لو احتجنا لاستخدام القوة فنستخدمها ، ولكن ضمن ضوابط وحدود وأُطر تنظّم استخدام هذه القوة، فمثلا : يجب أن لا يقتل المدنيون في

١- الأحزاب (٣٣) : ٣٣ .
٢- تفسير القمي ٢: ١٦٨ ، ذيل هذه الآية مسنداً عن أبي عبد الله عن أبيه(عليهما السلام) .

الحروب التي تكون بين دولة ودولة أُخرى أو بين دولة وفئة معارضة داخل تلك الدولة أو خارجها ، يجب أن لا يقتل المدنيون الأبرياء في هذه الحرب ، كما هو منصوص في القوانين الدولية ، ولا يقتل في هذه الحرب إلاّ العسكريون ، ومن أمثلة هذه الضوابط إذا أرادت دولة ما أن تلقي القبض على إرهابيين فالقانون يرفض أن يكون المدنيون من النسوة والأطفال والشيوخ وغيرهم ضحية في هذه العملية ، هذا ما يقوله القانون وإن كان حبراً على ورق ، أما الواقع فالأمر مختلف .

استخدام الأسلحة الكيمياوية والجرثومية

أو استخدام الأسلحة الكيمياوية أو الجرثومية أو استخدام اليورانيوم المخصب أو استخدام الأسلحة التي تكون لها انعكاسات سلبية على البيئة والحالة الصحية للمجتمع ، فممارسة جميع هذه الأُمور تندرج تحت عنوان الإرهاب وليس تحت عنوان الحرب ؛ لأن الحرب لها أخلاقياتها وأُصولها وقوانينها ، وهي تستهدف ردع القوة الغضبية عند الطرف الآخر .

الآثار السلبية للانتقام

ومن الخطأ مواجهة العدوان بعدوان أكبر،والإرهاب بإرهاب أكثر،ولهذا نجد أن الانتقام يحمل في طياته الكثير من السلبيات ؛ لأنّه يؤدي إلى هذه النتيجة ، ومن هنا كان العفو أقرب للتقوى في الموارد التي يمكن فيها العفو؛ لأن القوة الغضبية كثيراً ما تكون في حالة الانفلات، وعدم السيطرة عند الانتقام.

أقسام الإرهاب

التعريف الثالث للإرهاب هو: "الإرهاب الحربي والثوري والقمعي والمالي" ، وكأنّهم بصدد بيان أقسام الإرهاب .

معنى الإرهاب الحربي

فالإرهاب الحربي ، يعني : استخدام ورقة الإرهاب ضمن تلك الحرب ، كإسقاط طائرة مدنية تابعة للدولة التي نحاربها بهدف الضغط النفسي ، وإضعاف القرار الإداري على تلك الدولة ، إذن الحرب قد تتضمن الإرهاب ، مع الالتفات إلى الفرق بين الحرب والإرهاب .

معنى الإرهاب القمعي

والقسم الثاني هو الإرهاب القمعي : وهو الإرهاب الذي تمارسه الدول والأنظمة الحاكمة ضد رعاياها أو ضد المعارضين لها ، من أحزاب وأفراد ، والإرهاب في هذا القسم ، يعني : تجاوز القوانين الدولية والعرفية التي تنظّم علاقة الحاكم بالمحكوم ، كأن تعتقل مجموعة من الأبرياء وتعذّبهم من أجل إخافة المعارضين الحقيقيين الذين ربما لم ينكشفوا بعد ، وهي بهذا تختصر الطريق بتخويف المعارضين ، ولكن يدفع ثمن هذا الاختصار مجموعة من الضحايا الأبرياء ، وهذا أمر مدان من التشريع الإسلامي والتقنين الدولي .

معنى الإرهاب الثوري

أما الإرهاب الثوري : وهو إرهاب مجموعة لديها مطالب معينة تقوم بعمليات إرهابية من أجل تحقيق هذه المطالب ، كما كانت المجموعات اليسارية تمارس هذه العمليات تحت شعار "أن الغاية تبرر الوسيلة" فيتعرضون للأبرياء أو المؤسسات أو المصالح العامة أو الخاصة

ارتباط ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) بالشرع والمثل والمبادىء والقيم في كل مراحلها

والإمام الحسين(عليه السلام) رغم أنّه قام بهذه الثورة المقدسة العظيمة إلاّ أنّها لم تنفك عن أخلاقه وقيمه ومبادئه العظيمة ، بل كانت ملتزمة بحذافير التشريع الإسلامي ، والمثل العليا للدين ، وهذا ما يتجلّى في سلوكه وسلوك أصحاب وأهل بيته وسفرائه ، كمسلم بن عقيل الذي رفض أن يغدر بعبيد ا بن زياد ، مع أن هذا الأمر كان أمراً مهماً ، وربما يغير مجرى التاريخ ، مع ذلك رفضه مسلم بن عقيل ؛ لأنّه يتنافى مع مبادئه ، وقد أثنى الإمام الحسين(عليه السلام) على مسلم بن عقيل ، فمع حرصهم على الهدف الذي يجاهدون من أجله ، وهو وصول المعصوم إلى الحكم الذي هو حقّه ، ومع سمو هدفهم ، إلاّ أنّهم ما تجاوزوا حدودهم أبداً هذا مع رعونة الطرف الآخر وعدم تقيده لا بالدين ولا بقيم العرب ولا بالأعراف الإنسانية ، مع ذلك كله إلاّ أنّه لا يدفع الفساد بالفساد ، وإنّما يدفع الفساد بالصلاح .

الحكم ليس إلاّ وسيلة لإقامة العدل

قال الإمام علي(عليه السلام) : "... وا لَهي أحب إلي من إمرتكم إلاّ أقيم حقاً أو أدفع باطلا"(١) فالحكم في منطق القرآن وأهل البيت(عليهم السلام) ليس إلاّ وسيلة من وسائل الوصول إلى الحق، أما إذا كان الحكم بنفسه غاية أوهدفاً نهائياًفلاقيمة لهذا الحكم في ميزان القرآن وأهل البيت(عليهم السلام).

أهل البيت(عليهم السلام) يرفضون قاعدة "ادفع الأفسد بالفاسد"

وعند مذهب أهل البيت(عليهم السلام) لا تصح القاعدة التي تقول: "ينبغي دفع الأفسد بالفاسد" ، وربما تبنّى هذا الرأي بعض المذاهب الإسلامية ، ولكن مذهب أهل البيت(عليهم السلام) لا يوافق عليه ، لأن الأفسد قد فعله غيرك ، وهو مسؤول عنه ، وهذا لا

١- ميزان الحكمة ٢: ٩٠٠ ، الحديث ٥٨٥٥ .

يسقط عنك الحساب على فعل الفساد ، ولا يبرر لك أن تفعل الفاسد وإن كان من أجل دفع الأفسد .

إذا وصلت التقية إلى الدم فلا تقية

ونحن عندنا في مذهب أهل البيت(عليهم السلام) أن التقية شرعت من أجل حقن الدماء، أما إذا وصلت التقية إلى الدم فلا تقية ، بمعنى أنّه لو قيل لك : اقتل زيداً وإن لم تقتله بأن ذلك الطاغي سيقتل عشرة ، فهنا التقية لا تجوز ، لأنّه لو قتل الطاغي العشرة فهو محاسب أمام ا ، أما أنت فستكون محاسب أمام ا إذا قتلت زيداً حتّى لو كان ذلك بحجة بعنوان حفظ النفس ، لأنّها مرتبطة بقتل نفس أُخرى ، نعم هناك بعض المسائل الشرعية المنصوص عليها بنصوص خاصة ، ومثالها : لو تترس المشركون ببعض المسلمين ، وكانت الضرورة تقتضي الهجوم على المشركين ، حينئذ يجوز الهجوم عليهم وحربهم حتّى لو كان أولئك المسلمون الذين تترس بهم المشركون من بين الضحايا .

العمليات الاستشهادية لا تندرج تحت عنوان ارتكاب المحرم

بعض علماء الأزهر يدرج العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الفلسطينيون أو اللبنانيون ضد العدو الصهيوني تحت عنوان ارتكاب المحرم من أجل الوصول إلى النصر ، وهذا الرأي خاطىء وسيأتي الرد عليهم ، ثم أن تحديد الأفسد والفاسد ، فيه قيل وقال حتّى بين الفقهاء أنفسهم

فصل الإمام الحسين(عليه السلام) عن القبائل الموالية له

ولا تستبعد أن الإمام الحسين(عليه السلام) قد اجتمع عليه سبعون ألفاً ، لأن الغرض من هذا العدد ليس مقاتلة الحسين(عليه السلام) قتالا ميدانياً ، وإنّما تطويق الإمام الحسين(عليه السلام)بحيث لا يستطيع الالتقاء بالقبائل المجاورة وكسبها إلى جانبه ، ولكي يعرقل هذا

العدد الهائل قدوم القبائل التي كانت توالي الإمام الحسين(عليه السلام) ، ولكي يضمن الحكم الأموي عدم قيام ثورة أو انتفاضة من قبل شيعة الكوفة الموالين للإمام الحسين(عليه السلام)، فلولم يكن هذا العدد الضخم موجود لأتت القبائل المواليةللحسين(عليه السلام)بهدف نصرته،وقتال جيش بني أُمية

معنى الإرهاب المالي

أما الإرهاب المالي فمن أمثلة : عصابات المافيا التي تتمتع بقدرات هائلة تهدد الدول والحكومات من أجل الحصول على مكاسب مالية ، ومن الإرهاب المالي : ضغط أمريكا على پاكستان من أجل إخضاع پاكستان للموافقة على التواجد الأمريكي في المنطقة ، كما صرح بذلك الرئيس الپاكستاني الذي قال : "إن بلاده هددت بضرب مفاعلها النووي في حال معارضتها للوجود الأمريكي في المنطقة" ، وقال: "إن احتفاظنا بالقنبلة النووية مصدر عز لپاكستان والدول الإسلامية" ، فصارت القنبلة النووية محفوظةبدل أن تكون حافظة،وصارت موجبةللذلّ بدل أن تكون موجبة للعز ، وهذا هو الإرهاب المالي الذي مارسته أمريكا بتهديدها للپاكستان باعتبار أن الأعيان التي تقوم الجانب الاقتصادي أو الجانب العسكري وما شابهه تكون تحت سياط التهديد بالنسف والتدمير ، ومن ثم تخضع للجانب القوي .

أسباب صلح الإمام الحسن(عليه السلام)

ومما يتصل ببحث الإرهاب أن الكثير ممن كانوا في ركب الإمام الحسن(عليه السلام) ، ومنهم بعض أصحابه المخلصين حلّلوا ظاهرة الصلح التي أقدم عليها ، أنّه(عليه السلام) إنّما أقدم على الصلح ؛ لأنّه قد وقع تحت ضغط الإرهاب والتهديدات الأموية ، وكانت مكاتبات معاوية تستخدم لغة الإرهاب والتخويف بشكل مكثّف ، وقال المسيب بن نجبة الفزاري وسليمان بن صرد الخزاعي للحسن بن علي(عليه السلام) :

ما ينقض تعجبنا منك ، بايعت معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من الكوفة سوى أهل البصرة والحجاز![1] . ظنّا منهم أن الإمام الحسن(عليه السلام) وقع تحت ضغط الإرهاب الأموي ، وهذا التحليل خاطىء ؛ لأن الأرقام التاريخية تدلّل أن قبائل العراق التي كان أغلبها مهاجر من الجزيرة العربية ، ومنها : ربيعة ومضر وكندة كانت تقع تحت الإغراء الذي يقدمه معاوية لكي تقف هذه القبائل مع معاوية وتتخلّى عن الإمام الحسن(عليه السلام) ، يضاف إلى ذلك وجود خيانات لدى بعض قواد الإمام الحسن(عليه السلام)كعبيد ا بن العباس وغيره .

الفرق بين جيش الإمام علي وجيش الإمام الحسن(عليهما السلام)

وهناك فرق بين جيش الإمام الحسن وجيش الإمام علي(عليهما السلام) في نهاية أيامه ؛ لأن جيش الإمام علي(عليه السلام) كان معدا لضرب معاوية ضربة نهائية بعد شهر رمضان ، حيث كان جيشه هائلا وقوياً لولا أن ا تعالى اختار الإمام علي(عليه السلام)واستشهد ، أما جيش الإمام الحسن(عليه السلام) فهو جيش منخور تكثر فيه الخيانة والميل لإغراءات معاوية ، بالإضافة إلى اختلاف موقع الإمام علي(عليه السلام) عن موقع الإمام الحسن(عليه السلام)في عيون الناس .

الدولة تتكون من مجموعة من القوى

الآن في الدراسات الأكاديمية السياسية يقول الباحثون في هذا العلم : أن أي دولة في العالم تتكون من مجموعة من النظم والدويلات داخل هذه الدولة فمثلا : الولايات المتّحدة الأمريكية تتكون من العديد من الولايات ، وكلها تجتمع في دولة واحدة اسمها الولايات المتّحدة الأمريكية ، وتسمى فيدرالية ، والواقع أن كل الدول تتكون من مجموعة من الأنظمة تكون الدولة ؛ لأن الدولة تشتمل على

١- مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٠ .

الأنظمة الأُسرية أو القبلية أو الحزبية أو المذهبية وخصوصاً النظام المذهبي الذي له ضرائب خاصة به ، وله تجمعات وتكتّلات وآراء وأعراف اجتماعية ومواقف معينة وثقافة خاصة ، وكل هذه الأنظمة تساهم بشكل أو بآخر في مجريات الأحداث في تلك الدولة .

المرجعية الشيعية تعتبر شبه دولة

ولذلك فالسياسيون الغربيون يعتبرون المرجعية الشيعية شبه دولة باعتبار أن لها نظامها المالي الخاص ، ولها توجيهات معينة ، وجماهير تتبعها ، ونفوذ في القرار السياسي والاقتصادي والعسكري والأُمور الأُخرى، وهذا ينطبق على المرجعيات السنية إذا كانت لها قواعد جماهيرية أيضاً، وبعبارة أُخرى: إن النظام السياسي ما هو إلاّ توازن لمجموعة من القوى والأنظمة في المجتمع .

نفوذ الأئمة وقواعدهم الجماهيرية

وما نريد أن نبينه في ضوء هذا الكلام أن الأئمة(عليهم السلام) وإن لم يتسلّموا زمام الحكم إلاّ أن لهم نفوذ واسع في القواعد الجماهيرية في العديد من الفترات التي عاشوها ، كما كان نفوذ واسع للإمام علي(عليه السلام) خلال الخمسة وعشرين سنة التي أعقبت وفاة النبي ، وقبل أن يستلّم الخلافة كان له شيعة وأنصار وأتباع ونفوذ، وكان هؤلاء الأتباع والشيعة تحت نظام الإمام علي(عليه السلام) العقائدي والمالي والفكري والثقافي الخاص به .

وقد قال محمد بن إسماعيل لهارون الرشيد : "ما ظننت أن في الأرض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلّم عليه بالخلافة ، فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم.."[١] .

١- الكافي ١: ٤٨٦ ، الحديث ٨ ، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر .

وكلام صحيح ، كما يذهب إلى ذلك السياسيون في زماننا باعتبار أن وجود قواعد جماهيرية للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) يشكّل شبه دولة لها قوتها وتأثيرها ، وكان هذا النفوذ يشكّل هاجس وقلق في الدولة الأموية والدولة العباسية اتجاه الإمام المعصوم الذي عاصرها .

من أهداف الإمام الحسن(عليه السلام) من الصلح الإبقاء على نفوذه في أتباعه

فالإمام الحسن كان يدرك أن له نفوذ معين في شيعته ، وكان حريصاً على المحافظة عليه، والذي فعله في صلح معاوية هو أمر شبيه بالكر والفر الذي تفرضه التوازنات السياسية ، وأنّه لو حارب معاوية لهزم وفقد هذا النفوذ .

أحاديث نبوية في فضل الإمام الحسن(عليه السلام)

ومع ما تميز به الإمام علي عن الإمام الحسن(عليهما السلام) من أن الإمام علي(عليه السلام)أول من أسلم بالإضافة لقتاله مع النبي ومنزلته وقربه منه إلاّ أن الإمام الحسن(عليه السلام)له مميزات لم تكن علي(عليه السلام) ، لأنّه سبط النبي والسبطية لها مدلولاتها ومؤداها الخاص ، بمعنى الامتداد الشرعي لذلك النبي ، وهذا حديث عقائدي لا أريد الخوض فيه .

قال رسول ا (صلى ا عليه وآله) "ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا"(١) ، وقال(صلى ا عليه وآله): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة"(٢) ، وهذا الحديث رواه الترمذي(٣) وأحمد بن حنبل(٤) والحاكم الذي قال : "قد صح من أوجه كثيرة ، وأنا أتعجب أنّهما ـ أي :

١- ميزان الحكمة ١: ١٥٣ ، الحديث ١١١٧ .
٢- ميزان الحكمة ١: ١٥٢ ، الحديث ١١٠٨ .
٣- الجامع الكبير ٦ : ١١٣ ، الحديث ٣٧٦٨ ، باب مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب والحسين بن علي .
٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٧: ٣١ ، الحديث ١٠٩٩٩ .

البخاري ومسلم ـ لم يخرجاه"(١) ، وقال الألباني في تصحيحاته الأخيرة : "فالحديث صحيح بلا ريب ، بل هو متواتر"(٢) ، والألباني من العلماء المعتمدين عند إخواننا أهل السنّة .

وقال(صلى ا عليه وآله): "هما ريحانتاي من الدنيا" رواه البخاري(٣) ، وقال(صلى ا عليه وآله): "اللّهم إنّي اُحبهما فأحبهما" رواه البخاري(٤) ، وقال(صلى ا عليه وآله): "ابني هذا سيد ، ولعل ا أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" رواه البخاري(٥) ، وقبل ذلك آية المباهلة(٦) التي خص بها أهل البيت(عليهم السلام) .

ظروف الإمام الحسن(عليه السلام) تختلف عن ظروف الإمام علي(عليه السلام)

وكان الإمام الحسن(عليه السلام) في الكوفة يطعن في شرعية معاوية ، وما كان الإمام الحسن(عليه السلام) ليفعل ذلك لولا نفوذه وقواعدة الجماهيرية ، وكان معاوية يحذر من الدخول في تصعيد سياسي مع الإمام الحسن(عليه السلام) ، وما أتيح للإمام الحسن(عليه السلام)من فرصة في الطعن في شرعية معاوية لم يتح للإمام علي(عليه السلام) ، مع أنّه لم يكن يرى شرعية الخلفاء بعد النبي(صلى ا عليه وآله) إلاّ أن المصلحة العامة للمسلمين لم تسمح له بإعلان المعارضة لحكم من سبقه من الخلفاء ، فلم يكن المعارضة إلاّ في فترات قصيرة

١- المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٧٦ ، الحديث ٤٨٣٩ ، ومن مناقب الحسن والحسين ابني بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله) .
٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٤٣١ ، الحديث ٧٩٦ .
٣- صحيح البخاري ٤: ٨٦ ، الحديث ٥٩٩٤ ، باب رحمة الولد وتقبيلة، كتاب الأدب .
٤- صحيح البخاري ٢: ٤٧٦ ، الحديث ٣٧٤٧ ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، كتاب فضائل أصحاب النبي .
٥- صحيح البخاري ٢: ٤٧٦ ، الحديث ٣٧٤٦ ، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، كتاب فضائل النبي .
٦- آل عمران (٣) : ٦١ .

ومحدودة حسب ما سنحت له الفرصة كاحتجاجه(عليه السلام) مع الزهراء بعد وفاة النبي(صلى ا عليه وآله) أمام الصحابة(١) ، إذن صلح الإمام الحسن(عليه السلام) كان فيه حفاظ على نفوذه في قواعده الجماهيرية من خلال الصلح الذي أقدم عليه حتى يحافظ على التوازن بينه وبين معاوية .

١- الامامة والسياسة ١: ٢٨ .

المحاضرة التاسعة

من يقف وراء مخططات الإرهاب ؟

محاور المحاضرة :

أولا : إرهاب الدولة

ثانياً : الإرهاب والإيدلوجية .

ثالثاً : الإرهاب الصهيوني .

رابعاً : اتهام الإسلام بالإرهاب .

خامساً : القوى الخفية وراء عمليات الإرهاب العالمية .

سادساً : تسليط الأضواء الإعلامية من أجل تمرير مخططات شيطانية .

سابعاً : دور الإعلام الخطير والمشبوه .

ثامناً : إغفال عنصر الخفاء .

تاسعاً : ما هو الميزان والفيصل في تحديد الإرهاب؟

عاشراً : القوى السامية في أعلى الإنسان .

إرهاب الدولة

التعريف الرابع للإرهاب هو: "إعمال العنف المسلّح لأهداف سياسية أو أيدلوجية أو دينية باستخدام قنوات العنف المسلّح للتهديد بها"، وبحسب هذا التعريف المفروض أن يدخل عنف الدولة.والإرهاب قدقسم إلى أقسام:إرهاب فردي وإرهاب جماعة أو تنظيم،وحاول البعض أن يقصر التقسيم على هذين

القسمين إلاّ أن العديد من المحافل والدول أصرت على وجود إرهاب الدولة ، ويتضمن إرهاب دولة لدولة أُخرى أو إرهابها لشعبها ، والمعسكر الغربي يصر على حذف هذا النوع من الإرهاب ، والسبب واضح ، وهو أنّهم يمارسون هذا النوع من الإرهاب بشكل خفي ، ويرفضون أن يدرج إرهاب الدولة في تعريف الإرهاب ؛ لكي لا يدانوا بالإرهاب ، ولكن حسب التعريف السابق يندرج إرهاب الدولة في تعريف الإرهاب ؛ لأنّهم لم يقيدوا ، ولم يستثنوا من هذا التعريف إرهاب الدولة .

الإرهاب والإيدلوجية

التعريف الخامس للإرهاب هو : "أيدلوجية وقناعات تبرر العنف الفتّاك لردع المعارض السياسي" ، هذا التعريف التحيز فيه واضح من قبل واضع القانون ؛ لأنّه يصف عقيدة ما بأنّها إرهاب ، كأن يعتقد قوم أن دولة أُخرى أو قومية أُخرى يجب أن تباد ، فهذا التعريف يعتبر نفس هذه العقيدة قنبلة ملغومة أو سلاح فتّاك قد ينطلق في أي وقت لإبادة الطرف الآخر ، ومن ثم فإن هذه الأيدلوجية التي تبرر العنف تجاه الطرف الآخر يطلق عليها إرهاب ، فإذا كان المقصود من الأيدلوجية في هذا التعريف الدين ، فسنبين في ما يأتي ، ما هي ضابطة الإرهاب ، وما هو ميزان الإرهاب ؟

وهناك نقاش محتدم بين الدول حول تحديد الأُسس القانونية لمفهوم الإرهاب ، وهناك الكثير من المزايدات والمغالطات في أروقة الأُمم المتّحدة أو في الفضائيات أو غيرها من وسائل الإعلام التي تعمل على إضفاء أجواء غائمة قاتمة حول مفهوم الإرهاب ، وعدم وضع النقاط على الحروف في ما هو غائم في مفهوم الإرهاب .

الإرهاب الصهيوني

ولو أردنا أن نحكم على أيدلوجية معينة بأنّها إرهاب ، لكانت الأيدلوجية اليهودية الصهيونية هي أكثر الأيدلوجيات إرهاباً في العالم ، وقد تم بيان هذا المطلب في المؤتمر الذي عقد مؤخّراً في جنوب أفريقيا حول موضوع العنصرية ، وهذا جلّي وواضح من خلال البروتوكولات الصهيونية ، أو حتّى في التوراة المحرفة ، والتي تدعو اليهود إلى إشاعة الرذيلة والاضطراب والفوضى والاستعباد في المجتمع البشري ، أي : ينبغي للناس أن يكونوا عبيداً للعنصر اليهودي باعتبارهم شعب ا المختار ، والذي يقرأ بروتوكولات الصهيونية يستشف وجود نفسية معقّدة حاقدة تقف وراء هذه البروتوكولات ، وأنّها ليست مبنية على اُسس عقلية ومنطقية صحيحة ، وهم يسعون بشتّى الطرق والوسائل لنشر التحلّل الخلقي ، وهم يقفون وراء التحلّل الأخلاقي في أمريكا وأوروبا .

وقد سجلت الإحصائيات أن أكثر دولة ينتشر فيها السطو المسلّح هي فرنسا ، وقد حاولت بعض الدراسات التعرف على الأسباب ، فكانت النتيجة هي تأثير أفلام الجريمة الأمريكية في هذا المجال .

الهندوس والبوذيون والثقافة المنحلّة

وحتّى الهندوس والبوذيين في الهند واليابان أيضاً ضجوا خوفاً من اختراق هذه الثقافة المنحلّة إلى مجتمعهم ، وهذه الثقافة تقف وراءها أصابع صهيونية وبصمات إسرائيلية التي تهدف إلى ترويج الشذوذ الجنسي والإجرام وعبادة الشيطان واختراع الأديان الزائفة وتدمير الأديان الاُخرى غير الدين اليهودي .

لماذا غض النظر عن الإرهاب الصهيوني

نحن نقول لمن وضع هذاالتعريف:لماذا لاتحارب العقيدة اليهودية التي تحمل

هذه الأفكار الهدامة؟! ومع هذا وقفت الدول الأروبية لمساندة الكيان الصهيوني بكل وقاحة وصلافة وقلّة حياء ، فلماذا يتنكّرون للمبادىء التي يعتقدونها ، والشعارات التي يرفعونها؟! بحيث انسحبوا من المؤتمر الذي يدين العنصرية ، والذي اعتبر الكيان الصهيوني كياناً عنصرياً .

إذن الأقوياء في العالم يتلاعبون في القوانين من أجل أن يستبدوا بالضعفاء ، لا سيما إذا كان هؤلاء الضعفاء لا يمتلكون وعياً سياسياً وثقافة قانونية .

اتهام الإسلام بالإرهاب

ولماذا تمتد أصابع الاتهام للإسلام بأنّه يؤيد الإرهاب ، ولا تمتد هذه الأصابع للرأسمالية ودول الاستكبار بأنّها مدمرة لسلام وأمن العالم على المستوى الاقتصادي والمالي والخُلقي ، وتهدد هويات الدول والقوميات المختلفة؟! فهم يكيلون بمكيالين بحيث يطبقون مصداق التعريف على الإسلام ، وينكرون انطباقه على الصهيونية والأنظمة الغربية .

القوى الخفية وراء عمليات الإرهاب العالمية

التعريف السادس للإرهاب هو: "العمل الإجرامي المصحوب بالرعب والفزع لغاية ما" ، وهذا تعريف عام يشمل إرهاب الدولة .

الآن المافيا الأمنية ، وهم مجموعة من المرتزقة الدوليين أو أشرار العالم ، الذين لا يحملون هوية ولا مبدأ ، نتساءل : من الذي يؤسس هذه المافيا؟ فإن كانت غائبة عن الجهاز الأمني فكيف تدعي أجهزة الأمن الغربية أنّها مسيطرة على الوضع الأمني العالمي ، وإذا كانت مطّلعة ومتمكّنة من اختراق هذه المجموعات فلماذا لا تخترقها؟

هناك مافيا اغتيالات،ومافيا إجرام لزعزعة الأمن في الدول الأُخرى بواسطة

مافيا إعلامية تربك الوضع الأمني عبر إذاعة أو فضائية أو برنامج معين يضرب على أوتار حساسة.

تسليط الأضواء الإعلامية من أجل تمرير مخططات شيطانية

فمثلا : هناك روابط بين ضرب العراق والاعتراف بإسرائيل ، ولذلك فهم يسلّطون الأضواء على جانب معين من أجل أن يمرروا مخططاتهم الشيطانية في جانب آخر ، والضجة الإعلامية هنا قد تخدم أغراضاً معينة هناك ، قال تعالى: **{وإِذَا جآءهم أَمر مـن الأمنِ أَو الْخَوف أَذَاعوا بِه ولَو ردوه إِلَى الرسول وإِلَى أُولي الْأمرِ منْهم لَعلمه الذين يستَنْبِطُونَه منْهم}**(١).

دور الإعلام الخطير والمشبوه

الإعلام الآن مرتبط بالتاريخ وبعلم النفس والسياسة والأمن والجانب المالي والجانب الاجتماعي ، ويعمل على إجراء غسيل لأدمغة الشعوب وغيرها ، كأن يقوم الإعلام بعملية تلقين لشعب ما أنّه شعب متخلّف ، وعندما يقتنع بأنّه شعب متخلّف سوف يبحث عن التحضر والتقدم ، ولكن أين يجد هذا التحضر؟ يجده عند الجهة التي كانت تستخدم الإعلام لإقناع هذا الشعب بأنّه متخلّف ، وتكون النتيجة تبعية هذا الشعب لتلك الجهة فيعيش حالة التقهقر والانكسار والتراجع وعدم الثقة في النفس .

نشر أخبار كاذبة لخدمة جهات معينة

أو خبر واحد يقلّب الأسعار في سوق النفط والأسهم وغيرها ، ولا يستند هذا الخبر إلى حقائق، بل إلى إشاعات وأوهام ، والقرآن الكريم يقول : **{والْفتْنَةُ**

١- النساء (٤) : ٨٣ .

أَشَدّ من الْقَتْل}(١) ، فتكون الفتنة الإعلامية أشد وقعاً من السلاح الحربي ، وذلك لأن البشر موجود ذو شعور وإدراك ، ويتأثّر بالفكر ، وعن طريق الفكر تستطيع أن تغير اتجاهات ، وتثير حروب أو توقف حروب ، وأن تقلب الموازين هنا وهناك .

العالم الغربي يحتكر التطور ولا يكشف أسراره ، ولكن يصدر الرذيلة والتلوث البيئي والتلوث الأخلاقي والتلوث النفسي ، والبعض من المتأثّرين بالفكر الغربي يعيب على الفقه الإسلامي بأنّه يحلّل ويحرم ويتكلّم عن الطهارة والنجاسة وغيرها، والآن تبين أن التشريع الإسلامي له دور كبير في حفظ المسلمين من الأمراض، وأن أحكامه تحافظ على البيئة وصحة المجتمع .

التعريف السابع للإرهاب هو : "العنف الشديد ضد الأبرياء والمسالمين" ، وهذا تعريف صحيح ، وقد تكلّمنا عنه آنفاً.

التعريف الثامن للإرهاب هو : "الاستعمال غير المشروع للقوة والعنف والعدوان على الأرواح والأموال العامة والخاصة ، وأنّه منهد نزاع عنيف يقصد الفاعل بمقتضاه ، وبواسطته الرغبة الناجمة إلى تغليب رأيه السياسي ، وسيطرته على الطرف الآخر من مجتمع أو دولة" .

هذا التعريف لا بأس به إلاّ أنّه لا يبين مناط الشرعية وعدم الشرعية ، ومن هي الجهة التي تحدد هذه الشرعية؟ وعلى أي أُسس تحدد هذه الممارسة أو تلك بأنّها شرعية أو ليست شرعية؟ وهل هي سلمية ومنطقية ودفاعية أو أنّها إرهابية وعدوانية؟

في الإرهاب الإعلامي تحاول الجهة القائمة عليه أن تمارس ضغوطاً معينة

١- البقرة (٢) : ١٩١ .

من أجل استمالة أطراف معينة ، وقد يحدث هذا في الطائفة الواحدة من أجل تغيير بعض الموازين .

وهناك مؤاخذتان على هذه التعاريف التي ذكرناها :

المؤاخذة الأولى : إغفال عنصر الخفاء.

أن هذه التعاريف أغفلت عنصر الخفاء ، مع أن العمليات الإرهابية تقوم بها عناصر خفية وغير معروفة ، ووراءها أصابع مشبوهة ، وليست كالحرب التي يعرف الطرفان المتنازعان فيها ، وإغفال عنصر الخفاء جاء متعمداً حتّى لا تسلّط الأضواء على القوى الكبرى التي تعمل وتقف وراء العمليات الإرهابية في هذا البلد أو ذاك ، فمثلا : الفتنة الطائفية في پاكستان من الواضح أن هناك أصابع استكبارية تعمل من تحت الستار ، على إذكاء هذه الفتنة الطائفية التي لا طائل منها سوى تشويه الدين الإسلامي ، وإظهاره بصورة وحشية ، بل هم يعملون على زرع ، وتأسيس الفكر المتطرف ، كتأسيس حكومة طالبان ، وإمدادها بالسلاح لتشويه الإسلام ، والتشويش على التجربة المشرقة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تطبيق الإسلام ، وقد انقلب السحر على الساحر ، وتضررت أمريكا في نهاية الأمر من تأسيس حركة طالبان وحلفائها .

ومن الأمثلة على هذا الموضوع : إثارة النعرات القومية للبربر في المغرب العربي ، فنلاحظ أن إذاعة الـ "بي بي سي" تفتح ملفّات قديمة عن البربر ، وعن تعليم لغتهم ، والضرب على أوتار حساسة حتّى لو جنوا الثمار بعد سنين متمادية وهذا ما يحدث بالنسبة لنزاع الأقباط في مصر مع المسلمين ، وفي كل بلد يشعلون فتنة مدمرة ؛ لكي يضغطوا على جهات معينة مستفيدين من تلك الفتنة التي حصلت

هنا أو هناك ، وهذا هو إرهاب الدولة بعينه .

إذن إغفال عنصر الخفاء يمثّل ممالئة من قبل القانونيين إلى الدول التي تمارس الإرهاب .

المؤاخذة الثانية : ما هو الميزان والفيصل في تحديد الإرهاب؟

من الواضح أنّه لابد من استخدام القوة في بعض الموارد ، وأن وجود القوة الغضبية لها حكمة إلهية ، وهي ردع العدوان الذي يحصل من الطرف الآخر ، ولذلك يثني القرآن الكريم على الإرهاب الذي يكون هدفه صد الاعتداء ، قال تعالى: **{وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ}**(١) ، وكذلك مدح القرآن الكريم الرهبان ، قال تعالى: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}**(٢) ، والراهب إنّما سمي راهباً ؛ لأنّه يعيش الرهبة والخوف والخشية من الله تعالى ، كما هو أحد وجوه التسمية .

ومن المسلّم به أن هدف القانون الجنائي والجزائي أو تشريع فقه الحدود والقصاص هو ردع المتعدي، ومن ثم السيطرة على شروره، وقطع الطريق أمام أهدافه المدمرة ، فهذا كله إرهاب محمود ، ويقبله العقل والشرع .

أما الإرهاب المذموم فهو إرهاب العدوان والاستغلال والاستئصال وتجاوز الحدود ، وليس منه ما يفعله الآن مجاهدو فلسطين ولبنان الذين يرهبون العدوان الصهيوني ، ويوقفون عدوان العدو .

١- الأنفال (٨) : ٦٠ .

٢- المائدة (٥) : ٨٢ .

الضابطة في قبول الإرهاب

الضابطة في قبول الإرهاب أو رفضه هو تجاوزه للحدود فإذا كان الإرهاب متجاوزاً للحدود وعدوانياً كان إرهاباً غير شرعي ومداناً ، ويجب التصدي له ، أما إذا كان الإرهاب لردع العدوان فهو إرهاب إيجابي ، ورد العدوان بالإرهاب الإعلامي أفضل من الحرب ؛ لأن الحرب تكون نتيجتها الضحايا والقتلى والخسائر المادية والبشرية .

وإذا كان الإرهاب لنيل الحقوق بدون التعدي على حقوق الآخرين فهو إرهاب ممدوح ، أما إذا كان الإرهاب للتعدي على الحقوق فهو إرهاب سلبي ، والشهيد محمد باقر الصدر(قدس سره) له كلام في قبح الظلم وحسن العدل ، أي : كيف نعرف الظلم؟ الظلم هو تجاوز حدود الآخرين ، والعدل هو أن تستوفي حقوقك من دون أن تتعدى على حقوق الآخرين .

الخلفية الحقوقية والأخلاقية والعقائدية للقوانين

والحقّ يقنّنه المشرع ، وهنا نرجع إلى البحوث الأولى في سلسلة بحوثنا هذه التي بينا فيها أن القانون يستند إلى خلفية حقوقية ، والحقوق تستند إلى خلفية أخلاقية ، والأخلاق تستند إلى رؤية كونية عقائدية .

فلا يمكن فرض الحقوق التي تستند إلى رؤية أخلاقية ترجع إلى رؤية عقائدية مادية على من يعتقد بالرؤية الكونية والعقائدية الإلهية ؛ لأن المؤمن با يعتقد بأن ا هو خالق الكون ، وهو أعلم به من غيره ، قال تعالى: **{ألاَ يعلَم من خَلَقَ وهو اللطيفُ الْخَبِير}**(١) ، وهؤلاء الماديين لا يعترفون بالخالق ، وإنّما يجعلون الفرد هو المحور ، ويركّزون على حريته التي تطلق العنان لغرائزه وشهواته ونزواته ، وهكذا

١- الملك (٦٧) : ١٤ .

شعار تحرير المرأة ، حيث تكون النتيجة أن تصبح المرأة سلعة تباع وتشترى ، وفي أحد خطاباته ، قال الرئيس الأمريكي: "سنحرر العالم الإسلامي من البرقع،وسنطلق الحقوق الجنسية"،ومن قال إن مايسميه الحقوق الجنسية هي حقوق؟! بل هي مجموعة من الرذائل والسقوط الأخلاقي .

القوى السامية في أعلى الإنسان

وهنا لفتة لطيفة ، وهي : أن ا قد جعل القوى السامية في الإنسان في أعلاه ، وجعل القوى السافلة في أسفله فجعل القوى العقلية والبصر والسمع والنطق في أعلاه ، والقوى الشهوية في أسفله ، وهؤلاء يريدون أن يقلبوا الموازين بحيث يجعلون أسفله أعلاه وأعلاه أسفله .

وحتّى لو قلنا أن الفرد هو المحور فلماذا لا نركّز على القوى السامية في هذا الفرد؟!

والواقع إنّهم يركّزون على القوى الشهوية والغضبية لا القوى العقلية .

لا للعبودية للاستكبار

قال ا تعالى : **{قُلْ يا أَهلَ الْكتَابِ تَعالَوا إِلى كَلمة سواء بينَنَا وبينَكُم أَلا نَعبد إِلا ا ولاَ نُشْرِك بِه شَيئاً ولاَ يتخذَ بعضنَا بعضاً أَرباباً من دونِ ا فَإِن تَولوا فَقُولُوا اشْهدوا بِأَنا مسلمون}**(١) ، أي : إنّنا نسلّم أن الكبرياء ، والعظمة ، والحاكمية ، والتشريع ، وأن الملك ، والخلق عبيده ، ولا يمكن تحقيق العدالة في كل جوانبها الاقتصادية والقانونية والسياسية إلاّ إذا جعلنا المحور هو ا تعالى ، وأما إذا أصبحت الربوبية والألوهية والملك والعظمة للجانب البشري فهنا تقع الكارثة

١- آل عمران (٣) : ٦٤ .

وتدب الفتن بين الناس ، وإذا تركنا الأمر لتحديد الحدود بيد البشر فإن كل جهة ستعمل على تحقيق مصالحها ، كما هو حاصل الآن ، حيث يستخدم مصطلح الإرهاب لمحاربة جهات تجاهد من أجل تحرير أراضيها ، ولا يستخدم ضد المحتل العدواني ، فهذا منطق تعسفي .

المحاضرة العاشرة

الإمام الحسين(عليه السلام) اختار الشهادة ، ولم يرضخ للإرهاب

محاور المحاضرة :

أولا : من رضي بعمل قوم أشرك معهم .

ثانياً : لابد من وضوح الموقف تجاه الحق والباطل .

ثالثاً : أسباب الإرهاب في النصوص الدولية .

رابعاً : معالجة أسباب الإرهاب .

خامساً : عدم الرضوخ للإرهاب .

سادساً : مقارنة بين موقف النبي(صلى الله عليه وآله) وموقف الإمام الحسين(عليه السلام) .

سابعاً : هل اختبرت نية أصحابك ؟

من رضي بعمل قوم أشرك معهم

نعزي سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله) في مصيبة ولده الإمام الحسين(عليه السلام) ، ونتبرأ ممن قتله وظلمه وانتهك حرمته.

وبعد فإن هناك حقيقة قرآنية يخاطب بها الله اليهود الذين عاصروا النبي(صلى الله عليه وآله) ، ويحملهم ما اقترفه آباؤهم قبل عدة قرون ، فنلاحظ ذلك في سورة البقرة (١) ، ومن ذلك قتل الأنبياء وتحريف الكتاب وإعانة الظالمين ، وقد علّل المفسرون هذا الخطاب بأن الجيل الذي عاصر النبي(صلى الله عليه وآله) كان مقراً وراض . عما فعله أسلافه في

١- البقرة (٢) : ٥١ ، آل عمران (٣) : ١٨٣ .

تلك القرون ، فلذلك فإن الغضب الإلهي الشديد لليهود الذين عاصروا النبي(صلى ا عليه وآله)وكأنهم هم أولئك الذين اقترفوا تلك الجرائم في تلك العهود .

لابد من وضوح الموقف تجاه الحق والباطل

ونحن نتعلّم من هذا درس أن نقف مع الحق وأن نتبرأ من الباطل ، ويجب أن نوالي الحق ونسانده ونحبه ، ومن هذا المنطلق يجب على الأُمة الإسلامية أن نتبرأ مما فعله بنو أمية من جرائم وفظائع وظلم لأهل البيت(عليهم السلام) ، وأن نوالي سيد الشهداء(عليه السلام) ؛ لأن موقفها هذا هو بمثابة الحضور في ساحة كربلاء لنصرة الحسين(عليه السلام) ، أما الراضون بقتله فهم بمثابة الذين حضروا كربلاء لكي يقتلوا سيد الشهداء(عليه السلام) .

في النصوص الدولية يذكرون عدة أسباب للإرهاب وهي :

١ ـ عدم احترام حقوق الإنسان وحرياته الأساسية .

٢ ـ عدم احترام حقوق الطوائف والأقليات .

٣ ـ عدم الإقرار بحق الشعوب في تقرير مصيرها .

٤ ـ التمييز العنصري والطائفي .

٥ ـ العدوان على شعوب العالم الثالث .

٦ ـ التدخّل في الشؤون الداخلية للدول المتحررة من قبل الدول العظمى .

٧ ـ احتلال الأراضي .

معالجة أسباب الإرهاب

ولقد أحسنت إحدى الدول الإسلامية عندما نصحت الدول الكبرى بأن معالجة الإرهاب إنّما تتم بمعالجة أسبابه لا بالتصدي لآثاره فإن هذا لن يحلّ المشكلة ، والحلّ يكمن في إعطاء كل ذي حق حقه .

عدم الرضوخ للإرهاب

ولقد أعطانا الإمام الحسين(عليه السلام) درساً في الصمود في ميدان المطالبة بالحق مهما بلغ بطش الطغاة ، قال(عليه السلام) : "ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركّز بين اثنتين بين السلّة والذلّة ، وهيهات منّا الذلّة يأبى ا لنا ذلك ورسوله..."(١) ، والطاغي إنّما جعل له خيارين : إما الخضوع والذل والاستسلام ، وإما القتال والاستشهاد فاختار الإمام(عليه السلام)لغة القوة وان لم يبتدء بها ، ولكنّه رفض الخضوع أمام القوة والتهديد ، وهذا هو الدرس المستفاد من عاشوراء ، وهو عدم الاستسلام لبغي وبطش الدول الكبرى على حساب المبادىء والقيم والالتزام بالخط الإلهي العظيم .

وحينئذ تكون مجابهة القوة بالقوة مجابهة مشروعة ، وكان الإمام الحسين(عليه السلام) له حدود لا يخرج عنها ، وله موازين لا يتعداها ، وهي الموازين الشرعية الإسلامية .

مقارنة بين موقف النبي(صلى ا عليه وآله) وموقف الإمام الحسين(عليه السلام)

هل كان أصحاب الحسين(عليه السلام) في ليلة عاشوراء مستعدين لتلك المواجهة الصعبة؟ ولماذا استمروا في نصرة سيد الشهداء ، مع أن الحسين(عليه السلام) قد برأ ذمتهم ، وجوز لهم الانصراف؟ وحينها سيكون وحده يواجه هذا الجيش الجرار ، وقد أمر ا النبي أن يجاهد الكفار حتّى لو وصل به الأمر أن يبقى لوحده في الميدان ، قال تعالى: **{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ ا ِ لاَ تُكَلَّفُ إِلا نَفْسَكَ}**(٢) ، فالحسين مستعد للقتال حتّى لو كان وحداً ، وهذا يدلّل على أن موقف الحسين(عليه السلام) في قتال بني أمية يضاهي ويماثل موقف النبي(صلى ا عليه وآله) في قتال الكفار ، وهذا لم يكن للإمام علي(عليه السلام) ؛ لأن وظيفة

١- الملهوف على قتلى الطفوف : ١٥٦ ، المسلك الثاني في وصف حال القتال ، خطبة الامام الحسين(عليه السلام) أمام معسكر ابن سعد .
٢- النساء (٤): ٨٤ .

الإمام علي (عليه السلام) ، وكذلك الإمام الحسن(عليه السلام) أن يستنصر المسلمين في قتال أعدائه فإن نصروه جاهدهم وإن لم يفعلوا فلا يبقى لوحده في الميدان ويسقط عنه التكليف ، أما الإمام الحسين(عليه السلام) فوظيفته الشرعية أن يبقى ولو كان وحده ، كما أمر ا نبيه(صلى ا عليه وآله) في الآية الآنفة الذكر .

هل اختبرت نية أصحابك؟

وهكذا ثبت الإمام الحسين(عليه السلام) ، وثبت معه أهل بيته وأصحابه ، وكان الإمام(عليه السلام)قد ورث الشجاعة من جده(صلى ا عليه وآله) الذي كان الإمام علي(عليه السلام) يقول عنه : "لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول ا (صلى ا عليه وآله).."(١) وقال رسول ا (صلى ا عليه وآله): "أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي ، وأما الحسين فإن له شجاعتي وجودي"(٢) . والملفت في سيرة سيد الشهداء(عليه السلام) أن غربل وصفّى واختبر أصحابه منذ خروجه من مكة المكرمة ، وهذا ما كان يثير قلقاً عند الحوراء زينب(عليها السلام) حين قالت له في كربلاء : "أخي ، هل استعملت من أصحابك نياتهم فإنّي أخشى أن يسلّموك عند الوثبة واصطكاك الألسنة!"(٣) ، ولكن الحسين(عليه السلام) كان مطمئناً من وقوف هؤلاء الأبطال في هذا الزلزال الرهيب وقوف الجبال الرواسي ، وكانت المهمة صعبة ، وكربلاء لا ترضى أن يكون أبطالها إلاّ عمالقة في الإنسانية ، وقمم في الفضيلة .

ولذلك لا تجد باحثاً أخلاقياً ، ولا باحثاً قانونياً يستطيع أن يسجل مخالفة أخلاقية أو قانونية ارتكبها أصحاب الإمام الحسين(عليه السلام) رغم صعوبة الظروف وشدة الموقف .

١- ميزان الحكمة ٥: ٢٢٤ ، الحديث ١٤٨٨٦ .
٢- ميزان الحكمة ١: ١٥٣ ، الحديث ١١١٤ .
٣- موسوعة كلمات الامام الحسين : ٤٩٣ ، علاج سيفه وكلامه مع اخته .

فهرس المطالب (٢)

(٣)

عاشوراء ومفهوم العولمة

المقدمة

بسم ا الرحمن الرحيم

وصلّى ا على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد ،

فهذه عدة محاضرات ألقاها سماحة العلاّمة الشيخ محمد السند في مأتم السماكين في المنامة عام ١٤٢٥هـ في موسم عاشوراء ، وكانت بعنوان عاشوراء ومفهوم العولمة ، وقد كتبت هذه المحاضرات بعد أن سمعتها من قرص مدمج، ولخّصت كل محاضرة على حدة، ووضعت محاورها في عدة نقاط؛ لكي يتسنّى للقارىء معرفة المضامين التي تحتوي عليها المحاضرة .

وفي هذه المحاضرات شرح سماحته معنى العولمة ، وذكر تحقق هذا المعنى في الأُمم السابقة ، ووجود محاولات في هذا المجال في التاريخ البشري ، ثم قارن بين العولمة بالمفهوم الإسلامي ، والعولمة بالمفهوم غير الإسلامي ، وبيان الثغور الواقعة فيه ، كما أنّه وضح أن العولمة ينبغي أن تُبنى على العامل الثقافي بالدرجة الأُولى ، وقد استشهد في محاضراته بنصوص من القرآن الكريم ومن سيرة النبي(صلى ا عليه وآله) وأهل بيته(عليهم السلام) ، لا سيما الإمام علي (عليه السلام) والإمام الحسين(عليه السلام) ، وقد تطرق أيضاً إلى موضوع الأُمم المتّحدة ، وتقييم نموذجها من خلال مفهوم العولمة .

ثم طرح بعض الملاحظات على أفكار العاملين في مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وما ينبغي أن يكون عليه الحوار بين هذه الطائفة وتلك ، ونوه إلى بعض جوانب النقص والخلل في هذه المسيرة ، كما أنّه أثنى على القائمين عليها على جهودهم لتوحيد الصفّ الإسلامي .

أتمنّى للقاريء العزيز أن يستفيد من هذه المحاضرات المكتوبة ، وأن يضيف إلى سلّة معلوماته باقة جميلة من العلم المفيد ، ولا يفوتني أن أشكر سماحة الشيخ على تكليفه لي بهذه المهمة النبيلة ، وأسأل ا له ولنا التوفيق وصحبة محمد وآله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى ا بقلب سليم .

سيد هاشم سيد حسن الموسوي

٢١ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ

٩ / ٧ / ٢٠٠٤م

عناوين المحاضرات

المحاضرة الأولى
الموقف من أحداث التاريخ وشخصياته

محاور المحاضرة :

أولا: القرآن الكريم يحاكم الشخصيات التاريخية ، وكذلك السنّة المطهرة والفطرة الإنسانية والعقل البشري .

ثانياً: سنّة الرثاء في القرآن الكريم .

ثالثاً: موقف القرآن الكريم من البدريين الذين كانوا مع النبي محمد(صلى ا عليه وآله).

رابعاً: اللعن مفهوم قرآني يراد منه البراءة من الظالم ومساندة المظلوم .

خامساً: اتخاذ الموقف من أحداث التاريخ وشخصياته بناء على مفهوم انكار المنكر .

سادساً: انكار المنكر التاريخي في القرآن الكريم .

سابعاً: ولعن ا أمة رضيت بذلك .

ثامناً: البراءة على صعيد العلاقات الدولية .

القرآن الكريم يحاكم الشخصيات التاريخية ، وكذلك السنّة المطهرة والفطرة الإنسانية والعقل البشري

من الأمور التي تثير الآخرين ، ويكثرون التساؤل عنها ، هي أن أتباع أهل البيت(عليهم السلام) يصرون على التنقيب في التاريخ وعلى القضاء التاريخي ، أي: يتّخذون

مواقف قضائية تجاه الأحداث التاريخية ، وهم يعترضون على الشيعة بحجة أن ذلك يوجب الشحناء والبغضاء في صفوف الأمة الإسلامية ، وإثارة النعرات الطائفية في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى تأليف القلوب وتوحيد الصفوف أمام التحديات الراهنة.

ونحن سنجيب على هذا الإشكال ، وذلك من خلال الآيات القرآنية الشريفة والسنّة المطهرة والأدلة المتّفق عليها بين الفريقين والدليل العقلي والقانون البشري ، كل هذه الأمور تحثّ الإنسان على نبش التاريخ والتنقيب عنه واتخاذ مواقف مما حدث في التاريخ .

سنّة الرثاء في القرآن الكريم

وقد تكلّمت في العالم الماضي عن سنّة قرآنية عظيمة، ولم أقف على من ذكر هذه السنّة القرآنية ـ في حدود استقصائي ـ ولم أقف على من آثار هذه الدلالة القرآنية من علمائنا ـ فضلا عن علماء المذاهب الأخرى ـ ألا وهي استعراض القرآن الكريم للظلامات التاريخية ابتداء من قصة هابيل وقابيل(١) ومروراً بأصحاب الأخدود(٢) وقتل الأنبياء(٣) ومظلومية النبي يوسف(٤) وأصحاب الكهف الذين وحدوا ا بفطرتهم(٥) ، ولم يكونوا ينتسبون إلى دين من الأديان ، "كما هو أحد الآراء التفسيرية" ، وللأسف لم أسمع أحداً من الأدباء من أتباع الإمامية من طرق هذا الباب، وهذا السبق سبق أدبي وسبق قرآني وسبق تربوي وسبق

١- المائدة (٥) : ٢٧ ـ ٣١ .
٢- البروج (٨٥): ٤ ـ ٨ .
٣- البقرة (٢): ٦١ .
٤- يوسف (١٢): ٤ ـ ٣٣ .
٥- الكهف (١٨): ٩ ـ ٢٦ .

اجتماعي وسبق اعتقادي ، وهو وجود أدب الرثاء والندبة والعزاء في القرآن الكريم، وللأسف لم يثر مفسروا الإمامية هذا الباب، وهو باب أدب الرثاء، مع أن القرآن الكريم يحمل الأُسلوب الرثائي بطريقة عاطفية جياشة، وهذا الباب ـ أدب الرثاء ـ يقف إلى جانب أدب الحكم والمواعظ والأمثال والوعيد والبشارة .

والرثاء في القرآن الكريم بأُسلوب عاطفي جياش يهدف إلى إيصال المستمع للقرآن إلى التضامن مع المظلوم، والتنديد بالظلم والظالمين، ولو حلّلنا سورة البروج في موضوع أصحاب الأُخدود، وحلّلنا قصة هابيل وقابيل لرأينا أنّها في منتهى الإثارة العاطفية للقاريء ، وهذا ليس أدب رثاء فقط ، ولكن كل ختمة نختمها من القرآن الكريم تنطوي على العديد من المراثي والندب ، وهذا مطلب قرآني يهدف إلى فتح الملفّات التاريخية ، ومن الملفّات التي فتحها القرآن الكريم الملفّات التاريخية المتعلّقة بالنبي وأصحابه ، فنرى أن القرآن الكريم يفتح هذه الملفّات ويصنّف المحيطين بالنبي ، ويصفهم بأوصاف إيجابية وسلبية بدرجات مختلفة ، فيصف بعضهم بالمنافقين والمرجفين في المدينة(١) والمعوقين والمبطئين والمتخلّفين(٢) ، كما أن هناك أوصافاً إيجابية تصفهم بأنّهم أشداء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من ربهم(٣)

موقف القرآن الكريم من البدريين الذين كانوا مع النبي محمد(صلى ا عليه وآله)

في هذا العام زرت مكان معركة بدر الكبرى ، والتي تبعد ١٥٠ كم عن المدينة المنورة ببركات النبي محمد(صلى ا عليه وآله) وأئمة البقيع(عليهم السلام) والبضعة الطاهرة(عليها السلام) ، وهناك

١- التوبة (٩): ٧٣ ـ ٨٧ .
٢- الأحزاب (٣٣): ١٨ ، الفتح (٤٨): ١١ .
٣- الفتح (٤٨): ٢٩ .

رأينا أحد المشايخ ، وقال لي : هل جئتم هنا إلى زيارة القبور؟ فقلت له : لا ، وإنّما أتيت هنا لأرى مسرح المعركة التي انتصر فيها المسلمون ، وكان لعلي(عليه السلام) دور أساسي ومحوري في هذا النصر ، وهناك فتحنا القرآن ، وحاولنا معرفة مكان العدوة الدنيا والعدوة القصوى ومكان الركب الموصوف في الآية بـ **{أسفل منكم}**(١) ، حيث كان الإمام الصادق(عليه السلام) يوصي ابن أبي يعفور ، ويقول: لا يفوتنّك مشهد من مشاهد النبي إلاّ واشهده(٢) ، ولعلّ في بعض الروايات وصلّ فيه ركعتين(٣) .

وهناك ، ونحن ننظر إلى ساحة المعركة ففتحنا القرآن ، وقرأنا في سورة الأنفال، وقرأنا هذه الآية أمام ذلك الشيخ الذي أنكر علينا زيارة القبور ، **{إِذْ يَقُولُ الْمنَافِقُون والذين في قُلُوبِهِم مرض غَرّ هؤُلاء دينُهم ومن يتَوكلْ على ا ِ فَإِن ا َ عزيز حكيم}**(٤) .

واستنتجنا من الآية الكريمة أنّه كانت فئتان يذمهما القرآن من بين البدريين أنفسهم ـ فضلا عن جميع الصحابة ـ وهاتان الفئتان هما : المنافقون والذين في قلوبهم مرض، وعندما واجهنا ذلك الشيخ بهذه الآية قال: إن بدر لم تكن مدينة مسكونة .

فقلت له: إن القرآن لا يتكلّم عن سكّان بدر ، وإنّما يتكلّم عن بعض الصحابة الذين كانوا مع النبي يحاربون ولكنّهم كانوا منافقين .

وعندها قال الشيخ : إنّي مرتبط بعمل وأريد الانصراف .

١- الأحزاب (٣٣): ١٠ .
٢- كامل الزيارات: ٦٦ ، الحديث ٥٢ .
٣- جامع أحاديث الشيعة ١٥: ٧٠ ، الحديث ٢٠٥٩٨ .
٤- الأنفال (٨): ٤٩ .

قلنا له: انصرف .

يقول السيد الطباطبائي في الميزان في ذيل هذه الآية: "أي: يقول المنافقون ، وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ، والذين في قلوبهم مرض ، وهم الضعفاء في الإيمان ممن لا يخلو نفسه من الشك والارتياب . يقولون ـ مشيرين إلى المؤمنين إشارة تحقير واستدلال ـ غر هؤلاء دينهم إذ لولا غرور دينهم لم يقدموا على هذه المهلكة الظاهرة ، وهم شرذمة أذلاّء لا عدة لهم ولا عدة ، وقريش على ما بهم من العدة والقوة والشوكة"(١) .

القرآن الكريم يندد ببعض البدريين ، كما هو صريح الآية المذكورة ، و"... مع ذلك نرى بعض المسلمين يعتقدون أن كل أهل بدر مغفور لهم حتى لو ارتكبوا ما ارتكبوا ، ولعلّ ا عز وجلّ إطلع على أهل بدر ، فقال: إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..."(٢)، والسيد الطباطبائي يرد على هذه الرواية(٣)؛ لأنّها تخالف صريح القرآن الذي ندد ببعض البدريين .

اللعن مفهوم قرآني يراد منه البراءة من الظالم ومساندة المظلوم

ونحن نركّز على القرآن فضلا عن كتب التاريخ والسير والمراجع التي يعتمد عليها الفريقان ، القرآن يعلّمنا نبش التاريخ ومحاكمة الشخصيات التاريخية واتخاذ المواقف منها، ونحن هنا نعلن شرعية اللعن المتمثّل بالبراءة من الظالم والوقوف مع المظلوم ، واللعن ليس مفهوماً شيعياً عصبياً خرافياً أُسطورياً ناشئاً من العقَد النفسية ، وإنّما هو مفهوم قرآني إسلامي أصيل ، وحتى في العرف القانوني

١- الميزان ٩: ٩٩ .

٢- صحيح البخاري ٣: ٣٠٠، الحديث ٤٨٩٠، كتاب التفسير ٦٥، سورة الممتحنة ٦٠، باب "لا تتخذوا عدوّي وعدوكم اولياء" .

٣- الميزان ١٩: ٢٣٦ .

الحديث فيها اللعن بتسميات أُخرى، وهي الاستنكار والشجب والإدانة ، وفي مقابلها التضامن والمساندة والتأييد والدعم ، وهذا هو التبري والتولّي ، ولكن بمصطلحات حديثة ليس إلاّ .

القرآن لا يدعو إلى نصرة المظلومين والمصلحين الشرفاء فحسب ، وإنّما يدعو إلى شجب وإدانة واستنكار ولعن الظالمين الذين لوثوا التاريخ البشري ، وتعدوا على حق البشرية حتى لو صاروا رفاتاً وتراباً ، والاستنكار من صميم الوجدان البشري ، ومن فطرة الإنسان .

والبعض حتى من المثقفين يستوحشون من اللعن ، والمشكلة لا تكمن في حروف اللعن "ل ع ن" ، وإنّما في مضمون اللعن ، واتخاذ الموقف المضاد للظالمين ، ولهذا فاللعن الوارد في زيارة عاشوراء ينطلق من هذا المنطلق ، وهذا هو منطق القرآن الكريم .

اتخاذ الموقف من أحداث التاريخ وشخصياته بناء على مفهوم انكار المنكر

وأضيف لما ذكرته في العام الماضي ـ وهو أن القرآن كتاب رثاء وندبة ـ أن القرآن الكريم يدعو إلى اتخاذ الموقف ، ومحاكمة الأحداث التاريخية وشخصياته ، ومن الضروريات الفقهية المتسالم عليها بين الفريقين هي إنكار المنكر ، ويشمل مفهوم إنكار المنكر إنكار المنكر التاريخي ، والذي مر عليه زمان طويل ، ومن المعروف أن مراتب إنكار المنكر هي الإنكار بالقلب ثم باللسان ثم باليد ، وحيث إنّنا لا نتمكن من إنكار المنكر التاريخي باليد واللسان إلاّ أنّنا نستطيع إنكاره بالقلب ، وأحداث التاريخ لها موضوع قائم فيجب إنكاره إنكاراً قلبياً ، نحن نقول: يجب ، ولا نقول : يجوز ؛ لأن اتخاذ الموقف من المنكر التاريخي ممكن بالقلب .

انكار المنكر التاريخي في القرآن الكريم

وهذا الكلام له شاهد من القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم يعاتب ويؤنّب ويندد باليهود المعاصرين للنبي محمد(صلى ا عليه وآله) بما فعل أجدادهم قبل قرون عديدة ؛ لأنّهم متعاطفون مع أجدادهم ، والقرآن الكريم لا يخاطبهم مخاطبة المتعاطف مع الظالم ، وإنّما يخاطبهم مخاطبة الظالم والمرتكب للجريمة ، وله شواهد عديدة ، منها قوله تعالى: **{الذين قَالُوا إِن ا ـَ عهد إِلينَا أَلا نُؤْمن لِرسول حتى يأْتينَا بِقُربان تأْكُلُه النار قُلْ قَد جاءكُم رسلٌ من قَبلي بِالْبينَات وبِالذي قُلْتُم فَلم قَتَلْتُموهم إِن كُنْتُم صادقين}**(١) ، مع أن اليهود المعاصرين للنبي(صلى ا عليه وآله) لم يقتلوا رسل ا ، ولكن ا خاطبهم بهذا الخطاب ؛ لأن هؤلاء رضوا بفعلهم ولم ينكروا عليهم .

وكذلك قوله تعالى: **{وإِذْ واعدنَا موسى أَربعين لَيلَةً ثُم اتخَذْتُم الْعجلَ من بعده وأَنْتُم ظَالِمون}**(٢) ، مع أن اليهود المعاصرين للنبي ليسوا هم الذين عبدوا العجل .

ولعن ا أُمة رضيت بذلك

ومن هذا المنطلق يحارب الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) أتباع بني ُأمية باعتبار أنّهم رضوا بقتل الحسين(عليه السلام) ، وهذا ما فعله القرآن الكريم مع بني إسرائيل المعاصرين للنبي(صلى ا عليه وآله) ، وحملهم مسؤولية ما فعله أسلافهم .

وهناك حديث يقول: "يحشر المرء مع من أحب"(٣)، أمثال قابيل وقارون وفرعون؟!

وهناك دليل عقلي فطري يحسن الحسن ويقبح القبيح، فكيف نحارب فطرتنا ونطمسها؟!

١- آل عمران (٣) : ١٨٣ .

٢- البقرة (٢) : ٥١ .

٣- بحار الأنوار ٦٩: ٨١ ، كتاب الايمان والكفر، باب أنّ العمل جزء الايمان .

البراءة على صعيد العلاقات الدولية

أما على صعيد العلاقات الدولية ، ففي مطلع هذا العام الميلادي زار الرئيس الياباني قبور الجنرالات اليابانيين الذين شاركوا في الحرب العالمية فثارت ثائرة الصين وكوريا الجنوبية ، فلم ثارت ثائرتهم ونبشوا التاريخ؟ ولِم ينبش الرئيس الياباني هذا التاريخ ؟

الصين تقول: أن هؤلاء الجنرالات قد قاموا بجرائم في حق الإنسانية ، ويجب اتخاذ موقف سلبي منهم والبراءة منهم ، ومن غير المناسب زيارة قبورهم ، بل طالب الصينيون والكوريون من الرئيس الياباني الاعتذار من هذا الفعل الذي يعد مساندة للمجرمين في حق الإنسانية ، وأن هذا الفعل يربي الشعب الياباني على الإجرام ، ويرسخ التجاوزات التي يقوم بها المجرمون في الأجيال القادمة .

إذن التاريخ يؤثّر في النفوس ، وهو مجموعة من العلوم التي يمكن تطبيقها في الواقع ، والتاريخ أبلغ تأثيراً في صياغة أفكار وعواطف المجتمع البشري من غيره .

وعندما يتساوى عند الإنسان الظلم والعدل ، ولم يتخذ المواقف المناسبة منهما فإنّه يصبح ظالماً بصورة تلقائية ، ولذلك يرفض النازيون والفاشيون ، وتُرفض الإشادة بهتلر وموسيليني ؛ لأن التضامن مع مثل هذه النماذج السيئة يسبب أزمة في المجتمع البشري ، ولهذا يركّز القرآن على الأحداث والسنن التاريخية والاستفادة منها .

التاريخ وعلم السيرة وتراجم الشخصيات ليس تاريخاً قد مضى ، وإنّما هي عقيدة وعبرة وعظة وقراءة دينية ، وعدم الاعتبار من التاريخ يسبب تكرار الخطأ الذي قام به الأولون .

إذن الإنسان الحضاري هوالذي يتمسك بالتاريخ ويستفيد منه في جو هاديء ، وفي جو الحوار العلمي الموضوعي ، وتكرار الأخطاء قد يعطي إنطباعاً أنّها ليست أخطاء ؛ لأن الناس يتفاعلون معها بشكل طبيعي ويعتادون عليها ولا ينظرون إلى الجانب السلبي منها .

المحاضرة الثانية

إشكالات حول الشعائر الحسينية

محاور المحاضرة:

أولا: إشكالات حول إحياء الشعائر الحسينية .

ثانياً: هذه الإشكالات لا تختص بالشعائر الحسينية .

ثالثاً: لا يمكن فرض ثقافة على الثقافات الأُخرى وإلغاء خصوصياتها .

رابعاً: خطورة طرح العولمة .

خامساً: من التقليد ما هو إيجابي ، ومنه ما هو سلبي .

سادساً : هل البكاء والحزن ظاهرة سلبية وهدامة؟

إشكالات حول إحياء الشعائر الحسينية

الإشكال الأول:

إذا كانت الشعائر الحسينية عادات وتقاليد ، وتمثّل موروثاً بشرياً ، فمن المعروف أن العادات والتقاليد قد تتغير أو تُلغى بحسب ما يمليه التطور البشري ؛ لأن العادات والتقاليد تتأثّر بالبيئة وبالحضارات الأُخرى.

والذين يطرحون هذه الإشكالات يطرحون بعض الشعائر الحسينية ، ويربطونها ببعض الطقوس التي كانت تمارسها الأُمم الأُخرى والحضارات الدينية والحضارات التي لا ترتبط بدين معين .

الإشكال الثاني :

البعض يرى أن الشعائر الحسينية تعتبر مجموعات أُسطورية ترسمها وتشكّلها وتنتجها وتخلقها المخيلة الإنسانية المثالية أو النزعة في الإنسان التي تنزع لحب البطل المثالي أو الشخصية النموذجية المثالية التي تجذب الجمهور إليها .

وهم عندما يطرحون هذا الإشكال لا يطرحونه باعتباره أمراً سلبياً محضاً ، وإنّما يطرحونه باعتباره يحمل بعض الإيجابيات التي يتربى من خلالها الجمهور الذي يستفيد من سلوكيات هذه الشخصية المثالية الأُسطورية ، ويتعلّم منها النبل والشجاعة والإيثار...

الإشكال الثالث :

ومن الإشكالات التي تطرحها مدارس علم النفس الحديث ، هي ظاهرة الحزن والبكاء واللطم ، وبقية المظاهر في الشعائر الحسينية ، حيث تقول: أن هذه الشعائر ظاهرة سلبية على المستوى الفكري والنفسي والاجتماعي ؛ لأنّها تكبت المجتمع وتسبب العقَد النفسية وتشلّ حيوية ونشاط النفس وتقتل روح الأمل وتشيع حالة اليأس والقنوط والإحباط في المجتمع ، ولها آثار سلبية على مستوى الروح العقل .

الإشكال الرابع :

نحن لدينا رسالة نشر الإسلام ، ونشر مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، ومعارف الإسلام وأهل البيت(عليهم السلام) ، فإذا كانت هذه اللغة لغة غير موصلة لمعارف أهل البيت(عليهم السلام)بل هي لغة مشوهة وغير مقبولة ، ولا يمكن أن يتفاعل معها الآخرون ، بل إنّهم ينفرون منها ويستوحشون ، فينبغي البحث عن وسائل ناجحة لنشر الإسلام ومعارف أهل البيت(عليهم السلام) ، وإجراء إصلاحات في الخطاب الديني وخطاب مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) .

الإشكال الخامس :

هذه الطقوس تعتبر نوع من العقوبة التي يوقعها الإنسان على نفسه ـ على نحو التكفير عن الذنب ـ لأن أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) يشعرون بالتقصير في نصرة الحسين(عليه السلام) وتخاذلهم في الوقوف معه ، ولذلك فهم يوقعون بأنفسهم العقوبات البدنية والنفسية المتمثّلة في إحياء الشعائر الحسينية ، ويستشهدون بثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي .

الإشكال السادس :

أن الشعائر الحسينية لا تواكب الزمان ولا تناسب العصر ، ولماذا لا يتم تجديد الطقوس ونبذ الأساليب القديمة ودفنها في مقابر التاريخ؟! وقد يطرح بعض أبنائنا هذا الإشكال .

وهناك اشكالات اُخرى ، ولكنّنا نقتصر على هذا المقدار .

هذه الإشكالات لا تختص بالشعائر الحسينية

هذه الإشكالات والتساؤلات ليست مطروحة على الشعائر الحسينية فحسب ، بل هي مطروحة على عموم الشعائر الدينية ، والآن يناقشها المفكّرون في إطار حوار الحضارات، وفي قضايا العولمة ، ولذلك اخترت هذه الإشكالات لتوطئة بحث العولمة ، والكلام ليس في العادات والتقاليد ؛ لأن العادات والتقاليد آليات، ولكن المهم هو الفكرة التي تتضمننها العادات والتقاليد .

لا يمكن فرض ثقافة على الثقافات الأُخرى وإلغاء خصوصياتها

ومن أهم ما يعترض مسألة العولمة هي قضية اختلاف العادات والتقاليد والهويات القومية واختلاف اللغة اللسانية واللغة غير اللسانية المتمثلة بأفعال معينة تحمل معان معينة ؛ لأن الإنسان يحمل العديد من اللغات ، وكل تصرف يعمله

يعتبر لغة توصل مفهوماً معيناً ، فمثلا : القيام للشخص الآخر يدل على الاحترام ، مع أن القيام فعل وليس كلاماً، واختلاف الأعراف في المجتمعات المختلفة قد يصل إلى مرحلة النقيض ، فيكون الفعل حسناً عند أُمة ويكون هذا الفعل نفسه قبيحاً عند أمة أُخرى ، ولا يمكن تذويب اللغات المختلفة في لغة واحدة ، وتذويب الآداب المختلفة في أدب واحد ، وحمل الهويات المختلفة على هوية واحدة ، وقد واجه هذا الطرح العديد من الاعتراضات من قبل العديد من الأُمم التي تخاف على هويتها وعلى عاداتها وتقاليدها .

خطورة طرح العولمة

وطرح العولمة يهدد هويتنا الوطنية والقومية والدينية والمذهبية والفكرية والروحية ؛ لأن لكل أُمة عاداتها وتقاليدها بغض النظر عن إيجابية هذه العادات والتقاليد أو سلبيتها ، إلاّ أنّها موجودة عند كل أُمة من الأُمم ، وتعتبر جزءاً من هوية هذه الأُمة ، ومن المستحيل أن تعيش أُمة من دون عادات وتقاليد ، ولا توجد أُمة من الأُمم لم تتأثّر بأُمم أُخرى .

من التقليد ما هو إيجابي ، ومنه ما هو سلبي

إذن الأُمة لابد لها من التقليد ، والتقليد لا يعتبر سلبياً في كل الأحوال ، بل هو إيجابي في بعض الأحوال ، بل هو ضروري ولازم في أحوال أُخرى ، كما في تقليد أهل التخصص ، حيث لابد من توزيع التخصصات والمهمات وفق رؤية علمية صحيحة يستطيع الإنسان أن يركن إليها ، وذلك لأن الكائن البشري لا يستطيع أن يكون خبيراً في كل شيء .

وكلامنا هذا لا يقتصر على التقليد الفقهي ، وإنّما يعم جميع التخصصات ؛ لأن التقليد منهج علمي شريطة أن يخضع لرؤية علمية سليمة ، وموازين صحيحة تعتمد

على كفاءة المقلد في تخصصه، وأن لا تدخل المحسوبيات في تقييم الشخصيات المقلدة.

والذي يرفض التقليد بشكل تام يؤدي رفضه إلى سد الطريق أمام العلم لكي لا يأخذ مجراه بشكل صحيح ، والقرآن إنّما ذم التقليد غير المبني على العلم ، قال تعالى **{وكَذَلِكَ ما أَرسلْنَا من قَبلك في قَرية من نَذير إلا قَالَ متْرفُوها إِنا وجدنَا آباءنَا علَى أُمة وإِنا علَى آثَارِهم مقْتَدون}**(١) .

والنزوع إلى التقليد أمر فطري ، والإنسان يقلّد مئات المرات يومياً .

وإذا أخذ الشيعة بعض الآليات من الأمم الأخرى للتعبير عن حزنهم على سيد الشهداء وأهل البيت(عليهم السلام)، فإن ذلك ليس عيباً مادامت تلك الآلية صحيحة وسليمة ، وهذا يقع في سياق التبادل الثقافي والحضاري بين الأمم(٢) .

إذن ليست المشكلة أن هذه الأساليب الحسينية مأخوذة من أُمم أُخرى أم أنّها مبتكرة من أبناء الطائفة ، وإنّما المناط هو صحة الأسلوب وعدم صحته ، فكون هذا الطقس مأخوذ من الأتراك أو من الهنود أو من غيرهم لا يطعن في هذا الأسلوب ، وكل الأمم تتأثّر بالأمم الأخرى في أساليبها ، ولكن المهم هو أن تبقى المعاني والمثُل والقيم والمباديء وإن اختلفت الأساليب .

١- الزخرف (٤٣) : ٢٣ .

٢- ومن شواهد كلام سماحة الشيخ (حفظه الله)، ما شهدته البحرين في السنوات الأخيرة من تطوير في إحياء الشعائر الحسينية، لا سيّما حملة الإمام الحسين(عليه السلام) للتبرع بالدم والموسم الحسيني ، حيث إنّ هذه الأساليب مأخوذة من أُمم أُخرى، وتمّ إدراجها في الشعائر الحسينية بنجاح ، حيث لاقت الكثير من الترحيب والتلقي الإيجابي من مختلف قطاعات المجتمع الذي نظر إليها على أنّها ظاهرة حضارية تعكس وعي المنتمين إلى ثقافة الإمام الحسين(عليه السلام)وخدمتهم لمجتمعهم .

هل البكاء والحزن ظاهرة سلبية وهدامة؟

وأما الجواب عن الإشكال الذي يقول : إن الحزن ظاهرة هدامة للمجتمع ، وتفتقد للحيوية والنشاط والهمم ، وتسبب الكبت والتراجع النفسي والفكري والاجتماعي ، وأنّها عقدة تكفير الذنب .

فالجواب : إذا كان من يطرح هذا الإشكال بعض أبناء المسلمين من المذاهب الأُخرى ، فنقول لهم : ـ كما قلنا في الليلة السابقة ـ أن ظاهرة الحزن والبكاء ظاهرة قرآنية يحث عليها القرآن ـ كما بينا ـ في سورة البروج وسورة يوسف وفي قصة قابيل وهابيل ، بل إن القرآن الكريم يحثّ على البكاء ويمتدح النفس اللوامة في بداية سورة القيامة المباركة ، ويذم الفرح حتى اعتقد البعض أن الفرح مذموم بصورة مطلقة ، وهذا ليس صحيحاً؛ لأن القرآن يرفض الفرح في بعض الحالات، كتلك التي تؤدي إلى بطر الإنسان ونسيانه للآخرة ، فالفرح مذموم ، ولكن ليس بصورة مطلقة .

هذا ، ووجود المجتمع المتدين يحد من الجريمة نتيجة وجود الحساب الداخلي والرقابة الذاتية وتهذيب شراسة الشهوات والغرائز ، وهذا الأمر يعتمد على التوازن بين الخوف والرجاء في النفس الإنسانية .

إذن من الخطأ رفض ظاهرة الحزن بشكل مطلق ، بل إنّنا في أمس الحاجة لظاهرة الحزن والبكاء بالمقدار المطلوب وبشكل متوازن ، ومن المعروف أن الطائفة الشيعية ، الاثنا عشرية لديها محطّات أفراح تتمثل في إحياء مواليد الأئمة (عليهم السلام) ، ونحن نفرح في هذه المحطّات ، ويتم تعليق الزينة ونشر مظاهر السرور في مقابل الأحزان المتمثّلة في البكاء والحزن في الأيام التي توفّي فيها الأئمة(عليهم السلام) .

الشعائر الدينية تمثّل الإعلام الديني ، والفرق بين الإعلام الديني والإعلام غير الديني هو أن الإعلام الديني إعلام مبدئي .

وإنّني أدعوا أبناءنا للتخصص في المجال الإعلامي ؛ لأنّه يشهد إفتقاراً كبيراً في الطاقة البشرية ، في مجال الصحافة والأدب والقصة والرواية والمسرح وغيرها ، ولا يخفى عليكم أن الإعلام هو السلطة الرابعة ، بل قد يكون هو السلطة الأولى الذي يقرر الحرب والسلم في كثير من الأحيان .

وما حدث في العراق في ذكرى الأربعين السابقة[1] بتوفيق من ا وببركات الأئمة(عليهم السلام) في المجتمع المليوني الكبير الذي أقل ما يقال عنه أنّه يضم ثلاثة إلى خمسة ملايين شخص لزيارة سيد الشهداء(عليه السلام) ، وكان تنظيمهم عجيب في ظلّ غياب السلطة والدولة والشرطة والكهرباء والخدمات المدنية بدون حدوث أي حوادث قتل أو سرقة أو تدافع ، وقد تعجبت المحطّات الفضائية من التنظيم العجيب لزوار سيد الشهداء(عليه السلام) ، ونحن ننشر الإسلام عن طريق نشر مباديء وأهداف سيد الشهداء الحسين بن علي(عليه السلام) .

ونحن أحوج ما نكون إلى التقوي بالإعلام ، وأن يكون لنا إعلام قوي نستطيع من خلاله إيصال أفكارنا ، ونرد على إشكالات المخالفين بصورة ناجحة ومؤثرة .

وأما دعوى الأسطورية ، فيفنّدها حقيقة الوقائع الموثّقة في كتب السير والتاريخ والحديث عن عظائم أحداث كربلاء وما رافقها من وقائع وشدة الهول والمصائب النفسية المقرحة صبغت منها أعظم حدث يقرح ضمير الفطرة الإنسانية لم ولن تشهد البشرية له مثيل ، والمصادر من الفريقين ، بل ومن غير المسلمين ببابك ، وعليك بالتتبع والتحري والفحص المضني .

١- سنة ٢٠٠٣ .

المحاضرة الثالثة

الحسين والخطاب العولمي والعولمة في العصور السابقة

محاور المحاضرة :

أولا : الشعائر الحسينية في دائرة العولمة .

ثانياً : الشعائر الحسينية تدعو إلى التضحية والفداء لا إلى التقهقر واليأس .

ثالثاً : الحثّ على زيارة الحسين(عليه السلام) في أشد الظروف صعوبة .

رابعاً : الإمام الهادي(عليه السلام) يأمر أبا هاشم الجعفري بزيارة الحسين(عليه السلام) في عصر المتوكل .

خامساً: الأنبياء يحملون أرقى نماذج العولمة

سادساً: نزعة البشر للتوحد ، ونزعتهم للتفرق .

سابعاً: الأمم المتحدة مظهر من مظاهر الوحدة .

ثامناً : العولمة في العصور السابقة وحكومة الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف) العالمية .

تاسعاً: العولمة تصب في عدة مجاري .

عاشراً: تعريف الأمم المتّحدة للعولمة .

الشعائر الحسينية في دائرة العولمة

إذا أردنا أن ندرس الشعائر الحسينية دراسة شاملة : فلابد أن ندرسها في إطار بحث العولمة ، وذلك بسبب وجود حالة الانفتاح والحوار بين الأمم ، ويمكننا أن ندرس الخطاب الحسيني في إطار العولمة باعتبار أن الإمام الحسين(عليه السلام) إمام

معصوم ، وهو القرآن الناطق .

الشعائر الحسينية وخطاب العولمة

هل نستطيع أن نستخلص خطاباً حسينياً عولمياً يعطي حلولا للبشرية ككل في شتّى المجالات؟ وهل الكلمات الحسينية والخطب الحسينية تتضمن الصفة العولمية ، وتخاطب العالم خطاباً يضع يده على الداء فيطيب؟

الشعائر الحسينية تدعو إلى التضحية والفداء لا إلى التقهقر واليأس

واستكمالا لحديث الليلة الماضية في الرد على الإشكال الذي يقول: أن الشعائر الحسينية شعائر تتضمن عقدة الذنب ، وإيقاع العقوبة على النفس من أجل التكفير عن الذنب ، وأنّها نتيجة الفشل واليأس والتقهقر والانتكاس الذي يعيشه الشيعة ، وقد مر علينا أنّه لابد أن ندرس الشعائر الحسينية من حيث المضامين التي تنطوي عليها هذه الشعائر ، من الفداء والتضحية والإباء والتغيير الإيجابي ورفض الظلم ، وتحشيد الطاقات من أجل النهوض بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وعدم الركون للدنيا وزخرفها وزبرجها ، والثبات والصمود والاستبسال .

إذن الإعلام الحسيني ، مع أنّه ينطوي على الحزن والجزع إلاّ أنّه يضخّ في وجدان الأمة وفكرها وروحها ، ويعمل على تعبئة النفوس بمفاهيم التضحية والفداء ، وهذا ما لا يتناسب مع الكسل والخمول والفشل والتراجع واليأس والتقهقر كما يطرحه ، هذا الإشكال وحالة تعبئة المقاتلين بالحماس ، وبحب الوطن حالة متعارفة عند أصحاب القتال والعسكريين .

الحثّ على زيارة الحسين في أشد الظروف صعوبة

ونلاحظ أن الحسينيين ـ على مر التاريخ ـ يتميزون بالتفاني واسترخاص النفس وبذل الغالي والنفيس، وهناك العديد من الفقهاء يفتون بجواز زيارة

الحسين(عليه السلام)حتّى مع وجود المخاطر والظروف الأمنية الصعبة.

كما أن هناك روايات مستفيضة تحثّ على زيارة الحسين(عليه السلام) حتى في الظروف الصعبة(١) ، وهناك العديد من شواهد التاريخ على ذلك .

وهناك روايات يمكن قراءتها في كتاب الوسائل في نهاية كتاب الحج ، وفيها حثّ أكيد شديد على زيارة سيد الشهداء(عليه السلام) من قبل الأئمة(عليهم السلام) في ظل تشديد الدولة آنذاك على الأئمة(عليهم السلام) ، حتّى أن الإمام الهادي والإمام العسكري(عليهم السلام) ، قد سجنا في سجن عسكري ، ومن المعروف أن السجن العسكري فيه تشديد أكثر من السجن المدني ؛ لأنّه يعتبر قاعدة عسكرية للجيش ، ولو دققنا في الأمر لوجدنا أن الإمامين العسكريين(عليهما السلام) قد سجنا في سجن عسكري في سامراء ، مع أن الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) قد سجن في سجون مدنية ، ومع أنّها كانت رديئة ومعاملتهم معه سيئة إلاّ أن السجن العسكري للإمامين العسكريين يدلّ على توتر الأجواء الأمنية، واستنفار الدولة العباسية، وإلاّ لما سجنت هذين الإمامين في أكبر قاعدة عسكرية لأكبر دولة عظمى آنذاك ، وهذا يدل على ترقب الدولة العباسية لظهور الإمام المهدي (عجل ا فرجه الشريف)، ولن نستغرق في الكلام عن هذه النقطة المعترضة للحديث.

الإمام الهادي(عليه السلام) يأمر أبا هاشم الجعفري بزيارة الحسين(عليه السلام) في عصر المتوكل

يحدثنا التاريخ عن مرض الإمام الهادي(عليه السلام) في سامراء، ولم تكن سامراء مدينة كما نراها الآن ، بل كانت قاعدة عسكرية مدججة بالسلاح والجنود ، وقد

١- وسائل الشيعة ١٤: ٤٥٦، باب استحباب زيارة الحسين والأئمة(عليهم السلام) في حال الخوف والأمن .

انتدب الإمام الهادي(عليه السلام) داود أبا هاشم الجعفري ، وهو أحد كبار تلاميذ الإمام ، وهو فقيه من الفقهاء الكبار ، والذي كان من نسل جعفر الطيار ، وكان من تلاميذ الرضا والجواد والهادي(عليهم السلام) ، وهذا الشخص شخص عزيز لا يفرط به ، مع ذلك انتدبه الإمام الهادي(عليه السلام) للدعاء له تحت قبة الحسين(عليه السلام) ، وكان ذلك في زمن المتوكل المعروف ببغضه للحسين وأهل البيت(عليهم السلام) ، وفتكه بشيعتهم حتّى أنّه كان يقطع أيدي زوار الحسين(عليه السلام) .

إذن إرسال الإمام الهادي(عليه السلام) لأبي هاشم الجعفري في هذا الجو الخطر رغم مقامه العلمي الشامخ يدل على اهتمام الإمام البالغ بزيارة الإمام الحسين(عليه السلام) ، وعندما استغرب أبو هاشم الجعفري من هذا الطلب من الإمام المعصوم المستجاب الدعوة ، قال له الإمام الهادي(عليه السلام) : "... إن مواضع يحب أن يعبد فيها ، وحائر الحسين(عليه السلام) من تلك المواضع"(١) .

الأنبياء يحملون أرقى نماذج العولمة

العولمة تنطوي على معنى التوحيد في الرؤية والتجارة والقانون والاتصال والسياسة والأمن والحاكمية والثقافة والفكر ، وهي مضادة للتفرقة والاختلاف والتمييز .

قد مرت البشرية بأدوار عديدة ، مع وجود الرسل الذين كانوا يتميزون بوحدة الهدف ، ويحملون نفس المشروع الإصلاحي الإلهي على الأرض ، وقد تكبدت البشرية التي رفضت هذه الرسالات السماوية خسائر فادحة نتيجة عدم الاستجابة للأنبياء ، فعانت من التفرقة والتمييز والعنصرية .

١- كامل الزيارات: ٤٥٩ ، الحديث ٦٩٨ ، الباب (٩٠) أنّ الحائر من المواضع التي يحب الله أن يدعى فيها .

إذن الأنبياء يحملون مشروع العولمة الإلهية لجميع البشر وهو يضمن لهم السعادة والنظام والعدل .

نزعة البشر للتوحد ، ونزعتهم للتفرق

هناك نزعتان للبشرية: إحداهما للوحدة ، والأخرى للاختلاف والتكتل والتحزب والتفرق ، ومن مظاهر النزوع للاختلاف نظام الحكم الملكي والنظام السلطاني ونظام القبائل ونظام التمييز العرقي المنتشر في إفريقيا ، بل في الحضارات الغربية ، فنسمع عن النازية في ألمانيا ـ على سبيل المثال وكذلك النظام القومي الذي برز في تركيا ودور أتاتورك فيها ، وإيران والقومية الفارسية ودور شاه ايران فيها ، والقوميون العرب ، وهناك النظام الوطني ، هذه أنظمة تضمن التوحد في الإطار الضيق المتمثّل في الوطن والعرق والقومية ، ولكنها تمثّل تفرقاً على مستوى المجموع البشري والعالم ، فهي توحد من جانب ، وتفرق من جانب آخر . وكذلك نرى هذه التفرقة على مستوى الطرح الرأسمالي التي تتجلّى فيه التفرقة بين طبقات المجتمع بصورة واضحة.

الأمم المتحدة مظهر من مظاهر الوحدة

ولو ألقينا نظرة على الأمم المتحدة التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية ، فكانت من مصاديق الوحدة على عدة محاور ، منها : المحور الثقافي والتعليم المتمثّل في اليونيسكو ، وعلى محور القضاء محكمة لاهاي الدولية ، وعلى المحور الاقتصادي المتمثّل في البنك الدولي ، وكذلك الوحدة في الأمن المتمثّل في مجلس الأمن ، والوحدة في القانون ، مثل: قانون الفيتو .
وظهرت قبل الأمم المتحدة تحالفات سياسية وعسكرية كانت تمثّل توحد نسبي، أي: توحد من جهة ضيقة، وتفرق من جهة أُخرى ، وهي الجهة التي

تمثّل التوحد العالمي .

وقد ترقّت مظاهر الوحدة إلى أن تجسدت في الأُمم المتحدة ، مع أنّها تعترف بأن لكل دولة قانونها الخاص بها .

الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) سيقيم حكومة عالمية

والنزوع الى الوحدة في البشرية مطلب بشري يتحقق في حكومة عالمية يقودها الإمام المهدي المنتظر عجل ا فرجه الشريف الذي سيقيم حكومة عالمية ـ باتفاق المسلمين بغض النظر عن بعض الفروقات الجانبية ـ تكون في توحدها أرقى من نظام الأُمم المتحدة التي تتعرض إلى الكثير من الانتقادات من هذه الجهة أو تلك ، وذلك لما تتمتع به حكومة الإمام المهدي عجل ا فرجه الشريف بقيادة معصومة تستمد نهجها من الخط الإلهي والنظرة الإلهية للكون والإنسان .

العولمة تصب في عدة مجاري

النظام العالمي الواحد يتمثّل في النظام السياسي الذي يحكم العالم ، وهناك النظام العالمي العقائدي الذي يوحد العالم في العقيدة ، والبحث عن القواسم المشتركة بين المذاهب يصب في هذا المجال باعتبار أن الحوار بين المذاهب مقدمة للحوار بين الأديان ، وهناك الوحدة التجارية والاقتصادية والمالية ، وهناك عولمة جغرافية ، وعولمة لغوية تجعل لغة واحدة تسود جميع البشر باعتبارها اللغة الأقوى ، بل والعولمة في الإعلام ووحدة مشهد الحدث ، حيث ينظر الجميع إلى مشهد واحد من خلال وسائل الإعلام ، بل وحتّى وحدة الأزياء والملابس والعادات والتقاليد ، والإعلام له دور كبير حتى في الحروب لا يقل أهمية عن الجوانب الأُخرى في كسب الأطراف ، وفي بيان أحقية الفئة التي تستخدم هذه

الوسائل الإعلامية في صالحا ؛ لأن الإعلام يعتمد على الفكر والفكر هوالذي يؤثّر في صنع الرأي العام ، بل وفي اتخاذ الموقف العسكري المناسب .
بل هناك سعي لحاكمية النظام العالمي الموحد ، وتذويب الأنظمة الصغيرة ، وجعلها خاضعة إلى النظام العالمي الكبير .

العولمة نظام سبق له أن طبق في العصور السابقة

على الصعيد الإسلامي نرى أن نهضة سيد المرسلين(صلى ا عليه وآله) وتبليغه لرسالة الإسلام ونوع من أنواع العولمة .
وقد عاشت البشرية عدة نماذج للعولمة ، منها : دولة الإسكندر أو ذي القرنين كما يعبر عنه القرآن الكريم ، وقد سمي ذو القرنين ؛ لأنّه حكم المشرق والمغرب ، وقد اختلف المفسرون في أن الإسكندر هو ذو القرنين أم غيره ، وقد أسس ذو القرنين عولمة .
كما أن النبي سليمان(عليه السلام) قد أسس عولمة في العصور السابقة ، حيث وردت روايات عن أهل البيت(عليهم السلام) في أنّه لم يملك الدنيا إلاّ أربعة ، وعدت منهم النبي سليمان(عليه السلام)(١) الذي ورد في القرآن الكريم : **{قَالَ رب اغْفر لِي وهب لِي ملْكاً لاَ ينْبغي لأَحد من بعدي إِنك أَنْتَ الْوهاب}**(٢) .

وقال تعالى: **{وشَددنَا ملْكَه وآتَينَاه الْحكْمةَ وفَصلَ الْخطَابِ}**(٣) .
والأمم المتحدة أغفلت هذه العولمة التي حدثت في العصور السابقة؛ لأنّهم يعتمدون على العلوم الحديثة فقط مما يجعل طرحهم ناقصاً .

١- البرهان في تفسير القرآن ٧: ٢٦١، الحديث ٧٩٨٤ .
٢- ص (٣٨): ٣٥ .
٣- ص (٣٨): ٢٠ .

ونحن نعتقد أن الجانب الوحيد من جوانب العولمة القادر على التوحيد هو الوحدة على الصعيد العقائدي

تعريف الأمم المتحدة للعولمة

تعريف الأمم المتحدة للعولمة ، وهل نحن نعترف بهذا التعريف الذي أُعد عام ١٩٩٥م ؟ وهو :

"مزج الإقتصاد والسياسة ونظم الإجتماع والثقافة والسلوك بإلغاء الحدود الجغرافية والإجراءات الحكومية" ، فهل نحن نوافق على هذا التعريف؟ وما هو رد فعل مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) وكلمات سيد الشهداء(عليه السلام) من هذا التعريف؟ هذا ما سنتعرض له لاحقاً إن شاء ا .

المحاضرة الرابعة

الوحدة الثقافية أولا

محاور المحاضرة :

أولا : آلية تطبيق العولمة .

ثانياً : من أمثلة الوحدة في العالم الغربي .

ثالثاً : الأمم المتحدة لا تمثّل نموذجاً متكاملا للوحدة .

رابعاً : الوحدة الثقافية أولا ، والمجتمع الإسلامي قائم على الوحدة الفكرية .

خامساً : الوحدة العسكرية والإقتصادية تزول بزوال ضغوطها

سادساً : مفهوم الطاعة من نافذة تراث أهل البيت(عليهم السلام).

سابعاً : أهل البيت(عليهم السلام) في مقام فتح أفق الطاعة والعبادة أمام الإنسان المؤمن.

ثامناً : لابد من العامل الثقافي والاقتناع الفكري في الطاعة والاتباع.

تاسعاً : نمتلك الفكر القوي ونفتقر إلى الإعلام .

عاشراً : الغزو الثقافي وليس الحوار الثقافي .

آلية تطبيق العولمة

تعريف الأمم المتحدة للعولمة هو : "مزج الاقتصاد والسياسة ونظم الاجتماع والثقافة والسلوك" ، والآلية التي تؤدي إلى هذه العولمة هي : "إلغاء الحدود وتفكيك الحلقات الوطنية" ، والمقصود بالحلقات : الحلقة الأمنية والحلقة الثقافية والحلقة السياسية والحلقة الاقتصادية .

إذن العولمة تزيل الحدود وتذيب السياج القائم بين القوميات والأمم الختلفة .

من أمثلة الوحدة في العالم الغربي

يمكن دراسة العولمة على صعيد النظرية أو على صعيد التطبيق ، وقد ضرب المفكّرون مثالا في الجانب الغربي أو غير الإسلامي على الاتحاد الفيدرالي القائم في الولايات المتحدة الذي يضم ما يقارب من خمسين ولاية قائم على وحدة سياسية وأمنية ، أما الإتحاد الأوروبي فهو يشكّل وحدة قائمة على الوحدة الاقتصادية وإن كان البعض يرى أن الوحدة القائمة في أوروبا ليست قائمة على أساس اقتصادي ، وإنّما على أساس ديني مسيحي ، ولذلك رفض الاتحاد انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي باعتبار أنّها بلد مسلم .

الأمم المتحدة لا تشكّل نموذجاً متكاملا للوحدة

المهم أن البعض من منظّري العولمة يرى أنّه يمكن تأسيس وحدة على أساس أمني أو اقتصادي ، والأمم المتحدة تشكّل بذرة في تكوين الوحدة في النظام السياسي والأمني ، ولذلك حاول البعض إقامة نظام عالمي موحد باعتبار أن الأمم المتحدة لا تمثّل نظاماً عالمياً موحداً .

الوحدة الثقافية أولا ، والمجتمع الإسلامي قائم على وحدة فكرية وعقائدية

والبعض قال: بالوحدة الاقتصادية ، وتمثّل منظّمة "الجات" الاقتصادية نموذجاً لهذه الوحدة، والبعض يرى : أن الوحدة المنشودة هي الوحدة الثقافية ، ولا يمكن لغير هذه الوحدة أن تتحقق إلاّ إذا تحققت الوحدة الثقافية ، وذلك لأن التوحد يحتاج إلى قانون ، والقانون يندرج تحت مظلّة الثقافية .

وتتكون السلطات في الدولة الحديثة:من السلطة القضائية والسلطة التشريعية

والسلطة التنفيذية ، والقانون ملف ثقافي ، وليس ملفّاً إقتصادياً ولا سياسياً ، والفكر هوالذي يتحكّم في شؤون الإنسان ، وفي غرائزه وميوله ، وهذا ما ينطبق على المجتمع حيث يستطيع الفكر أن يوحد المجتمع ، ولذلك يرى المفكّرون أن الوحدة الموجودة عند المجتمع الإسلامي رغم كل المعوقات والمصاعب ، ورغم التمزق السياسي والأمني والاقتصادي ، تعتبر وحدة قوية جداً تستطيع أن تجمع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ؛ لأنّها قائمة على أساس فكري .

إذن فلسفة القانون وعلم النفس وعلم الاجتماع والبحث العقلي الفلسفي يؤكّد أن الوحدة الثقافية ـ بالمعنى الشامل للثقافة الذي يضم العقائد والأخلاق والآداب والقانون ـ لابد أن تؤثّر على الجانب السياسي والأمني والعسكري والاقتصادي باعتبار أن كل هذه الجوانب تتأثّر بالثقافة ، لا سيما بالجانب القانوني من الثقافة .

الوحدة العسكرية والاقتصادية تزول بزوال ضغوطها

لا يمكن أن تتحقق هذه الأُمور إلاّ بالجانب الثقافي ، وإذا تحققت بالقوة والضغط فإنّها سرعان ما تتبدل وتزول ، ولذلك حتى الإرهاب العسكري قد يستطيع أن يقهر الجانب الضعيف ، ولكن الأمر لا يبقى ، بل يزول بمجرد زوال القوة العسكرية ، وهذا ما نراه متمثلا في الشروط التي يمليها صندوق النقد الدولي ، ونرى أن الدول تستجيب إلى هذه الضغوط طمعاً في المال أو خوفاً من الأزمات المالية ، ولكن هذه الأُمور لا تتحرك في دائرة قناعة تلك الدولة بتلك الشروط التي أملاها صندوق النقد الدولي .

مفهوم الطاعة من نافذة تراث أهل البيت(عليهم السلام)

وفي تراث أهل البيت(عليهم السلام) نرى أن الطاعة قد تكون ناتجة عن الحب أو عن الطمع أو عن الخوف ، والطاعة التي تُبنى على الحب والاقتناع هي الطاعة المثالية

والعليا ، أما الطاعة التي تنتج عن الطمع فهي غير مضمونة شأنها شأن الطاعة المبنية على الخوف .

ويمكن تطبيق هذا الحديث على تعامل العبد مع باقي الناس ، مع أنّه يتكلّم عن طاعة العبد لربه ، حيث يقول الإمام علي(عليه السلام) : "ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنّتك ، ولكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك" ، وعبارة وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك تدلّل على الحب والاقتناع المبني على الفكر والعلم والوجدان .

وهذا ما نراه في دعاء كميل "فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي ، صبرت على عذابك ، فكيف أصبر على فراقك ، وهبني صبرت على حر نارك ، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك ، أم كيف أسكن في النار ورجائي عفوك" ، الخوف من انقطاع العلاقة مع ا أشد عندهم(عليهم السلام) من نار جهنّم. وعندما خرج الإمام زين العابدين (عليه السلام) في ليلة باردة ، ".. فقال له : جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين؟ قال: فقال: إلى مسجد جدي رسول ا (صلى ا عليه وآله) أخطب الحور العين إلى ا عز وجلّ"(١) ، وكان يعني بذلك : التهجد وطاعة ا .

أهل البيت في صدد بيان درجات الطاعة ، وليس التقليل من شأن الطمع والخوف

أهل البيت(عليهم السلام) ليسوا في صدد نكران الطاعة المبنية على الخوف من ا أو التقليل من شأن الاشتياق إلى الجنّة ، ولكن في صدد بيان درجات الطاعة ، وأن جميع هذه الأنواع من العبادات هي عبادات منجيه ، وأنّه لابد للنفس البشرية أن تحفز بجاذبية الجنّة ونور انيتها ولطافتها الأثيرية المتلألئة وبهجتها وبهائها وسنائها ونعيمها ، كما لا بد من الخوف من النار وعقاربها وزفيرها وشهيقها .

١- وسائل الشيعة ٥: ٢٢٨ ، للحديث ٦٤٠٧ .

الحب والطمع والخوف أُمور مطلوبة في الإنسان المؤمن

إذن جهة الحب وجهة الخوف وجهة الطمع كل هذه الجهات مطلوبة في الإنسان وإن كان بينها تفاوت ، وبيان ذلك : أن الإنسان له ثلاثة أبعاد فالفكر يسبح في عالم المعاني ، ولا يناسبه جمال البدن ، كما لا يناسبه لسع النار، فلابد أن يكون الداعي للفكر في عبادته هو الحب الإلهي وجماله ، وهناك البعد السبعي الغضبي في الإنسان ، وهذا لا يناسبه إلاّ التخويف من النار لكي نستطيع ترويض هذا الجانب ، وهناك غريزة حب التملك وجانب الشهوة الموجود عند الإنسان والتي يناسبها التشويق بالجنّة .

أهل البيت(عليهم السلام) لا يريدوننا أن نقتصر على الخوف ونترك الحب والطمع

وتعبير أهل البيت(عليهم السلام) عن الذين يعبدون ا خوفاً بأنّها عبادة العبيد ، إنّما يريدون بها أنّه إذا اقتصر الإنسان في عبادته على دافع الخوف وترك جانب الطمع والحب ، فإن هذه هي أدنى مرتبة من مراتب العبادة

إذن فأهل البيت(عليهم السلام) ليسوا في مقام ذم العبادة خوفاً من النار ، ولذلك نرى الكثير من النصوص الشرعية، من آيات القرآن الكريم(١) وادعية لأهل البيت(عليهم السلام)(٢) تحتوي على كلمات مؤثّرة في التخويف من النار .

أهل البيت(عليهم السلام) في مقام فتح الأفق أمام الإنسان المؤمن

وإنّما أهل البيت(عليهم السلام) في مقام فتح الأُفق أمام الإنسان لكي يطّلع على أنواع العبادة الراقية ، ويطبقها جميعاً في حياته ، وما قلناه في عبادة العبيد خوفاً من النار ينطبق على عبادة التجار والطمع في الجنّة والأعلى منهما وهو ذلك الذي يشتاق

١- البقرة (٢): ٢٤: آل عمران (٣): ١٣١ . وغيرهما كثير .
٢- كدعاء كميل، وغيره كثير .

إلى الجنة ويخاف من النار ويتمتع بالحب الإلهي الذي يمثّل عبادة الأحرار ، فتتكامل عبادته في جوانبها الثلاثة .

لابد من وجود الاقتناع والعامل الثقافي في الطاعة والاتباع

النظام العالمي الموحد لا يستطيع أن يفرض نفسه بالقوة العسكرية والأساطيل والجيوش ، ولا يستطيع أن يفرض نفسه عن طريق الضغط بالقوة الاقتصادية وبشروط بنك النقد الدولي ؛ لأن الطرف المقابل سيتمرد بمجرد انتهاء هذه القوة ، ولأنّه لا ينطلق من قناعات .

الحرب العراقية الإيرانية كنموذج

وكشاهد على ما نقول : فإن الرئيس الأمريكي ، ولعلّه بوش الأب ، قال: عندما انتهت الحرب البعثية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، والتي دامت ثمان سنوات ، قال حينها : "لقد أخطأنا في حربنا ؛ لأنّه بالعمل العسكري زاد عدونا قوة ، وأنفقنا الكثير واستهلكت طاقاتنا ، ولم نصل إلى النتائج المرجوة" ، وكان يطرح في خطابه السنوي بديلا عن الحرب ، فقال: "سوف ندخل لهم عن طريق الثقافة ، وتغيير الفكر الثقافي ، وهي وسيلة أقل تكلفّة ، وهي أسلم وأنجع وأنفع وأجدى وأكثر تأثيراً" .

وهذا ما يؤكّد أن الثقافة هي المقدمة على الجوانب العسكرية والأمنية والاقتصادية والمالية .

نمتلك الفكر ونفتقد الإعلام،أما هم فيمتلكون الإعلام ويفتقدون الفكر القوي

ومن هنا نحن نؤكّد على الإعلام الذي هو أداة فتّاكة نفتقدها ويتمتّع بها عدونا ، وأهم وسيلة آلية في العولمة وهو آلية تطبيقية تنجز الوحدة الثقافية ، والسلام

الثقافي هو الإعلام .
المفكّرون الغربيون رغم أنّهم يمتلكون آلة إعلامية فتّاكة إلاّ أن فكرهم معرض للاختراق ، ولا يستطيع الصمود أمام الفكر الإسلامي ، وفي المقابل فإن الفكر الإسلامي رغم أنّه يفتقد الوسائل الإعلامية المناسبة لوسائل العدو إلاّ أنّه يتمتّع بقوة وقدرة على معالجة المشاكل الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية وفي شتّى الجوانب والمجالات .

الغزو الثقافي وليس الحوار الثقافي

وفي الجانب التطبيقي لا يوجد حوار بين الأُمم وأما في الجانب الثقافي الموجود هو الغزو الثقافي ، والإمام الحسين(عليه السلام) حينما حاول فتح حوار مع أعدائه إلاّ أن أعداءه كانوا يغلقون هذا الباب ويفتحون باب الحرب والسهام والسيوف ؛ لأنّهم يعرفون أنّهم لن يصمدوا أمام حوار الحسين(عليه السلام) ، وكما قال الشاعر في هذا الموقف :

لم أنسه إذ قام فيهم خاطبا	فإذا هم لايملكون خطابا
يدعو ألست أنا ابن بنت نبيكم	وملاذكم إن صرف الدهر نابا
هل جئتُ في دين النبي ببدعة	أم كنت في أحكامه مرتاباً
أم لم يوص بنا النبي وأودع الثـ	قلين فيكم عترة وكتابا
إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا	أحسابكم إن كنتم أعراباً
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه	إلاّ الأسنّة والسهام جواباً(١)

وهذا هو دين الأئمة(عليهم السلام) ، فالإمام علي(عليه السلام) في صفين وفي باقي حروبه لم يبدأ بالحرب، بل بدأ الحرب الطرف المعادي له(عليه السلام) ، وكان يقول(عليه السلام) : "أنا أكره قتالكم

١- أعيان الشيعة ٧: ٢٦، والشاعر هو السيد رضا الهندي .

قبل الإعذار إليكم"(١)، وكانت جميع الحروب في زمانه(عليه السلام) حروب مفروضة عليه؛ لأن الطرف المعادي لا يمتلك قوة الحوار والاقناع العلمي .

إذن ما يوجد الآن ليس حوار ؛ لأن الحوار يعتمد على أن تطرح رأيك ويطرح غيرك رأيه بالتساوي والتوازي ، لا أن يفرض الطرف الآخر رأيه عليك باعتبار أنّه الطرف القوي وأنت الطرف الضعيف ، وهذا يسمى الغزو الثقافي باعتبار أن الأسلاميين لا يمتلكون الآليات الإعلامية الكافية لبيان آرائهم .

وهناك اعتراض على طرح العولمة الذي يسمح لأمريكا أن تفرض آراءها على الآخرين حتى من قبل الدول الأوروبية التي تخشى الغزو الثقافي الأمريكي ، وذلك لعدم وجود قناعات وآليات متساوية بين الأطراف .

وتفتقد هذه العولمة العدالة والمساواة بين الأطراف

دعوة لمواجهة الغزو الثقافي المتمثّل في الجنون الجنسي

ومن المعروف أن اليهود يمتلكون الكثير من النفوذ في أمريكا ، ولهم يد في قضية العولمة ، ولهم أهداف ومآرب .

ومن آثار هذه العولمة هو نشر جنون الجنس وجنون الإثارة والهستيريا الجنسية وليس الجنس فقط ، وإن الآباء والأمهات والإخوان والأخوات مدعوون لمواجهة هذه الهجمة الشرسة في ظلّ غياب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

١- جواهر التاريخ ١: ٢٨٧ .

المحاضرة الخامسة

الإسلام يعترف بالشعوب والقبائل

ولكن لا يجعلها أساساً للمفاضلة

محاور المحاضرة :

أولا : الإمام الحسين(عليه السلام) وخطاب العولمة .

ثانياً : منابع غريزة الوحدة ، ومنابع غريزة الفرقة .

ثالثاً : القران الكريم يشير إلى نزعتين في حياة الإنسان .

رابعاً : الدين الإسلامى لا يتنكّر لنزعة التفرقة عند الإنسان ، ولكن يهذّبها .

خامساً : الإسلام يعترف بالوطنية والقومية، ولكنه لا يجعلها أساساً للتفاضل.

سادساً : الاعتراف بالشعوب والقبائل في القرآن الكريم ، والحكمة الإلهية في خلقها .

سابعاً : التعارف بين الشعوب عولمة بالمصطلح القرآني .

ثامناً : أهل الاختصاص مدعوون لخدمة الدين من خلال اختصاصهم .

تاسعاً : التقوى والجوهر مناط تقييم الإنسان ، لا المظاهر والترف المادي .

عاشراً : لقمان الحكيم بين المظهر والجوهر .

الحسين(عليه السلام) وخطاب العولمة

من ضمن خطابات سيد الشهداء(عليه السلام) ، والتي سندرسها في ظلّ خطاب العولمة هي : "... فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب ، والقائم بالقسط ، والدائن بدين

الحقّ الحابس نفسه على ذات الله ..."(1) ، والإمام هو تعبير عن رئاسة البشرية المنصبة من قبل الله تعالى .

وقال(عليه السلام) : ".. وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيه ، فإن السنة قد أميتت ، وإن البدعة قد أحييت"(2) .

وقال(عليه السلام): "إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ، وبنا فتح الله ، وبنا ختم الله ، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله..."(3) .

فالإمام الحسين(عليه السلام) يؤسس محاور في النظام الاجتماعي السياسي للمسلمين وللبشرية ، حيث يقوم هذا النظام على كتاب الله وسنّة نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) ، والعدل والقسط ، وهو متمسك بهذه المبادىء في صراعه مع بني أُمية .

منابع غريزة الوحدة ، ومنابع غريزة الفرقة

من منابع غريزة التفرقة عند الإنسان القوة الغضبية والقوة الشهوية وحب التملّك والانتماء إلى العائلة والقبيلة والقوميات والأعراق ، وهذا الانتماء يحثّ الإنسان على التفرقة ، والنظر بعين مختلفة إلى الآخر ، وأما منابع غريزة الوحدة والتوحد مع الآخرين عند الإنسان ، فهي روح الإنسان فلا يمكن تمييز روح عن روح ، فلا يمكن وصف الروح بأنّها في ذاتها روح عربية أو أعجمية ، أو سوداء أو بيضاء ، أو شرقية أو غربية ، أو شمالية أو جنوبية ، أو روح أفريقية أو آسيوية ، وهذه الوحدة الروحية تشمل الذكر والأُنثى فكلها روح انسان .

1- الإرشاد 2: 39 .

2- البداية والنهاية 8: 110 ، قصة الحسين بن علي وسبب خروجه من مكة في طلب الإمامة .

3- بحار الأنوار 44: 325 ، باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد بن معاوية .

إذن التفرقة من الأرض ، ومن الطين ، ومن الجغرافيا ، ومن الإنسان نفسه الذي يكبل نفسه بأنواع من القيود والتفرقات ، والنزوع نحو التوحد والوحدة كامن في أصل خلق الروح الواحدة التي خلقها ا تعالى .

القرآن الكريم يشير إلى نزعتين في حياة الإنسان

قال تعالى: **{فَأَزلهما الشيطَان عنْها فَأَخْرجهما مما كَانَا فيه وقُلْنَا اهبِطُوا بعضكُم ِلبعض عدو ولَكُم في الْأَرضِ مستَقَر ومتَاع ِإلَى حين}**(١) .

وقال تعالى: **{قُلْنَا اهبِطُوا منْها جميعاً فَإِما يأْتينكُم مني هدى فَمن تَبِع هداي فَلا خَوفٌ علَيهِم ولاَ هم يحزنُون}**(٢) .

فالقرآن الكريم يشير إلى أن الإنسان يحمل نزعتين : النزعة الأُولى تتمثّل في نزعة العداوة المصاحبة للهبوط إلى الأرض ، وقال المفسرون : إن العداوة مترتبة على التعب والنصب والكدح التي تحتاج إليها الحياة الدنيا ، فيحتاج الإنسان إلى القوة الغضبية لكي يحمي نفسه ، ويحتاج إلى القوة الشهوية لكي يأكل ويشرب وينكح ويتكاثر .

وهذه القوة عندما تُنظم تخدم الإنسان ، ولكن عندما تنفلت تسبب الكوارث والحروب والاعتداءات وانتهاك الأعراض وسفك الدماء والفساد في الأرض وغصب الأموال ونشر الظلم .

وتشير الآية إلى أن هدى ا هو الضمان وصمام الأمان للإنسان ، لكي يحافظ على السلام والحب والعدل وخدمة البشر ، والاستقرار النفسي والروحي والسيطرة على الغرائز والشهوات وتشير إلى وجود هذه النزعة التابعة لهداية

١- البقرة (٢) : ٣٦ .

٢- البقرة (٢): ٣٨ .

السماء ، وقد يعبر عنها في سائر الآيات بالفطرة وإلهام التقوى والنفس المطمئنة واللّوامة ونحو ذلك .

الدين الإسلامي لا يتنكّر لنزعة التفرقة عند الإنسان ، ولكن يهذّبها

الدين الإسلامي لا يتنكّر لنزعات التفرقة ، ولا يدعو إلى هدمها ، ويعتبرها من حكمة ا ، ولكنه يحذّر من الإفراط فيها أو التمادي فيها الذي يسبب الحروب والكوارث والظلم ، قال تعالى **{وإذْ قالَ ربك لِلْملائِكة إِني جاعلٌ في الأرض خَليفَةً قالُوا أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدك ونُقَدس لك قالَ إِني أَعلَم ما لا تَعلَمون}**(١) .

الإسلام يعترف بالوطنية والقومية ، ولكنه لا يجعلها أساساً للتفاضل

وهل يعترف الإسلام بالقومية والوطنية والعنصرية والهوية أم أنّه ينفيها تماماً؟

القرآن الكريم لا يتنكّر ولا ينفي ولا يدعو إلى إزالة الهويات ، والانتماء إلى الوطن أو العرق أو القوم .

ونحن نعتقد بخطأ رأي من قال من الكتّاب الإسلاميين : إن الإسلام لا يعترف بالمواطنة أصلا والقومية والهوية التي يتّصف بها الإنسان

هناك إفراط وتفريط في هذه المسألة عند البعض ، أما آيات سورة البقرة فتوازن بين الإفراط والتفريط في هذه المسألة.

الإسلام يعترف بالمواطنة والهوية القومية والعرقية ، ولكنه يوازنها بجانب الوحدة المتمثّل في الجانب الروحي الذي يتحرك في أجواء الهداية التي تطرحها الآيات المذكورة ، والتقوى التي هي أساس التفاضل .

١- البقرة (٢) : ٣٠ .

القوميات والوطنيات آليات للمعيشة ، وليست أساساً لتقييم الإنسان

القوميات والوطنيات والعنصريات والأعراق المختلفة هي آليات للمعيشة وليست ُأسساً للتقييم ، فلا يمكن تقييم الإنسان وتفضيلة بموطنه أو قوميته أو عنصره أو عرقه .

الاعتراف بالشعوب والقبائل في القرآن الكريم ، والحكمة الإلهية في خلقها

قال تعالى: **{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير}**(١) .

وفي الآية عدة ملاحظات ، الملاحظة الأولى هي : أنّها خاطبت الناس جميعاً ، والملاحظة الثانية هي : "أنّها ساوت بين جميع البشر من خلال رجوعهم جميعاً إلى آدم وحواء ، فالمصدر واحد ، ولا تفاضل بين هذا وذاك ، والملاحظة الثالثة : أن الآية قالت: **{شعوباً}** جمع شعب ، إذن الآية تعترف بتعدد الشعوب ، و**{قبائل}** ، وتعترف بتعدد القبائل وتعدد الأوطان وتعدد الأنساب ، قال تعالى: **{ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله}**(٢) .

وبعد أن اعترفت الآية بكل هذه النزعات التي تميز البشر ذكرت : أن الحكمة من خلق الإنسان في مجموعات تمثّلها الشعوب والقبائل ، **{لتعارفوا}** ، قال المفسرون لكي يعرف كل منّا صاحبه ، فلو كان كل البشر بنفس اللون ونفس القالب ونفس الشكل فسيستحيل النظام الاجتماعي ، ويزول الأمن البشري ، ولا تعرف حينها مع من تعاملت ، وإلى من أحسنت ، وإلى من أسأت ، ومن تزوجت ، وممن

١- الحجرات (٤٩): ١٣ .
٢- الأحزاب (٣٣): ٥ .

اشتريت ، وممن بعت...(١) .

التعارف بين الشعوب عولمة بالمصطلح القرآني

وهناك رأي آخر ذكره المفسرون ، أي : يتبادل بعضكم بعضاً الخبرات والتجارب ، وهذه هي العولمة ، والقرآن الكريم بحث موضوع العولمة المبنية على الحوار وتبادل الاستفادة .

والكثير من الشباب الجامعيين والمثقفين يسمعون بأبحاث جديدة ، ويدعون أن الدين لم يعالج هذه المشكلة ـ نظراً لعدم اطلاعهم الكافي ـ فيصيبهم الإحباط والتراجع عن الفكر الديني، والانبهار بالغرب، وما يطرحه من أفكار .

ولكن من المهم أن نعرف المرادفة اللغوية بين اللغة العصرية وبين لغة الدين ولغة القرآن ، ومن المهم البحث عن المصطلحات المترادفة التي تعبر عن معنى واحد .

هناك جوانب ثابتة وجوانب متغيرة في الإنسان ، فالبيئة والوطن والعرق جوانب متغيرة ، أما جانب الروح وكمالات الروح والأمور التي تُصلح الروح وتُفسدها والقيم الأخلاقية فهذه أُمور ثابتة وليست متغيرة .

غريزة الأكل والشرب والغضب والشهوة والعقل كل هذه الأُمور ثابتة في كل زمان ومكان .

نعم ، قد تتغير البيئات ، ولكن المعاني هي هي لم تتغير ، وهناك معالجات عديدة يطرحها القرآن الكريم بلغته وبمصطلحاته .

وقد ذكرنا على سبيل المثال : مصطلح اللعن ومرادفاته الحديثة المتمثّلة في

١- الميزان ١٨: ٣٢٦ .

الشجب والاستنكار والرفض والبراءة من الطرف الظالم(١) .

وهذه البحوث تعالجها البحوث المقارنة التي تقارن الفكر "أ" بالفكر "ب" .

أهل الاختصاص مدعوون لخدمة الدين من خلال اختصاصهم

ونحن نوجه عتبنا على النخب المتخصصة ؛ لأن بإمكانهم المساهمة في خدمة الدين من خلال تخصصاتهم المختلفة ، فالأطباء مدعوون لبحث الطب الديني ، والباحث في علم النفس مدعو إلى الاطلاع على التراث الديني وأحاديث أهل البيت(عليهم السلام) في معالجة المشاكل النفسية ، والاقتصاديون مدعوون إلى الإطلاع على توصيات الدين في الجانب الاقتصادي ، ويستطيعون خدمة الفقهاء في مجال تخصصهم ، وهكذا بالنسبة للسياسيين والإداريين أيضاً مدعوون أيضاً لدراسة عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر ، ونلاحظ أن كوفي عنان الأمين العام للامم المتحدة ، ذلك المسيحي الذي لا صلة له بعلي(عليه السلام) لا في اللغة ولا في القوم ولا في الدين ، مع ذلك طالب بأن تكون قولة الإمام على(عليه السلام) لمالك الأشتر ، فإنّهم صنفان : "إما أخٌ لك في الدين ، أو نظير لك في الخالق"(٢) هذه المقولة ينبغي أن تكون شعاراً لجميع المنظّمات الحقوقية في العالم ، وطالب أن تصوت دول العالم على أن يكون عهد علي(عليه السلام) لمالك الأشتر مصدراً من مصادر الأُمم المتحدة، وفعلا صوتوا على ذلك،فأين نحن من هذا التراث، وماذا قدمنا له؟ وقد سمعت أن الأُمم المتحدة تعتمد على تراث الإمام علي(عليه السلام)في بعض تشريعاتها،ونحن مطالبون بإقامة مؤتمر أو حفل تكريم لهذا الرجل الذي كرم تراث علي(عليه السلام) .

١- راجع المحاضرة الأُولى ، تحت عنوان : اللعن مفهوم قرآني يراد منه البراءة من الظالم ومساندة المظلوم .

٢- ميزان الحكمة ٥: ٢٠١٣ ، الحديث ١٣١٩٨ .

نحن نرجو أن نحقق أعلى مراتب العلم ، والوصول إلى النجومية العلمية في كلّ المجالات ، لكي نرسم صورة مشرفة لديننا ومذهبنا ووطننا .

التقوى والجوهر مناط تقييم الإنسان ، لا المظاهر والترف المادي

إذن قيمة الإنسان في تقواه ، كما أشارت الآية الكريمة من سورة الحجرات ، والقرآن الكريم يهذّب وجود التعدد ، ويطالب بعلومة الهداية والتقوى ، واعتبارها أساساً للتفاضل .

والقرآن يطلق كلمة القرى على المدن التي لا تتمتع بالعناية الروحية ، ويطلق كلمة المدينة على القرية التي تعتني بالروح وتهذّب النفس ؛ لأن القرآن الكريم ينظر إلى المدنية الروحية ويعطيها الجانب المتقدم على المدنية المادية .

وحضارة البدن والصناعة مطلوبة ، ولكنها لا تستطيع أن تسمو بالإنسان إلى الدرجات العالية والقرب من ا ، والتخلّف قد يكون تخلّفاً روحياً ، وقد يكون تخلّفاً مادياً ، وهناك عدة شواهد على أن الحضارة الغربية رغم ما توصلت إليه من مستوى راق في المستوى الروحي إلاّ أنّها تعيش في صحراء روحية قاتلة .

لقمان الحكيم بين المظهر والجوهر

لقمان الحكيم كان حبشياً أسوداً ، وكان من أقبح الناس وجهاً ، ومع ذلك خيره ا بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وكان يأنس النبي داود(عليه السلام) به ، مع أن النبي داود كان بهي المظهر ، وله السؤدد على بني إسرائيل والملك العظيم ، كان يأنس بلقمان ويجالسه ويستمع الحكمة منه .

إذن فالمظهر ليس كل شيء ، بل هو لا يمثّل شيء إذا لم يستند إلى الجمال الروحي ، ولذلك فالآيات السابقة على الآية التي ذكرناها في سورة الحجرات قالت : **{يا أَيها الذين آمنُوا لاَ يسخَر قَوم من قَوم عسى أَن يكُونُوا خَيراً منْهم ولاَ نساء من**

نساء عسى أن يكُن خَيراً منْهن ولاَ تَلْمزوا أَنفُسكُم ولاَ تَنَابزوا بِالأَلْقَابِ بِئْس الاسم الْفُسوقُ بعد الإِيمانِ ومن لَم يتُب فَأُولَئِك هم الظالِمون}(١) .

النهي هنا عن الاستهزاء ، وذلك لأن المظهر قد يكون مظهراً بسيطاً ، والجوهر يكون جوهراً عظيماً ، ولذلك نهت الروايات عن الاستهزاء بشخص ما ، فقد يكون هذا الشخص عبداً مقرباً من ا فيغضب ا له(٢) .

القرآن الكريم يشير إلى نظرية بالغة الأهمية في الحضارة والثقافة ، ونحن نعيش تحدياتها ، وهي : أن الأُمم أو الأقوام أو الدول تعيش بينها التحقير والاستنقاص والسخرية والاستهزاء والتوهين والإهانة والتناكر والتهكّم والتنفّر والتقبيح والطعن والتذمر والنبز والغمز واللمز ، وفي مقابلة التحسين والمعاضدة والتعارف والاحترام والتجميل والاستصلاح والانجذاب والتوقير والتبجيل والميل .

١- الحجرات (٤٩): ١١ .
٢- وسائل الشيعة ١: ١١٦ ، الحديث ٢٩١ .

المحاضرة السادسة

نتائج اهتمام المجتمع بقيمه ، ونتائج إهمالها

محاور المحاضرة :

أولا: الأفعال التي تتفشّى من خلالها القيم الاجتماعية .

ثانياً : إذا استهزء المجتمع بقيمة ما ، فإنّه يتخلّص منها ويبعدها .

ثالثاً : عدم العمل بالحق ، وعدم التناهي عن الباطل هو سبب ثورة الحسين(عليه السلام) .

رابعاً : لا يمكن أن نطمئن إلى الفطرة الجماعية والعقل الجماعي إذا كانا ملوثين .

خامساً : من أبعاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

سادساً : المجتمع مسؤول عن الحفاظ على قيم المعروف .

سابعاً : القرآن الكريم يأمر بالإصلاح المبني على العدل .

ثامناً : العولمة في مرحلة التطبيق الإسلامي .

تاسعاً : العولمة الإسلامية قائمة على الحوار والاقتناع الفكري .

عاشراً : الحسين(عليه السلام) يحيي دين النبي ويعيد مبادءه .

شعر منسوب إلى الحسين(عليه السلام)

من الأشعار التي تُؤثر عن سيد الشهداء(عليه السلام) ظهر عاشوراء ، قوله(عليه السلام) :

أنا ابن علي الحر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخر حين أفخر

وفاطم أمي ثم جدي محمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

ونحن ولاة الحوض نسقي محبنا بكأس رسول ا ما ليس ينكر
إذا ما أتى يوم القيامة ظامئاً إلى الحوض يسقيه بكفيه حيدر(١)

فهل يعتبر هذا النوع من الفخر من التعصب للحسب والنسب؟! بل هو فخر بالدين ، والقرب من رب العالمين ، ومن رسول ا (عليه السلام) وما أعطاه ا لأهل البيت(عليه السلام) يوم القيامة ، وقد قلنا أن الدين لا يلغي النسب والقبيلة والانتماء إلى الوطن ، ولكنه يرفض أن تكون هي مناط التفاضل ، بل يجعل التقوى هي المناط في التفاضل بين البشر .

الأفعال التي تتفشّى من خلالها القيم الاجتماعية

وهناك عدة أفعال يمارسها البشر تتفشّى من خلالها القيم الاجتماعية الصحيحة أو الخاطئة ، منها : التنافر ويقابله التعارف ، والتحسين ويقابله التقبيح ، والاستنقاص ويقابله الامتداح ، والسخرية والاستهزاء والتهكّم ويقابلها الاحترام والتوقير والتبجيل ، واللمز والغمز والطعن ويقابله الفخر والتعريف والتجميل ، النبز ويقابله الاستصلاح ، التذمر والتنفّر ويقابله الانجذاب والميل ، التوهين والإهانة ويقابله المعاضدة والمساندة .

هذه الأفعال عندما يمارسها المجتمع ، فهي تشير إلى تفشّي وانسياب وتمحور قيمة معينة في المجتمع ، وعندما يقبح المجتمع معنى معيناً فإن في هذا دليل على أن هذا المعنى قد سلب من هذا المجتمع ، إذن القيم قد توجد في هذا المجتمع ، وقد تفقد من هذا المجتمع سواء كانت هذه القيم قيماً سامية تمثّل الفضيلة أم قيماً هابطة تمثّل الرذيلة .

١- تفسير نور الثقلين ٣: ٥٦٥ ، سورة المؤمنون، قوله تعالى: فاذا نفخ في الصور فلا أنساب ، الرقم ١٥٧ .

إذا استهزء المجتمع بقيمة ما ، فإنّه يتخلّص منها ويبعدها

الآية المذكورة في سورة الحجرات التي تتكلّم عن الاستهزاء ، والتي ذكرناها في المحاضرة السابقة يمكن الاستفادة منها ، أنّه إذا استهزء مجتمع ما بقيمة معينة ، فإن هذه القيمة تذبل وتتلاشى وتبتعد عن هذا المجتمع ، وفي المقابل فإن الفخر والتضامن والاحترام والتبجيل والمساندة والمعاضدة والتجميل والتحسين والاستصلاح والتوقير كل هذه الأُمور تبعث على تركيز القيمة في المجتمع ، فإن كانت هذه القيمة قيمة حسنة ، فإن تثبيت هذه القيمة من خلال احترامها وتبجيلها ومساندتها أمر حسن وممدوح ويرضي ا تعالي ، أما إذا كانت القيمة التي احترمها ذلك المجتمع قيمة هابطة ورذيلة ، فإن هذا الأمر يبعث على غضب ا ، وفساد الفرد والمجتمع ، وستتبدل هوية المجتمع من مجتمع صالح إلى مجتمع فاسد

عدم العمل بالحق ، وعدم التناهي عن الباطل هو سبب ثورة الحسين(عليه السلام)

وهذا الأمر نفسه كان سبباً رئيسياً في ثورة سيد الشهداء(عليه السلام) ، حيث يقول: "ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يتناهى عنه"(١) فهو يشير(عليه السلام) إلى لزوم تأصيل قيم الحق والخير في المجتمع ، وإزالة قيم الباطل والشر عن البيئة الاجتماعية .

وقد قال ا تعالى : **{لاَ يسخَر قَوم من قَوم عسى أَن يكُونُوا خَيراً منْهم ولاَ نساء من نساء عسى أَن يكُن خَيراً منْهن}**(٢) ، ولكن ما هو معيار الخيرية ومعيار الشرية ، ومعيار الحسن ومعيار القبح ، وهل هو الفطرة والعقل الاجتماعي؟

١- ميزان الحكمة ٨: ٣٥٩ ، الحديث ٢٢١١٤ .
٢- الحجرات (٤٩): ١١ .

لا يمكن أن نطمئن إلى الفطرة الجماعية والعقل الجماعي إذا كانا ملوثين

المدارس المنطقية المختلفة قد تعتمد في تصويب الأمر المعين أو تخطئته في أي علم من العلوم حتى في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، على الجانب الفكري فقط ، ويستنتجون ويقولون : إن هذا استنتاج عقلي لا ريب فيه ، أما في مدرسة المنطق التي تنتمي إلى فكر الإسلام وأهل البيت(عليهم السلام) ، فإنّها تعتمد على أن النفس الإنسانية ليست جانباً فكرياً تجريبياً فقط ، بل إن النفس الإنسانية تؤثّر فيها مجموعة قواها ، مثلا : إذا أحب أحدكم شيئاً أصمه وأعمى بصره ، كما أن بغض الشيء يعمي ويصم ، وكذلك تربية الإنسان تؤثّر في تفكيره وإدراكه لما هو حسن وما هو قبيح ، ولا يمكن أن نطمئن لاستنتاجاتنا إذا كانت نفوسنا ليست في حالة الطهارة ؛ لأنّه حتى البديهيات والفطرة الإنسانية تكون ممسوخة ومقلوبة ، وحتى العقل الجماعي في المجتمع غير المؤمن يكون عقلا مقلوباً منكوساً ، وحينها تتبدل الأعراف والسير الإنسانية ، وحينها يأتي آت ويقول: "هذا عامل متغير في المجتمع ، فيجب قراءة النص على وفق العقل الجماعي" ، وكيف نستطيع التعامل مع عقل منكوس ومقلوب وممسوخ ، ونغير النص إلى فكر منحرف ، وحيث إن المجتمع قد احترم القيم الهابطة أصبح مجتمعاً هابطاً فاسداً فلابد أن يكون تقييمه وعقله وقضاؤه وآراؤه فاسدة ، وحينها تكون قراءة النص وفق نظرة المجتمع المنحرف انحرافاً ، ولا يجدي التبرير بأن الدين يجب أن يواكب العصر والأعراف المختلفة والتغيرات الاجتماعية ؛ لأن الدين يواكب المتغيرات إذا لم تكن تصطدم مع ثوابته ، ولا يمكنه أن يواكب قيم الانحراف والهبوط الفكري والأخلاقي والرذيلة .

وفي الحديث: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم

شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم"(١) ، وفي الحديث: "... كل مولود يولد على الفطرة ، فما يزال عليها حتّى يعرب عنها لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(٢) إذن الفطرة قد تتلوث فتصير فطرة منكوسة ، وهكذا بالنسبة للعقل الجماعي .

من أبعاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذن من أبعاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن نقبح القبيح وأن لا نستحسن القبيح أو نحترم القبيح أو نجمل القبيح ، حيث إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر على كلمة نطلقها هنا أو هناك ، بل هو تقبيح القبيح والاستهزاء به ونبذه ورفضه ونكرانه والتهكّم به والسخرية به وطعنه ولمزه وغمزه ، وهذا ضمن الحدود الشرعية ، لأنّنا لسنا في مقام الدعوة إلى إسقاط شخصيات بغير مبرر شرعي .

المجتمع مسؤول عن الحفاظ على قيم المعروف

الأمر بالمعروف يعني أنّه هناك مجموعة من القيم السامية الإلهية يكون المجتمع مسؤول عنها وعن الحفاظ عليها وعن تسليمها للأجيال القادمة بنقائها وصفائها ، وأن نفتخر بالمعروف ونعززه في المجتمع وندعوا إليه .

والاستهزاء بالمنكر ورفضه ونبذه يشكّل مصداقاً من مصاديق النهي عن المنكر ، وإذا افتقد المجتمع هذه الحالة فإنّه يمر في حالة خطيرة جداً تهدد علاقته با تعالى وبمباديء الدين وقيمه. والآيات "٩ ـ ١٣" من سورة الحجرات تعالج

١- ميزان الحكمة ٥: ١٩٤٥ ، الحديث ١٢٧٣٨ .
٢- ميزان الحكمة ٢: ٧٨١ ، الحديث ٤٩١٦ .

موضوع العولمة من جهات مختلفة ، وتوازن بين جهات الوفاق وجهات الاختلاف .

القرآن الكريم يأمر بالإصلاح المبني على العدل

ومن الآيات التي تكلّمت حول بحث العولمة ، هي قوله تعالى: **{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}**(١) .

لِم قيد القرآن الكريم الإصلاح بالعدل؟ وهو يعني : إنهاء القتال والمواجهة العسكرية، والتراضي لا عن طريق الضغط العسكري أو الضغط الإعلامي، والقرآن لايدعو إلى الصلح بأي طريقة، وإنّما الصلح القائم على العدل والقسط .

العولمة في مرحلة التطبيق الإسلامي

النبي(صلى الله عليه وآله) في السنة الثالثة من الهجرة دعا المقوقس ملك القبط ، ودعا هرقل ملك الروم ، ودعا كسرى ملك الفرس ، ودعا النجاشي ملك الحبشة إلى الإسلام ، وكان خطاب النبي(صلى الله عليه وآله) لهم بهذا الشكل : "بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله عبده ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ـ مثلا ـ وسلام على من اتّبع الهدى. أمآ بعد فإنّي أدعوك برعاية الإسلام أسلم تسلم..."(٢) ، وذكر النبي في رسالته إلى هرقل والمقوقس ، قوله تعالى **{قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا**

١- الحجرات (٤)): ٩ .

٢- بحار الأنوار ٢٠: ٣٨٦ ، باب مراسلاته الى الملوك ، وكذا دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الاسلامية ٢: ٧٠٦ ، فقد ذكر الرسائل جميعاً .

اشْهدوا بِأَنا مسلمون}(١) .

العولمة الإسلامية قائمة على الحوار والاقتناع الفكري

هذه هي العولمة الإسلامية التي خاطب بها النبي(صلى ا عليه وآله) والأُمم الأُخرى، العولمة المنطلقة من مفاهيم القرآن الكريم القائمة على المساواة والحوار المنطقي **{كلمة سواء}**، وقد رفع القرآن الكريم في زمان كانت البشرية ترزح تحت نير العبودية والتفرقة العنصرية والتخلّف العلمي والحضاري .

إذن الحوار لا على فرض الآراء بالقوة العسكرية أو الاقتصادية ، بل من العولمة المنطلقة من الاقتناع الفكري والعامل الثقافي، لا من الترهيب والترغيب .

والآية تشير إلى عدة أُمور ، أولا : الكلمة السواء ، ثانياً ، العبودية ، ثالثاً : رفض التسلّط من قبل بعض البشر على بعض ، ووجود الحرية للبشر ، وعدم خضوع بعضهم لبعض .

إذن القرآن جعل لغة العولمة هي لغة الحوار ، وهذا منطق متمدن راق طرحه القرآن في تلك الأزمة المتخلّفة على صعيد النظرية ، وعلى صعيد التطبيق فكان النبي(صلى ا عليه وآله) يساوي بين بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبين العرب ، بل إنّه قد فضل سلمان الفارسي ، وقال: "سلمان منّا أهل البيت"(٢) لا لعنصره ، وإنّما للمستوى الروحي الذي ملكه وتميز به .

أخلاق النبي(صلى ا عليه وآله) وسياسته ومبادئه عامل أساسي في العولمة الإسلامية

المستشرقون يعترفون أن العامل الأساسي في نشر الإسلام هو أن أهالي البلدان المفتوحة كانوا يساعدون المسلمين على فتح بلادانهم ؛ لأنّهم كانوا يعانون

١- آل عمران (٣) : ٦٤ .
٢- بحار الأنوار ٢٠: ١٩٨ ، باب غزوة الأحزاب وبني قريظة .

من أنظمة دكتاتورية ظالمة تضطهدهم وتذيقهم أنواع الذل والظلم ، وأن سيرة النبي الأعظم البسيطة وتواضعه ومساواته بين المسلمين كان لها الأثر الأكبر في تقبل الناس لهذا الدين ، والنبي لم يلغ القبائل ولم يحلها ، بل أبقى النظام القبلي كآلية للمعيشة ، ولكنه لم يجعل هذا الانتماء لهذه القبيلة أو تلك معياراً للتفاضل والتفاخر والاستعلاء على الآخرين ، وعلى الرغم من أن المنهج الإسلامي الذي أسس له النبي محمد(صلى الله عليه وآله)سرعان ما تعرض إلى التشويه والانحراف الذي كان يمارسه ملوك بني أمية وبني العباس إلاّ أنّه رغم ذلك استطاع أن يحقق الكثير ، وأن يجذب النفوس ، وأن يستقطب قطاعات واسعة من المجتمعات المختلفة

اختلاف المنهج بعد النبي(صلى الله عليه وآله)

وهناك مؤاخذات تؤخذ على الخلفاء الثلاثة بعد النبي تخالف سيرته(صلى الله عليه وآله) ، ونحن نطرح هذه الأمور من باب البحث العلمي ، لا من باب التعصب المذهبي ، منها : ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ هو التفرقة في السياسة المالية ، حيث فرق في العطاء بين الموالي والعرب ، وبين قريش وغير قريش ، ومنع الموالي من دخول المدينة ، وأن ولاة الأمصار لايمكن أن يكونوا من الموالي(١) ، حتى أن الشعوب الأخرى غير العربية صار لديها ردود فعل تجاه العرب ، وظهر تيار الشعوبية المعادي للعرب كرد فعل على تصرفات كانت بعيدة عن منهج النبي محمد(صلى الله عليه وآله) . حتى أن المهاجرين والأنصار طالبوا علياً(عليه السلام) بأن يميز هم بالعطاء ، ولكنه قال لهم : إن نصرتهم للنبي محمد لها أجرها الأخروي ، وليس من حقّهم المطالبة بالتميز على الآخرين في الدنيا(٢) .

١- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب : ١٨٠ .

٢- ميزان الحكمة ٧: ٢٩٩٥، الحديث ١٩٤١٦ .

وعندما جاء علي(عليه السلام) لم يشأ أن يتوسع في رقعة البلاد الإسلامية ، والداخل الإسلامي يعاني من الخواء والفساد ، فتوجه إلى الإصلاح الداخلي ، وللأسف فقد واجهه أصحاب الجمل ، وواجه العصبيات القبلية ، والعصبيات القرشية ، والأحزاب التي لم يكن يروق لها عدل علي(عليه السلام) . ودوافع حرب الجمل معروفة .

الحسين(عليه السلام) يحيي دين النبي ويعيد مباده

ومنهج النبي محمد(صلى ا عليه وآله) نراه عند سبطه الإمام الحسين(عليه السلام) في يوم عاشوراء الذي أخذ على عاتقه إحياء مبادىء جده محمد(صلى ا عليه وآله) التي تعرضت للتشويه والانحراف على أيدي بني أمية ، فنرى أن الحسين بن علي(عليه السلام) في يوم عاشوراء يضع خده على خد جون ذلك العبد ، وهذا نوع عظيم من أنواع الاحترام عند العرب ، ويساوي الحسين(عليه السلام) بين جون ـ العبد الأسود ـ وبين علي الأكبر ، السيد القرشي الذي ينتسب لرسول ا (صلى ا عليه وآله) .

ومبدأ العدل متجذّر في مذهب أهل البيت(عليهم السلام) الذي يرفض أن يكون الخروج على ولي الأمر حراماً ، كما هو في المذاهب الأُخرى ، والإمامية تضع شروطاً للإمام أشد مما تنشده البشرية ، فنحن نعتقد أنّه معصوم ، فيتوصل إلى النظام الحقوقي العدل ، والنظام المالي العادل ، والنظام القضائي العادل ، والنظام السياسي العادل ، والسيرة العادلة بدون أي تفرقة بين مؤمن ومؤمن ، وأن الحاكم ليس الإمام المعصوم أو الرسول ، بل الحاكم الأول هو ا ، وأنّه ليس من حق الرسول(صلى ا عليه وآله) أو الإمام التشريع بدون أمر ا ونهيه ، وأن الإمام المعصوم لا يشاء إلاّ ما يشاء ا ، ولا يفعل ما لا يرضي ا تعالى ، إذن حاكمية ا تتجلّى في فعل المعصومين الذين هم عباد مكرمون لا يعصون ا ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، وهذا ليس مغالاة ، بل هو التوحيد في الحاكمية الذي يتميز به مذهب أهل البيت(عليهم السلام) .

المحاضرة السابعة

الحوار الحقيقي يوازن بين نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق

محاور المحاضرة:

أولا: الحوار يجب أن يكون متوازناً بين نقاط الاختلاف ونقاط الاتفاق .

ثانياً : يجب أن تكون نقاط الاتفاق حقيقية وواقعية لا مختلقة ولا مصطنعة .

ثالثاً : يجب أن يعالج الحوار أسباب الفتنة .

رابعاً : يجب أن يشمل الحوار جميع الطوائف في مؤتمرات التقريب .

خامساً : جهات الاتفاق بين المجتمعات الإنسانية .

سادساً : الدين واحد بين جميع الأنبياء .

سابعاً : أُصول الدين وأركان فروع الدين وأُصول المحرمات ثابتة في كل الشرائع .

ثامناً : بعض الآيات التي تدل على أن كل الأنبياء مسلمون .

تاسعاً : جميع الأنبياء أنصار النبي محمد(صلى ا   عليه وآله) .

الحوار يجب أن يكون متوازناً بين نقاط الخلاف ونقاط الاتفاق

الباحث في الأديان تنتابه وتعتوره نزعة للوحدة ، وكذلك تنتابه نزعة خلافية بين هذا الدين وذاك .

وهنا أيضاً نؤكّد على التوازن بين هاتين النزعتين عند الباحث ، فإذا غلبت نزعة الوحدة ، فإنّها ستحاول إلغاء معالم هذا الدين وذاك ، وستتنكّر لنقاط

الخلاف ، إذن الإفراط في نقاط الاتفاق يعمي عن نقاط الاختلاف ، وإذا غلبت نزعة الفرقة ربما اتهمت الدين الآخر بما ليس فيه من أجل إسقاطه وتوهينه ، ويكون الإفراط في نقاط الاختلاف يعمي عن نقاط الاتفاق أيضاً . وما قلناه في الخلاف بين الأديان نقوله في التقريب بين المذاهب . ونحن لسنا بصدد رفض حوار الأديان أو تقريب المذاهب ، ولكن يجب أن يكون هذا الحوار وهذا التقريب مبنياً على حالة التوازن والموضوعية، فالتعدد في الآراء والقناعات والمسائل العقلية والعقائدية ، وفي مقابل هذا التعدد هناك نقاط مشتركة بين المذاهب والأديان ، وكذلك على الصعيد الإنساني .

وغياب الحوار له آثار سلبية على البشرية،فعلى سبيل المثال: توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في أكثر من بلد نتيجة وجود خلافات، وغياب حالة الحوار التي تحافظ على أرواح وأموال الناس من هاتين الديانتين .

يجب أن تكون نقاط الاتفاق حقيقية وواقعية لا مختلقة ولا مصطنعة

يجب أن لا نفتعل نقاط اشتراك وهي غير موجودة ، وذلك لخلق حالة الحوار ؛ لأنّها ليست واقعية وحقيقية ، فيكون الحوار قائماً على أساس هش ، ومن الصعب الاستمرار على حوار قائم على أساس غير واقعي ، ومن الأمور الصحيحة أن نعترف بنقاط الاختلاف بصورة واقعية وجدية ، وأن نركّز على نقاط الاشتراك الواقعية والصحيحة لا المختلقة والمصطنعة ، ونحن لا ننفي أن المجاملة في الحوار لها ثمرة طيبة ، وتعمل على إزالة أجواء التوتّر وإخماد الفتنة ، وتخلق جواً من الود ، ولكننا ندعوا أن يكون الحوار مبنياً على أُسس صحيحة .

يجب أن يعالج الحوار أسباب الفتنة

الحوار يجب أن يبحث عن أسباب الفتن وبؤر التوترات، فمثلا: مايحدث من

مجازر في پاكستان ، ومن قبلها أفغانستان ، وما يحدث من تقاتل بين المسلمين والمسيحيين ، والكتب التي تكفّر المسلمين وتبيح دماءهم ، ونحن لا ندعوا إلى الاصطدام بهؤلاء وتصفيتهم ، وإنّما نركّز الجهود لمنعهم من هذه الأعمال وإيقافهم عند حدهم ، فهؤلاء يغضون بصرهم عن الفسق والفساد المنتشر في الأسواق والمجمعات والجامعات التي تعج وتضج بالسلوكيات الهابطة، ويثيرون الفتن حتّى في المناهج الدراسية التي تطعن الطائفة ، وتعتبرها طائفة تمارس البدع، مع أن هذه الطائفة هي الأكثرية في هذا البلد ، وهم الذين ساهموا بشكل فعال ، وبفضلهم حققت البحرين استقلالها من خلال التصويت على الاستقلال عن إيران في بداية السبعينيات من القرن الماضي الذي أقامته الأمم المتحدة ، فكيف تحتوي المناهج الدراسية في هذا البلد على طعن واضح يعتبر التوسل بالأولياء بدعة ، ولا يتم الالتفات إلى هذه المشكلة

في أفغانستان بعد سقوط حكومة طالبان ، الدستور يعترف بوجود مذهبين ، المذهب الحنفي والمذهب الجعفري ، مع أن الجعفريين يمثّلون الثلث ، والأحناف يمثّلون الثلثين ، ويدرس المذهب الجعفري هناك إلى جانب المذهب الحنفي ، فكيف بنا ونحن في البحرين ونحن أكثرية تطعننا المناهج الدراسية ولا تراعي مذهبنا ، وحتى لولم نتكلّم باعتبارنا أكثرية ، يجب على وزارة التربية والتعليم أن تحترم مذهبنا كما احترمت باقي المذاهب الإسلامية في البحرين ، وأن لا تسمح للأقلام المدسوسة أن تنخر في الوحدة بين السنة والشيعة في البحرين ، وخصوصاً أن البحرين احتضنت مؤخّراً مؤتمراً للتقريب بين المذاهب ، وهذا السلوك في وزارة التربية والتعليم لا يناسب هذا التوجه .

يجب أن يشمل الحوار جميع الطوائف في مؤتمرات التقريب

نلاحظ أن مؤتمرات التقريب تستبعد الإسماعيليين ، مع أن أعدادهم كبيرة

جداً ، وكذلك تستبعد طائفة العلويين ، وهم يمثّلون ثلاثاً وعشرين مليوناً في تركيا ، بل بعض المؤتمرات استبعدت حتى الفرقة الزيدية ، والأكثر من ذلك استبعاد قيادات الفرقة الصوفية التي تمثّل عدداً هائلا جداً من إخواننا السنّة الذين ينتشرون في مصر وتونس والجزائر والسودان وأندونيسيا وماليزيا والهند ، فلماذا هذا التغييب لطوائف عديدة من المسلمين؟! وهذا يكرس الفرقة ، ولا يكرس الوحدة ؛ لأن هؤلاء المغيبون يشعرون بأنّهم مستبعدون من الصف الإسلامي .

جهات الاتفاق بين المجتمعات الإنسانية

قال تعالى: **{ولَقَد كَرمنَا بني آدم وحملْنَاهم في الْبر والْبحرِ ورزقْنَاهم من الطيبات وفَضلْنَاهم علَى كَثيرٍ ممن خَلَقْنَا تَفْضيلا}**(١) ، هناك بعض الباحثين في الحوزة العلمية يعتبرون أن هذه الآية تمثّل أصلا قانونياً من أُسس التقنين الإسلامي ، وهو أن الأصل في الإنسان أن يكون محترماً ، وأن تكون له حرمة إلاّ ما أخرجه الدليل ، أي : أي : الإنسان الذي يرتكب جريمة أو إثماً فيكون له عقاب يحدده الشرع .

وكذلك آية الفطرة ، قوله تعالى **{فَأَقم وجهك للدينِ حنيفاً فطْرةَ ا ـ التي فَطَر الناس علَيها لا تَبديلَ لخَلْق ا ـ ذَلك الدين الْقَيم ولَكن أَكْثَر الناسِ لا يعلَمون}**(٢) .

ونشير إلى أن الكثير من التشريعات عند الأُمم الأُخرى تراعي الفطرة الإنسانية ، وقد لاتكون في تفاصيلها مطابقة للحكم الإسلامي ، ولكنها تراعي الفطرة .

الدين واحد بين جميع الأنبياء

القرآن الكريم يقرر أن الدين دين واحد ، وأن جميع الأنبياء قد جاؤوا بدين

١- الإسراء (١٧): ٧٠ .
٢- الروم (٣٠) : ٣٠ .

واحد ، والشرائع هي المتغيرة من نبي إلى آخر ، وهذا الدين بعث به أولوا العزم الخمسية ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد(صلى ا عليه وآله) ، وقد وقع بعض الباحثين في إشكال ، وهو أن النبي آدم لم يبعث بشريعة ، إذن لم يبعث بدين ، إذن لم يكن آدم نبياً ، والمشكلة أن هولاء لم يفرقوا بين الدين والشريعة ، ولذلك وقعوا في هذا الإشكال ، والصحيح أن الأنبياء قد بعثوا بالشرائع ، والدين لا يتعدد .

أُصول الدين وأركان فروع الدين وأُصول المحرمات ثابتة في كل الشرائع

الدين يمثِّل أُصول الاعتقاد وأركان الفروع ، كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، فمثلا : آدم(عليه السلام) صلّى وزكّى وحج وصام. نعم ، قد تختلف تفاصيل الصلاة أو تفاصيل الحج أو الصوم ، ولكنها في نفسها ثابتة لكل الأنبياء ، ولايمكن نسخ الاعتقادات ؛ لأنّها مرتبطة بتوحيد ا والعدل والآخرة ، ولا يمكن أن يبعث نبي بصلاة ولا يبعث نبي آخر بصلاة ، وهكذا بالنسبة لأُصول المحرمات والمنكرات ، مثل: الزنا واللواط والسحاق وتحريم الربا ، ولا يمكن أن يحلّها نبي ويحرمها نبي آخر ، فكلّ هذه الأُمور أُمور فطرية ، والفطرة البشرية ترفض هذه الممارسات التي تحول المجتمع الإنساني إلى غابة الإباحة الجنسية التي تهدم الكيان الإنساني ، وكلّما ابتعد الإنسان عن فطرته كلّما انتشرت الرذيلة والفواحش،وكلّما انتشر الرعب والخوف ، سلب الأمن والاستقرار على صعيد الفرد والمجتمع .

قال تعالى **{شَرَع لكُم من الدين ما وصى به نُوحاً والذي أَوحينَا إِليك وما وصينَا به إِبراهيم وموسى وعيسى أَن أَقيموا الدين ولاَ تَتَفَرقُوا فيه}**(١) .

وقال تعالى: **{وأَنزلْنَا إِليك الْكتَاب بِالْحق مصدقاً لِما بين يديه من الْكتَابِ ومهيمناً علَيه فَاحكُم بينَهم بِما أَنزلَ ا ُ ولاَ تَتبِع أَهواءهم عما جاءك من الْحق لِكُلّ**

١- الشورى (٤٢) : ١٣ .

جعلْنَا منْكُم شرعةً ومنْهاجاً}(١).

بعض الآيات التي تدل على أن كل الأنبياء مسلمون

إذن **{إن الدين عنْد ا ـ الإِسلام}**(٢) ، وهذا الإسلام ليس دين محمد(صلى ا عليه وآله)فقط ، وإنّما هو دين كل الأنبياء ، ومن هذا المنطلق يكون التعبير عن شريعة سيد المرسلين(صلى ا عليه وآله)بالشريعة المحمدية(صلى ا عليه وآله) أدق من التعبير عنها بالشريعة الإسلامية ؛ لأن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً ، ولا يختص بالنبي محمد(صلى ا عليه وآله) .

قال تعالى: **{وإِذْ يرفَع إِبراهيم الْقَواعد من الْبيت وإِسماعيلُ ربنَا تَقَبلْ منا إِنك أَنْتَ السميع الْعليم ـ١٢٧ـ ربنَا واجعلْنَا مسلمين لَك ومن ذُريتنَا أُمةً مسلمةً لَك وأَرِنَا منَاسكَنَا وتُب علَينَا إِنك أَنْتَ التواب الرحيم ـ١٢٨ـ ربنَا وابعثْ فيهم رسولا منْهم يتْلُو علَيهم آياتك ويعلمهم الْكتَاب والْحكْمةَ ويزكيهم إِنك أَنْتَ الْعزِيز الْحكيم ـ١٢٩ـ ومن يرغَب عن ملة إِبراهيم إِلا من سفه نَفْسه ولَقَد اصطَفَينَاه في الدنْيا وإِنه في الْآخرة لَمن الصالِحين ـ١٣٠ـ إِذْ قَالَ لَه ربه أَسلم قَالَ أَسلَمتُ لِرب الْعالَمين ـ١٣١ـ ووصى بِها إِبراهيم بنيه ويعقُوب يا بنى إِن ا َ اصطَفَى لَكُم الدين فَلاَ تَموتُن إِلا وأَنْتُم مسلمون}**(٣) .

هذه الآيات من القرآن الكريم تبين بوضوح أن هؤلاءالأنبياء جميعاً مسلمون، ودينهم الإسلام،والأنبياء جميعاً يتحركون في خط واحد،ويعبدون إلهاً واحداً.

وقد رضي ا عن الدين بإمامة علي(عليه السلام) في يوم الغدير ، فقال تعالى: **{الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نعمتي ورضيتُ لَكُم الْإِسلَام ديناً}**(٤) ، ولذلك فإمامة

١- المائدة (٥) : ٤٨ .
٢- آل عمران (٣): ١٩ .
٣- البقرة (٢) : ١٢٧ ـ ١٣٢ .
٤- المائدة (٥) : ٣ .

علي(عليه السلام) جزء من الإسلام ، أي : من الدين ، وهذا لا يعني تكفير من لا يقول بإمامته(عليه السلام) ، ونحن نعترف ونقر أن الذين لا يقولون بإمامته(عليه السلام) جميعاً مسلمون ، وإنّما هذا يقع في بحث الإيمان .

جميع الأنبياء أنصار النبي محمد(صلى ا عليه وآله)

{وإِذْ أَخَذَ ا ُ ميثَاقَ النبِيين لَما آتَيتُكُم من كتَاب وحكْمة ثُم جاءكُم رسولٌ مصدقٌ لِما معكُم لَتُؤْمنُن بِه ولَتَنْصرنه قَالَ أَأَقْررتُم وأَخَذْتُم علَى ذَلِكُم إِصرِي قَالُوا أَقْررنَا قَالَ فَاشْهدوا وأَنَا معكُم من الشاهدين}(١) .

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم قد أخذ على النبيين ميثاقاً لنصرة سيد المرسلين(صلى ا عليه وآله) ، وجميع الأنبياء أنصار لمحمد(صلى ا عليه وآله) ، وقد أقروا بذلك ، أما بالنسبة للنبي فلم يؤخذ عليه الميثاق احتراماً له ، مع أن القرآن ينص بصراحة أن النبي يؤمن بالسابقين من الأنبياء والمرسلين .

وهنا نذكر ملاحظة ، وهي أنّه لا يصح أن ننكر ونرفض كل ما ورد في التوراة والإنجيل ، صحيح أنّهما قد تعرضا للتحريف ، ولا يمكن الاعتماد عليهما كمصدر سليم تماماً ؛ لأن هناك بعض مما ذكر في التوراة والإنجيل صحيح ، ولا يصح أن نرفضه كله تماماً ولا نقبل بأي شيء ، بل ما ورد يجب أن نغربله ونعرضه على الأدلة ، ونرى هل هو صحيح أم لا؟ وهل يتعارض مع القرآن الكريم أم لا؟

على سبيل المثال : هناك الكثير من الأمور المشتركة بين الدين الإسلامي وشريعة النبي محمد(صلى ا عليه وآله)وبين ما ذكر في التوراة والإنجيل.

١- آل عمران (٣): ٨١ .

المحاضرة الثامنة
الحفاظ على الوحدة الإسلامية
مع وجود الخلاف في الأصول والفروع

محاور المحاضرة:

أولا : آراء في الخلاف بين المذاهب الإسلامية .

ثانياً : الخلاف بين المذاهب واقع في العقائد كما هو واقع في الفقه .

ثالثاً : ضرورة التفريق بين الإسلام والإيمان .

رابعاً : المنافقون يعتبرون من المسلمين ؛ لأنّهم يظهرون الإسلام .

خامساً : الإيمان مرتبة أرقى من الإسلام .

سادساً : الإمامة والعدل من أُصول الدين عند أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) .

سابعاً: أُصول الدين في مرتبة الإيمان تختلف عن أُصول الدين في مرتبة الإسلام .

ثامناً : أُصول الدين تتضمن مفهوم التوحيد .

تاسعاً : الإمامة توصل إلى طاعة ا   .

عاشراً : الإيمان النظري والإيمان العملي في سورة الحمد .

آراء في الخلاف بين المذاهب الإسلامية

من الأمور التي نود الإشارة لها في إطار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، هو أن البعض يقول: أن المذاهب الإسلامية قائمة على الاجتهادات المحضة المستندة

إلى الأدلة الظنية التي قد تكون معتبرة عند هذا المجتهد وقد لا تكون معتبرة عند ذاك المجتهد ، والبعض يقول : أن الخلاف بين المذاهب خلاف فقهي وليس عقائدي ، والبعض يقول: أن ُأصول الدين عند كل المسلمين واحدة ولا خلاف بين المذاهب عليها .

نحن نعتقد أن هذه الأُمور لا تخدم مسيرة التقريب التي نتمنى لها كل التوفيق ، وذلك لأن هذه الأُمور بعيدة عن الواقع والحقيقة ، ونحن تهمنا الوحدة الإسلامية وكل الأُمة الاسلامية من منطلق أن الإمام الحسين(عليه السلام) قد أعلن أن الإصلاح في ُأمة جده ، هو هدف الثورة الحسينية ، ولم يقل الإصلاح في شيعة أبيه ، مما يدل على اهتمام الحسين(عليه السلام) بعموم الأُمة الإسلامية لا بفئة دون فئة .

إذن يجب أن تكون الصراحة والبحث عن الحقيقة وعدم التنكّر لها هي مدار الحوار . والآراء الحقيقية لا تتنافي مع البحث عن المشتركات ، ويمكن للحوار أن يشق طريقه بصراحة وعلى ُأسس واقعية ، والقفز على الحقيقة قد يخلق من الطائفتين طائفة ثالثة تزيد من حدة الشقاق والخلاف .

الخلاف بين المذاهب واقع في العقائد ، كما هو واقع في الفقه

البعض يعتقد أنّه إذا أقر أن المذاهب الإسلامية تعيش الخلاف العقائدي فيما بينها ، فإن ذلك سيؤدي إلى تكفير طائفة لأُخرى ، وأن أصحاب المذهب المعين يرى أن أدلته قطعية ويقينية ، وحينها سوف يكفّر أتباع المذاهب الأُخرى بناء على أدلته .

وهم من أجل أن يتخلّصوا من هذه العقدة نفوا أن هناك خلاف عقائدي بين المذاهب الإسلامية ، ولكننا نرى أن الخلاف العقائدي موجود ، مع أنّه لا يستلزم تكفير طائفة لأُخرى .

ضرورة التفريق بين الإسلام والإيمان

الدين يتضمن مرتبتين ، المرتبة الأُولى : ظاهر الإسلام الذي يتضمن الإقرار بالشهادتين بلسانه "الإيمان با والرسول(صلى ا عليه وآله)" ، والإيمان بالمعاد وبعض ضرورات الدين ، كمودة أهل البيت(عليهم السلام) والصلاة وغيرها من ضرورات الدين ، ومن وصل إلى هذه المرتبة ، فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ويحرم دمه وماله وعرضه ، وله حقوق المواطنة الإسلامية في الأحوال الشخصية والمعاملات ، وهذا ليس رأي مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، بل هذا هو رأي المسلمين جميعاً إذا استثنينا التكفيريين منهم .

المنافقون يعتبرون من المسلمين ؛ لأنّهم يظهرون الإسلام

ويندرج تحت اسم المسلمين المنافقون الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ، وهذه الفئة التي توعدها ا تعالى بأشد العذاب ، وأنزل فيهم سورة كاملة في القرآن الكريم ، والذين فتحت ملفّاتهم في سورة البراءة التي تتضمن ثلاثة عشر فرقة تناويء النبي(صلى ا عليه وآله) ، مع ذلك لم يخرجهم النبي(صلى ا عليه وآله) من ظاهر الإسلام ومن دائرة المسلمين ، وهذا الطرح يسانده القرآن الكريم ، قال تعالى: **{قَالَتْ الأعراب آمنا قُلْ لم تُؤْمِنُوا ولكن قُولُوا أَسلَمنَا ولما يدخُلْ الإِيمان في قُلُوبِكُم}**(١) .

فالقرآن الكريم يفرق بوضوح بين المسلمين والمؤمنين ، وهذه حقائق قرآنية لا يمكن معارضتها ، كما لا يوجد أي كتاب كلامي ينكر التفريق بين المسلمين والمؤمنين ، وهذا مما أجمعت عليه الأُمة الإسلامية .

الإيمان مرتبة أرقى من الإسلام

والمرتبة الثانية : وهي المرتبة الأرقى ، وهي مرتبة الإيمان ، والإيمان هو

١- الحجرات (٤٩): ١٤ .

الإسلام الحقيقي الواقعي في الظاهر والباطن ، وهي المرتبة التي تؤهل الإنسان المؤمن للوصول إلى رضا ا تعالى ، ودخول الجنّة ، والحصول على ثواب ا تعالى .

الإمامة والعدل من أُصول الدين عند أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) أتباع مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) يعتقدون أن العدل والإمامة من أُصول الدين ، ويستندون إلى أدلة قطعية كما يعتقدون ، منها على سبيل المثال : قوله تعالى **{الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نعمتي ورضيتُ لَكُم الْإِسلام ديناً}**(١) .

فالدين الذي يتضمن التوحيد والعدل والنبوة والمعاد لم يتم إلاّ والمعاد لم يتم إلاّ بعد إثبات إمامة علي(عليه السلام) يوم الغدير ، فكيف لا نجعل الإمامة من أُصول الدين ، والدين لم يكن مرضياً عند ا تعالى إلاّ بالإمامة؟!

وكذلك آية المودة **{قُلْ لا أَسأَلُكُم علَيه أَجراً إِلا الْمودةَ في الْقُربى}**(٢) .

أي : أن الدين في كفّه بما يتضمنه من توحيد وعدل ونبوة ومعاد ، ومودة أهل البيت(عليهم السلام) في كفّة أُخرى ، فهل من المناسب أن تكون الإمامة ومودة أهل البيت(عليهم السلام) من ضمن فروع الدين وهي أجر الرسالة وجهد النبي(صلى ا عليه وآله) وهذه حقائق قرآنية وليست من باب المغالاة ، كما يتّهمنا البعض .

أُصول الدين في مرتبة الإيمان تختلف عن أُصول الدين في مرتبة الإسلام

في مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) هناك أُصول الدين في مرتبة الإيمان ، وتتكون من التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد يوم القيامة ، أما أُصول الدين في مرتبة الإسلام ، فتتضمن التوحيد والنبوة والمعاد ، وهي الأُمور التي إذا أظهرها إنسان

١- المائدة (٥) : ٣ .

٢- الشورى (٤٢): ٢٣ .

معين أصبح مسلماً في الظاهر .

أُصول الدين تتضمن مفهوم التوحيد

أُصول الدين كلها تتضمن مفهوم التوحيد ، فهناك توحيد في الذات وتوحيد في الصفات ، والنبوة توحيد في التشريع ، والإمامة توحيد في الحاكمية السياسية والحاكمية القضائية والحاكمية التنفيذية ، ونحن نعتقد أن الإمام مرتبط با في كل شيء ، ابتداء من الأُمور الجزئية وانتهاء بالأُمور الكلية ؛ لأن الإمام يمثّل مشيئة ا لا يعصي ا ما أمره ويفعل ما يؤمر .

الإمامة توصل إلى طاعة ا

الإمامة توصل إلى طاعة ا في الأُمور الدينية والشؤون المالية والقضايا السياسية والعسكرية والتشريعية ، وفي كل الأُمور قال تعالى: **{تَنَزلُ الْملائِكَةُ والروح فيها بِإذْنِ ربهم من كُل أَمر* سلام هي حتى مطْلَع الْفَجر}**(١) ، ففي كل سنة يتنزل البرنامج السنوي الذي يتضمن كل أمر من ا على الإمام في ليلة القدر .

الإيمان النظري والإيمان العملي في سورة الحمد

سورة الحمد تتضمن جزئين ، الجزء الأول : يتضمن الإيمان النظري والتوحيد والنبوة والمعاد ، **{بِسم ا ـ الرحمنِ الرحيمِ* الْحمد ـ رب الْعالَمين* الرحمنِ الرحيمِ* مالِك يومِ الدينِ* إِياك نَعبد وإِياك نَستَعين}**(٢) .
الجزء الثاني:يتضمن الإيمان العملي،ويتضمن مفهوم الإمامة،**{اهدنَا الصراط**

١- القدر (٩٧): ٤ ـ ٥ .
٢- الفاتحة (١) : ١ ـ ٥ .

المستَقيم* صراطَ الذين أنْعمتَ عليْهم غَيرِ المغْضوبِ عليْهم ولاَ الضالين}(١) .

وهذا الصراط هم أهل البيت(عليهم السلام) ؛ لأنّهم مطهرون ومعصومون ، فهم صراط مستقيم ، وهذا الصراط ليس صراط النبي(صلى الله عليه وآله) لوحده ؛ لأن الآية لم تقل : (صراط الذين أنعمت عليه) ، وإنّما قالت: **{صراطَ الذين أنْعمتَ عليْهم}** بالجمع ، فهم أهل البيت المعصومين(عليهم السلام) الذين لا يصح وصفهم مطلقاً بأنّهم مغضوب عليهم أو أنّهم ضالين ، أما غير المعصوم فقد يغضب الله عليه إذا عصى ، وقد يضل كما يضل الآخرون ؛ لأنّه غير معصوم ، وأهل البيت(عليهم السلام) هم الذين باهل بهم النبي نصارى نجران ، واختارهم من بين جميع الأُمة بما فيها الصحابة وزوجات النبي(صلى الله عليه وآله) ، ولو تتبعنا تاريخ أهل البيت(عليهم السلام) لما رأينا أنّهم ضلّوا في أي جانب من جوانب الحياة ، أو أنّهم ظلموا أحداً ، أو غضب الله عليهم ، أو أنّهم عبدوا وثناً ، أو شربوا خمراً ، أو عصوا الله ، أو أشركوا به طرفة عين أبداً .

حديث الفرقة الناجية كدليل على ما نقول

وفي حديث الفرقة الناجية الذي رواه المسلمون ، واتّفقوا عليه ، والذي يتضمن هذا المعنى : "ستفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية... نفس هذا الحديث يستفاد منه ما ذكرناه من التفريق بين الإسلام والإيمان ، فهو لم يخرج غير الناجين من الإسلام ، ولكنه اعتبرهم من "أُمتي" ، أي : من المسلمين ، مع أنّهم من غير الناجين ، ومن غير المعقول أن تكون النجاة التي اعتمدت عليها الفرقة الناجية هي نجاة تعتمد على فرع من الفروع ، وليس على أصل من الأُصول .

إخواننا أهل السنة والجماعة يرون أن من لا يعتقد بفضائل الخلفاء الثلاثة الذين حكموا بعد النبي(صلى الله عليه وآله) ، أو فضائل زوجات النبي ، ومن ينتقد هؤلاء وينكر

١- الفاتحة (١): ٦ ـ ٧ .

عليهم أفعالهم ، يعتقدون أن هذا الشخص ليس مؤمناً ، وإنّما هو مسلم فقط ، وإن كانوا يعتقدون بأن الخلافة من فروع الدين ، وليست من اُصول الدين ، كما ذهب إلى هذا الرأي التفتازاني في شرح المقاصد(١) ، والشريف الجرجاني في شرح المواقف(٢) .

إذن أهل السنّة يبنون العقيدة على ما حدث بعد النبي(صلى ا عليه وآله) ، وهم يعتقدون أن فضائل الثلاثة الذين حكموا بعد النبي(صلى ا عليه وآله) أدلتها قطعية ، وينفون الإيمان عمن لا يعتقد بها ، ولكن لا يقولون بكفره ، هذا إذا استثنينا التكفير بين المتعصبين .

ومذهب أهل البيت(عليهم السلام) يعتقد أن أدلة إمامة الأئمة(عليهم السلام) واعتبار الإمامة من اُصول الدين تستند إلى أدلة قطعية ، وأنّها من لوازم الإيمان إلاّ أنّهم لا يكفّرون من لا يعتقد بها ، بل يعتبرونه مسلماً ، ولكنه ليس مؤمناً .

السيد المرتضى والشيخ الطوسي والشيخ المفيد ، قالوا : إن النص تارة يكون نصاً جلياً ، وتارة يكون نصاً خفياً ، والمنكر للنّص الجلي يخرج عن ظاهر الإسلام ، أما المنكر للنص الخفي ، فلا يخرج عن ظاهر الإسلام ؛ لأنّه ربما يعذر لعدم فهمه للنص الخفي ، وقد يكون النص خفياً ومع ذلك يحمل في طياته دليلا يقينياً(٣) .

وهنا ملاحظة نود الإشارة إليها ، وهي أنّه قد يرد تعبير الكفر لبعض المسلمين ، ولكن لا يعتبر تكفيراً في مقابل الإسلام أو أنّه إخراج من الدين الإسلامي ؛ لأن الكفر على درجات ، منها : كفر النعمة ـ على سبيل المثال ـ وقد ورد الكفر تعبيراً عن عدة معاني في القرآن الكريم .

١- شرح المقاصد ٥: ٢٣٢ ، الفصل الرابع ـ في الإمامة .
٢- شرح المواقف ٨: ٣٤٤ ، المرصد الرابع في الإمامة ومباحثها .
٣- الشافي في الامامة ٢: ٦٧ . تلخيص الشافي ٢: ٦٥ .

ونحن إذ نشكر رواد الوحدة الإسلامية ، والتقريب بين المذاهب على جهودهم المباركة في توحيد الأُمة الإسلامية نلفت نظرهم إلى هذه المسائل المهمة .

وفقهاء أهل البيت وكتبهم شاهدة على أنّهم يحترمون المسلمين ، ويدعون إلى حفظ دمائهم وأموالهم وحقوقهم ، وكذلك علماء أهل السنّة يقولون بهذا الرأي في كتبهم الفقهية ، ولكن يجب التصدي لأولئك المتعصبين الظالمين الذين يثيرون الفتن الطائفية في پاكستان وأفغانستان وفي باقي بلاد المسلمين.

المحاضرة التاسعة

الحسين(عليه السلام) وتهمة شقّ عصا المسلمين

محاور المحاضرة :

أولا : الحسين(عليه السلام) يقرر الخروج على السلطان الجائر .

ثانياً : بنو أُمية كانوا يسمون المنتمين إلى حكوماتهم الجائزة بـ "الجماعة" .

ثالثاً : بداية مصطلح الجماعة .

رابعاً : عدم طاعة الخليفة لا يعتبر ردة عن الدين .

خامساً : حجة شقّ عصا المسلمين حجة واهية .

سادساً : صعوبة الظروف التي مر بها النبي(صلى ا عليه وآله) في مواجهة قريش .

سابعاً : فقأت عين الفتنة .

ثامناً : هل يشقّ عصا الأمة من اختاره ا للمباهلة دون كبار الصحابة؟!

تاسعاً : كربلاء نجحت في إزالة الشرعية عن سلطات بني أُمية .

عاشراً : الذين يفرحون لحزن رسول ا (صلى ا عليه وآله) .

الحسين(عليه السلام) يقرر الخروج على السلطان الجائر

قال الإمام الحسين(عليه السلام)نقلاعن جده المصطفى(صلى ا عليه وآله): "من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلا لحرم ا ، ناكثاً لعهد ا ، مخالفاً لسنّة رسول ا ، يعمل في عباد ا بالإثم والعدوان ثم لم يغير بقول ولا فعل ، كان حقيقاً على ا أن يدخل مدخله" ، ثم قال(عليه السلام) : "وقد علمتم أن هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطّلوا الحدود ، واستأثروا

بالفيء ، وأحلّو حرام ا ، وحرموا حلاله"(١) .
ونادى رسول والي يزيد على مكة عمرو بن سعيد يحيى بن سعيد ـ الامام الحسين(عليه السلام) حينما أراد الخروج إلى كربلاء : "يا حسين ألا تتق ا ؟ تخرج من الجماعة ، وتفرق بين الأمة بعد اجتماع الكلمة" فرد عليه الإمام الحسين(عليه السلام) .
"لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون"(٢) .

بنو أُمية كانوا يسمون المنتمين إلى حكوماتهم الجائرة بـ "الجماعة"

وكان التعبير بالجماعة يشير إلى السلطات الأموية الحاكمة ، وإلى الخلافة المسيطرة على أُمور المسلمين ، وكذلك عمرو بن الحجاج الذي كان أبرز معاوني عمر بن سعد ، قال وهو يستنفر جيوش الظلام الأموية ضد سيد الشهداء الحسين بن علي(عليه السلام) : "ألزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من مرق من الدين وخالف الإمام"(٣) .
فكان الأمويون يعتقدون أن السلطات الحاكمة الظالمة هي التي تمثّل "الجماعة" وأن الخروج عليها مروق من الدين .
ومن المؤسف أن إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني الذي كان يسكن في الشام ، وكان ورده سب ولعن علي بن أبي طالب(عليه السلام) يعبر عنه بأنّه صلب في السنّة"(٤) ، ولا ندري كيف يكون من كان ورده سب علي(عليه السلام) صلباً في السنّة؟! ثم أنّه رأى رأي الخوارج فأخذ ينكر على السلطان وإن لم يعتقد بوجوب الخروج عليه .

١- بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٢ ، باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد .
٢- البداية والنهاية ٨: ١١٦ . الآية في سورة يونس (١٠) : ٤١ .
٣- بحار الأنوار ٤٥: ١٩، باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد .
٤- تهذيب التهذيب ١: ١٨١ ، الرقم ٣٣٢ .

فنلاحظ أن تعبير "سنّة الجماعة كان له جذور تمثّل الانتماء والولاء للسلطات الحاكمة والجهات التي تعادي أهل البيت(عليهم السلام) ، ومن أراد أن يراجع فليراجع كتب رجال الحديث حول ما كتبته عن هذا الرجال "إبراهيم بن يعقوب" .

بداية مصطلح "الجماعة"

أما مصطلح "الجماعة" فابتدىء به منذ ما سمي بحروب الردة في زمن الخليفة الأول ، صحيح أن الردة كانت موجودة ، وكان يقودها مسيلمة الكذّاب وغيره ، إلاّ أن الواقع أنّه ليس كل من رفض حكم الخليفة الأول هو مرتد ، فقبائل حضر موت وكندة والبحرين لم تكن مرتدة عن الدين ، ولم تتخلّى عن أصل من اُصول الدين أو فروعه ، إلاّ أنّها لم تعط الزكاة للخليفة الأول ، لا لأنّها تنكر وجوب الزكاة ، وإنّما رفضت الطاعة للخليفة الأول ؛ لأنّها لا تعتقد بأحقيته بالخلافة ، وهذه الأمور مذكورة في مصادر التاريخ ، ككتاب ابن أعثم(١) والمسعودي(٢) واليعقوبي(٣)وغيرها من المصادر .

ومن الأدلّة على أنّهم لم يرتدوا أن جهاز الخلافة لم يقتل أسرى هذه القبائل ؛ لأنّهم لم يرتدوا عن الدين ، وإنّما أبوا طاعة السلطان ، ومن المعروف أن حكم المرتد القتل .

عدم طاعة الخليفة لا يعتبر ردة عن الدين

نحن نعتقد أن الذي لا يعتقد بأحقية خليفة معين ليس مرتداً ، وأن هؤلاء ليسوا مرتدين ، ولا ندري لم يحكم البعض بردتهم ؛ لأنّهم رفضوا حكم الخليفة الأول ،

١- كتاب الفتوح ١: ١٨ .
٢- التنبيه والاشراف: ٢٤٧ .
٣- تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٩ .

ولا يعتبر من خرجوا على حكم الإمام علي(عليه السلام) في الجمل وصفين والنهروان من المرتدين؟! ولماذا الباء هناك تجر ، وهنا لا تجر؟!

ومن المعروف أن أهل السنّة لا يعتقدون أن الخلافة من اُصول الدين . إذن لم يحكم على من لا يعتقد بحكم خليفة ما بأنّه مرتد؟!

وكان تعبير سنّة الجماعة يطلق على السلطات الحاكمة والجهات المناوئة لأهل البيت(عليهم السلام) ، كما رأينا في مقالة عمرو بن سعيد ، وفي ترجمة إبراهيم بن يعقوب .

حجة شقّ عصا المسلمين حجة واهية

ومن هنا استنكر البعض خروج الحسين(عليه السلام) على حكم يزيد بن معاوية(١) ، وكانوا قد أنكروا على علي بن أبي طالب(عليه السلام) حربه مع معاوية بن أبي سفيان وأصحاب الجمل ، ولم لم يساوم الإمام علي(عليه السلام) معاوية؟ ويبقيه في الحكم ، ويخضع لأطماع الطامعين ، ويتنازل عن مبادئه، ولا يطبقها بهذه الحدة والشدة ؛ لكي يوحد الأُمة ويحفظ دماءها.

صعوبة الظروف التي مر بها النبي(صلى الله عليه وآله)في مواجهة قريش

النبي(صلى الله عليه وآله) عندما بدأ حركته في مكة كان يواجه قريش ، ولم تكن قريش تعبد الأصنام ، بل هم على ملّة إبراهيم الحنيفية ، ومن نسل إبراهيم وإسماعيل ، وهم أهل الكعبة ، ولهم حرمة خاصة ، والنبي(صلى الله عليه وآله) كان يواجه معادلة صعبة في فرض الإسلام بدلا من الحنيفية الإبراهيمية ، حتى أن بعض المسلمين كانوا يتخوفون من مواجهة فكرية أو مواجهة عسكرية ، حتى قال بعضهم ، حينما سألهم النبي(صلى الله عليه وآله)عن رأيهم في حرب قريش : "إنّها قريش وخيلاءها ، ما أمنت منذ

١- العواصم من القواصم: ٢٣٧ .

كفرت ، ولا ذلّت منذ عزت..."(١) .
وأبو سفيان كان يعتبر أن النبي(صلى ا   عليه وآله) يخرب الدين ، ويعني بهذا : الملّة الحنيفية .
وقد واجهت النبي(صلى ا   عليه وآله) نظم قومية وإقليمية ؛ لأن مكّة كانت مهددة من الحبشة ، كما دلّت على هذا سورة الفيل وقصة أبرهة الحبشي ، وكذلك تهديدات من كسرى الفرس ، ومن الروم ، في الوقت الذي بقت فيه قريش على دين إبراهيم الحنيف ، إذن كان النبي(صلى ا   عليه وآله) يواجه تهديدات قبلية من قبل قريش ، وإقليمية من قبل دول اُخرى ، وتهديدات عسكرية ، وتهديدات دينية من قبل الديانات الاُخرى ، وكانت الوضعية الجغرافية لمكّة وضعية تجعلها محاطة بالأعداء الأقوياء .

أسلم بنوا اُمية تحت ضغط السيف ، ولما سنحت لهم الفرصة عاودوا حرب الإمام علي(عليه السلام)

النبي(صلى ا   عليه وآله) لم يبدأ بالحروب ، وإنّما كانت حروبه دفاعية ، وأنّه اعتمد لغة الحوار ، ولكن الحوار لا يعني الذوبان في الباطل ، فدافع النبي (صلى ا   عليه وآله) عن الإسلام ، وكان النبي(صلى ا   عليه وآله) يعتمد على سيف علي(عليه السلام) ، هذا السيف الذي جعل بني اُمية يسلمون في عام الفتح بالضغط ، وأسلم بنوا أمية في الظاهر ، ولكن بلا روح ؛ ولذلك حاربوا علياً بعد النبي (صلى ا   عليه وآله) وواجهوا سيفه ؛ لأنّهم لا يمتلكون الإيمان الحقيقي ، ولو كانوا مؤمنين حقاً لم يفعلوا ذلك .

الحجج التي طرحها أعداء الإمام علي(عليه السلام)

السيف الذي شيد بناء الإسلام هو السيف الذي فرض ا   عليه أن يشيد الإيمان في حروبه الثلاثة التي خاضها في زمن خلافته(عليه السلام) . وكما أن النبي(صلى ا   عليه وآله)قد واجه

١- بحار الأنوار ١٩: ٢٤٧ ، تاريخ نبيّنا(صلى الله عليه وآله)، باب غزوة بدر الكبرى. والقائل أبو بكر .

حجج قريش باعتبارهم من أتباع دين إبراهيم الحنيف ، وأنّهم أهل حرم ا ، كذلك واجه الإمام علي(عليه السلام) حجج المخالفين له بأن من المخالفين له أُم المؤمنين ، ووجود كبار الصحابة كطلحة والزبير في الجيش المناوىء له ، أما الخوارج فكانت حجتهم "لا حكم إلاّ " ، في حين أنّنا نعتقد أن التوحيد في الحاكمية لا يوجد في أي مدرسة من المدارس الدينية والفكرية غير مدرسة أهل البيت(عليه السلام) التي تطبق التوحيد في الحاكمية من خلال أصل الإمامة الذي تعتقد به .

فقأت عين الفتنة

ولذلك قال الإمام علي(عليه السلام): "إنّي فقأت عين الفتنة ، ولم يكن ليجترىء عليها"(١) . فحارب الإمام علي(عليه السلام) من كانت تحمل لقب أُم المؤمنين ، وهذا اللقب ورد في القرآن الكريم(٢) ، وتم بالفعل تفضيل زوجات النبي(صلى ا عليه وآله) ، ولكن بشرط التقوى ، ومع سقوط هذا الشرط لا يبقى لهم التفضيل ، قال تعالى: **{يا نساء النبي لستُن كأحد من النساء إن اتقيتُن}**(٣) .

وكانت حرب علي(عليه السلام) لبعض من يدعى أنّه من العشرة المبشّرين بالجنّة تكشف زيف هذه الفكرة ، وتبثّ الوعي في الأُمة ، والإمام علي(عليه السلام) الذي قاتل على التنزيل هوالذي قاتل على التأويل .

اتهام شقّ عصا المسلمين لعلي والحسين(عليهما السلام)

وكما اتهم الإمام علي(عليه السلام) بأنّه قد شقّ عصا المسلمين(٤) ، كذلك اتهم الإمام

١- ميزان الحكمة ٢: ٧٣٧ ، الحديث ٤٦٦٨ .
٢- الأحزاب (٣٣) : ٦ .
٣- الأحزاب (٣٣): ٣٢ .
٤- الأمالي للطوسي: ٥٠، الحديث ٦٦ .

الحسين(عليه السلام) بهذا الاتهام(١) ، واعتبر خارجاً عن سنّة الجماعة .

هل يشقّ عصا الأمة من اختاره ا للمباهلة دون كبار الصحابة؟!

الإمام الحسين(عليه السلام) الذي اصطفاه ا للمباهلة(٢) ، والذي شارك في المباهلة هو شريك للنبي(صلى ا عليه وآله) في دعوته ، وليس دخيلا عليها ، وهو صغير السن اختاره ا دون باقي الصحابة من أصحاب اللحى والعمائم ، هذا الاعتبار الذي يحمله الحسين ، وهذه الشهادة الإلهية القرآنية التي برهنت أن ا اصطفى هذا الطفل الصغير من دون سائر المسلمين لمباهلة النصارى، كما اصطفى عيسى للنبوة وهو في المهد ؛ لكي ينقدح في عقلية الأمة قدر هذا العملاق، وما يستحق من التكريم والتبجيل الذي هو أحد إمامين قاما أو قعدا(٣)،وهو الذي يحمل وسام حسين منّي وأنا من حسين(٤).

كربلاء نجحت في إزالة الشرعية عن سلطات بني أمية

وقد صدق من قال أن كربلاء نجحت في فصل الشرعية عن السلطات الحاكمة آنذاك ، والتي كانت تتذرع بسنّة الجماعة من أجل اتّهام المصلحين بالمروق والخروج عن الدين ، وقد كشفت دماء الحسين الزكية زيف هذه الحكومات الطاغوتية المتجبرة ، وقد احتج من احتج منهم على خروج الحسين(عليه السلام) بأنّه يسبب الهرج والمرج ، ونحن نقول : إن تربع الفساد الخلقي والإداري على رأس السلطة هوالذي يوجب الهرج والمرج ، وإن إزاحة هذا الفساد هوالذي يساهم في إزاحة

١- بحار الأنوار ٤٤: ٣٥٧ ، باب ما جرى عليه بعد بيعة الناس ليزيد .
٢- آل عمران (٣) : ٦١ .
٣- ميزان الحكمة ١: ١٥٣ ، الحديث ١١١٧ .
٤- ميزان الحكمة ١: ١٥٨ ، الحديث ١١٢٧ .

الهرج والمرج والقضاء عليه

إذن هدف الإمام الحسين(عليه السلام) هو الاصلاح في أُمة جده رسول ا (صلى ا عليه وآله) ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد ضرب الحسين(عليه السلام) مثالا رائعاً للمعارضة للحكم ، هذه المعارضة التي تفرض مراقبتها على السلطات الحاكمة ، وتسجل اعتراضاتها للفساد الموجود في هذه السلطة .

الذين يفرحون لحزن رسول ا (صلى ا عليه وآله)

أما الذين يبتهجون ويفرحون في هذه الليلة ـ ليلة العاشر من المحرم الحرام ـ فهم مصداق لقوله تعالى: **{إن تَمسسكُم حسنَةٌ تَسؤْهم وإن تُصبكُم سيئَةٌ يفْرحوا بِها}**(١) .

فهم يفرحون لحزن رسول ا (صلى ا عليه وآله) بالفاجعة الأليمة التي ألمت به في كربلاء

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين وصلّى ا على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

١- آل عمران (٣): ١٢٠ .

فهرس المطالب (٣)

(٤)

العدالة الاجتماعية

بسم ا   الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد   رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وبعد :

فهذه مجموعة من المحاضرات التي ألقاها سماحة آية ا   الشيخ محمد السند في مأتم السماكين في المنامة في موسم عاشوراء ١٤٢٦هـ الموافق لشهر فبراير ٢٠٠٥م ، وتدور حول العدالة الاجتماعية ، وقد تعرض فيها سماحته للنظرة الإسلامية للعدالة الاجتماعية ، مع بيان بعض المقدمات حول الروح والبدن وعلاقتهما بالتاريخ ، وأهمية التاريخ لا سيما التاريخ الحسيني كعنصر من عناصر القوة في المذهب الشيعي .

كما بين ـ حفظه ا   ـ أن عملية الإصلاح لابد لها من الاستفادة من التاريخ ، ومن دراسة شخصياته واتّجاهاته .

كما أكّد على محورية العدل ورفض محورية القانون الذي لا يستند إلى العدل في تشريعاته ، وبين ضوابط العدل ومنطلقاته بالإضافة إلى بيان أن رأي الأكثرية لا يحالف الصواب دائماً .

كما بحث في موضوع مفهوم الخليفة في القرآن الكريم ، والمصاديق التي ينطبق عليها هذا اللفظ،ثم ناقش بعض تعريفات العدالة،وتعرض إلى مصادقة

الأُمم المتّحدة على عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر ، واعتباره مصدراً من مصادر التشريع ، منوهاً على أهمية نشر ثقافة أهل البيت(عليهم السلام) ، ومشيراً إلى التقصير الكبير في نشر ثقافتهم(عليهم السلام) .
كما تعرض إلى الدور الكبير الذي يلعبه الإمام الحجة عج ا فرجه الشريف في غيبته ، وتأثيره حتّى في زمن الغيبة في مجريات الأُمور رابطاً هذا الموضوع بتفسير سورة القدر المباركة ، وسيجد القارىء تطبيقات عديدة في البحث على مواقف الإمام الحسين والإمام علي(عليهما السلام) كمصاديق لتطبيق العدالة ، ومواقف بني اُمية كمصاديق للظلم والانحراف ، كما ضرب بعض الأمثلة من الواقع المعاصر .
وقد كتبت هذه المحاضرات ، وجعلت في بداية كلّ محاضرة تلخيصاً لأهم أفكارها في عشرة محاور أو أقل ، كما أكثرت من العناوين تسهيلا للقارىء العزيز كي يستوعب الفكرة، وأنوه أن المحاضرة الثانية مبتورة بسبب مشكلة فنية في أشرطة التسجيل ، وأسأل ا سبحانه وتعالى أن يوفّق سماحة الشيخ للمزيد من العطاء، وأن يوفّقنا للاستزادة من علوم محمد وآل محمد إنّه سميع مجيب والحمد رب العالمين .

سيد هاشم سيد حسن الموسوي

مملكة البحرين

الثاني من رجب المرجب ١٤٢٦

الموافق ٩ فبراير ٢٠٠٥م

المحاضرة الأولى
التاريخ بين الروح والبدن

محاور المحاضرة :

أولا : الإحياء العاشورائي .

ثانياً : الفرق بين طبيعة البدن وطبيعة الروح وأحكامهما .

ثالثاً : التاريخ بالنسبة للروح شيء حاضر .

رابعاً : تكاليف الروح تختلف عن تكاليف البدن .

خامساً : للروح شرف خاص يميزها عن باقي المخلوقات .

سادساً : تعميم أحكام البدن على الروح خطأ جسيم .

سابعاً : جدوى نبش التاريخ .

ثامناً : الحب والبغض مسؤولية كبيرة .

تاسعاً : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البدني والقلبي .

عاشراً : معيارية الثورة الحسينية .

الإحياء العاشورائي

رافدية ذكرى عاشوراء تتمثّل في إحياء حقبة تاريخية عاشها الإمام الحسين(عليه السلام) وما جرى فيها من أحداث ، ومن المثمر أن يهتم الإنسان لإحياء التاريخ ، لا سيما إذا كان يتعلّق بسيد شباب أهل الجنّة وباقي الأئمة(عليهم السلام) .

تأثير إحياء التاريخ في شخصية الإنسان وهويته

عموماً إحياء التاريخ وتعايش الإنسان معه له أبعاده في شخصية الإنسان وهويته ، حيث إنّه لابد أن نفرق بين حياة الإنسان كروح وعقل وذات حيوية مدركة من جهة وبين حياة البدن من جهة أُخرى .

الفرق بين طبيعة البدن وطبيعة الروح وأحكامهما

الكثير من الناس يخلط بين أحكام البدن وأحكام الروح ، البارىء قدر للروح أن تعيش في نشأة تتجاوز أُفق البدن سواء من جهة البدء أو من جهة الانتهاء ؛ لأن طبيعة الروح هي أنّها موجود غريب جداً عن البدن ؛ لأنّها مخلوق ذو أفق كبير واسع ، والبدن في تواجده ونموه واستوائه وتطوره يعيش هذه الحقبة من العمر ربما ستّين أو سبعين أو مائة سنة ، فهو موجود محدود بوقت معين ، بينما الروح تبقى ومداها يكون واسعاً جداً . والأجيال السابقة مؤثّرة في البدن من ناحية الجينات الوراثية .

علاقة التاريخ بالبدن والروح

ومن ثم فإن التاريخ إنّما يكون بلحاظ البدن ، أما من ناحية الروح فإنّها لا تتعلّق بالسابق واللاحق ، ولو ضربنا مثلا ببعض الصفات الإلهية كأولية ا وآخريته، لا يمكن التعبير عن أولية ا بأنّها شيء في الماضي فقط ـ والعياذ با ـ وإنّما أولية ا كما هي في الماضي هي في الحاضر والمستقبل ، وكذلك آخرية ا لا تعني أنّها شيء في المستقبل ، ولا علاقة له بالحاضر والماضي، بل آخرية ا هي في الماضي والحاضر والمستقبل. ولو افترضنا أن أولية ا وآخرويته مرتبطة بالماضي فقط أو المستقبل فقط، للزم أن يحصل التبعيض في ذات ا عز وجلّ، فلا يصح أن نقول إن ا تعالى قد

تصرم منه شيء أو أنّه سيتحقق منه شيء في المستقبل ـ تعالى ا عن ذلك علواً كبيراً ـ لأن ا تعالى كله تَحقُقْ ، وما كان منه تعالى وما سيأتي هو على نحو الكينونة المنجزة ، وهذا في صفات ا ، ونحن لا نريد أن نقيس المخلوق با تعالى .

التاريخ بالنسبة للروح شيء حاضر

الروح شرفها ا تعالى بشرف خاص وأضافها إلى ذاته ، وقد أطلق لفظ الروح على الذات الإلهية المقدسة فقال تعالى : **{فَإِذَا سويتُه ونَفَخْتُ فيه من روحي فَقَعوا لَه ساجِدين}**(١) ، إن التاريخ بالنسبة للروح ليس تاريخاً ، بل شيء حاضر ، والمستقبل بالنسبة للروح ليس مستقبلا ، بل شيء حاضر ، والإنسان يتفاعل مع الشيء الحاضر بصورة مرنة ، والروح بالنسبة إلى ما مضى وما سيأتي من خلال إدراكاتها ومواقفها شيء حاضر لديها وليس شيئاً ماضياً .

تكاليف الروح تختلف عن تكاليف البدن

تكاليف الروح تختلف عن تكاليف البدن ؛ لذلك أهلت الروح لمسؤوليات تختلف عن البدن ، فالبدن لا يكلّف بنشأة البرزخ أو النشأة الآخرة ، وإنّما يكلّف بمسؤوليات بقدر طاقته وقدرته ، ولا يستطيع البدن التعامل مع ما مضى ، فليس بمقدوره اختراق أعماق التاريخ والتعامل مع الماضي ، إذن البدن لا يستطيع أن يفعل فيما مضى شيئاً ، ولا يستطيع أن يفعل فيما سيأتي شيئاً ، وإنّما يستطيع أن يفعل فيما هو كائن بينهما وهو الحاضر ، ومن خلال هذه المقدمة يتّضح أن التكاليف منها ما يتعلّق بالروح ، ومنها ما يتعلّق بالبدن ، وأن البدن لضيق أفقه لا يستطيع أن يؤدي التكاليف التي تختص بالروح ، فمن تكاليف الروح العظيمة

١- الحجر (١٥) : ٢٩ .

والشريفة التي كلّفها بها ا عز وجل أن تحدد هذه الروح بما أتيت من درجات وقوى حقيقة الحقائق وهي ا عز وجلّ ، والروح هي المسؤولية عن تحديد الموقف من وجود ا عز وجلّ ، ووجود الجنّة والنّار ، وكيفية بدء خلق الكون قبل خلقه ، فالروح مؤهلة لأن تكتشف وجود الخالق ، بل إن ا يخاطب الروح بمفاهيم مثل الكرسي والعرش وغيرهما ، وهذا دليل على أن الروح لها سعة كبيرة وقابلية عظيمة ، وليس من الإنصاف مساواة الروح بالبدن .

للروح شرف خاص يميزها عن باقي المخلوقات

وهوية الإنسان ليست ببدنه وإنّما بروحه ، وقد ثبت أن للروح مثل هذا الشرف العظيم ، والقرآن الكريم قد أشار إلى أن عوالم الخلقة مختلفة ، فقد أشار إلى خلق السماوات والأرض ، وخلق الملائكة ، وخلق الجن ، وخلق الروح ، ولكنّه يجعل للروح شرفاً خاصاً ؛ لأنّها مجهزة بشرائط وجودية خاصة ، ولا نستطيع أن نقيد الروح بالدار الدنيا ، فضلا عن تقييدها بعمر الإنسان المحدود .

الروح تصاحب البدن

والروح تصاحب البدن ، وهي شيء غير البدن ، وليس من الصحيح أن نقول أنّها استحالت من روح إلى بدن .

ولازالت الروح متعلّقة بعالم نشأتها ، وتكليف ا للإنسان بتكاليف متعلّقة بالروح دليل على أن الإنسان مزود بهذه الإمكانيات الروحية القادرة على تنفيذ هذه التكاليف ، وإلاّ لما كان للتكليف معنى .

تعميم أحكام البدن على الروح خطأ جسيم

ورد لفظ الروح عدة مرات في القرآن الكريم، ومن الروح ما هو أفضل من الملائكة،وأفضل من الجن،وأفضل من السماوات والأرض،مع الإشارةإلى أن

الروح على درجات ، والروح تمثّل أساسياً من أركان الدراسات الإنسانية والنفسية والروحية والاجتماعية ، ومن الخطأ الجسيم تعميم أحكام وعناصر البدن على الروح ، ولو فعلنا ذلك سيكتب لنا الإخفاق في تفسير كثير من التكاليف ، ولن نفهم كثيراً من فلسفات التكاليف الإلهية والروح تخاطب بعوالم سابقة على خلق السماوات ، وعوالم ما بعد الدنيا كالبرزخ أو الجنّة أو النّار ، والروح على درجات بحسب العلم وحسب المعرفة، ولم تخاطب الروح بالجنّة فحسب ، وإنّما خوطبت بما وراء الجنّة ، كما قال تعالى : **{وعد ا ُ الْمؤْمنين والْمؤْمنَات جنات تَجرِي من تَحتها الْأَنْهار خَالِدين فيها ومساكن طَيبةً في جنات عدن ورِضوان من ا ِ أَكْبر ذَلِك هو الْفَوز الْعظيم}**(١) ، فرضوان ا أكبر من الجنّة وقد خوطبت الروح به .

جدوى نبش التاريخ

هناك من يطرح إشكالية تتعلّق بجدوى نبش صفحات التاريخ ، وهنا ينبغي الالتفات إلى أن التاريخ يتعلّق بالبدن وليس بالروح ، والروح تعايش كلّ شيء معاصر لها الآن ، ولذلك فأنت ترى أنّنا شيئاً فشيئاً نرى أن مكونات الروح ليست الأشياء الحاضرة ، ولو كانت الروح كذلك لأصبح الإنسان بدائياً كما عاش الإنسان الأول في الغابة ـ كما يدعى ـ ولو تعايش الإنسان مع عناصر زمنه البدنية لكان إنساناً وحشياً ؛ لأن الروح هي مخزون من التجارب البشرية، وتتضمن الميول والمواقف الإنسانية تجاه مختلف القضايا.

موقف القرآن من الحوادث التاريخية

القرآن الكريم كتاب تاريخ ومواقف ، ومن المعروف أنّه يستعرض الملفّات

١- التوبة (٩) : ٧٢ .

التاريخية، وتمثّل هذه الملفّات قائمة كبيرة من القصص التاريخية، ابتداء من النشأة البشرية حيث يبين فيها العناصر الظالمة والعناصر المظلومة، ويربي الإنسان على استخلاص الدروس والعبر ، ويطالب القرآن الكريم قارئه على التضامن مع المظلومين في مثل قصص هابيل وقابيل ، وقصة أصحاب الأخدود ، وقصة النبي يوسف إلى أن يصل إلى زمن النبي(صلى ا عليه وآله) ، ويندد القرآن الكريم بالظالمين ، ويحدد موقفه بالتصحيح والتخطئة . كما يوازن الأفكار ، ويحدد صوابية المدارس الفكرية وانحرافاتها ، ويطالب قارئه أن يقف حياً ومتحركاً تجاه ما يحدده القرآن الكريم من مواقف من هؤلاء الأقوام .

القرآن الكريم يخاطب الروح

والقرآن الكريم لا يخاطب البدن ، وإنّما يخاطب الروح ، والروح حاضرة في كلّ هذه الخطابات ، وترتبط الروح بالأحداث الخارجية عن طريق قناة الإدراك ، وهذه القناة كما هي موجودة بين الروح وبين الأحداث الراهنة ، هي موجودة أيضاً بين الروح وبين ما مضى على البدن وما سيأتي عليه ، فالروح على استواء في التفاعل والإدراك والتعايش والتأثير والتأثّر مع كلّ أحداث العالم الجسماني فيما مضى وفيما سيأتي ، وهذا ما يفسر لنا القاعدة الاعتقادية الفكرية الشريفة التي تقول : إن الإنسان ملزم بأن يحب الصالحين ، ويكره وينفر ويتبرأ ويشجب ويستنكر الظالمين ، وأن من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حب المعروف قلباً ، كما أن من مراتب النهي عن المنكر كراهة المنكر قلباً ، فإن كان المعروف واجباً كان حبه واجباً وإن كان المنكر حراماً فكرهه يكون واجباً أيضاً ، وعن جابر بن عبد ا الأنصاري ، قال : قال في حديث : "يا عطية ، سمعت حبيبي رسول ا (صلى ا عليه وآله) يقول : من أحب قوماً حشر معهم ، ومن

أحب عمل قوم أشرك في عملهم"(١) .

الحب والبغض مسؤولية كبيرة

وهذا يفسر لنا لماذا يتعلّق الحب بهذه المرتبة الكبيرة؟ وقد تميزت مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) بهذه القضية ، فلا تجد مذهباً من المذاهب التي تنتمي إلى الديانات السماوية أو من غيرها من الملل والنحل يتحسس من موضوع الحب والبغض كما هو مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، فهو مذهب يحثّ على التضامن والمساندة ووحدة الموقف كما هو في المصطلحات الحديثة ، أو التولّي كما هو في المصطلح الديني ، وفي مقابل ذلك الاستنكار والشجب والإدانة ، وبالمصطلح الديني التبري ، وسواء استخدمنا المصطلح الحديث أم المصطلح الديني فالموقف المطلوب الذي يطلبه أهل البيت(عليهم السلام) من أتباعهم هو موقف واحد يتمثّل في التضامن مع المظلوم والبراءة من الظالم انطلاقاً من مسؤولية الموقف تجاه الظالم والمظلوم .

الروح هي المسؤولة عن الحب والبغض

والروح هي المسؤولة عن الحب والبغض ، وما حدث في التاريخ وما سيحدث له أثره الكبير على الروح وتلوين الروح وتشخيص هوية الروح ، فالحوادث التاريخية ليست شيئاً أكل الدهر عليها وشرب ، وإنّما هي حوادث حاضرة ومؤثّرة على الروح ، وقد يعبر عن الروح بأنّها حصيلة معلومات ، ولا يمكننا أن نتصور الروح من غير معلومات .

تشدد القرآن الكريم وأهل البيت(عليهم السلام) في مسألة الحب والبغض

وتشدد أهل البيت(عليهم السلام) في هذه المسألة يتوافق مع التشدد القرآني في المسألة

١- مستدرك الوسائل ١٢: ١٠٨ ، الحديث ١٣٦٤٨ .

ذاتها ، والسبب في ذلك أن ما حدث في التاريخ يؤثّر في الروح ، فكلّ الأمور التي مضت حاضرة لدى الروح ومؤثّرة فيها ، والروح هي حصيلة المعلومات فلا يمكن تصور الروح بلا معلومات ، فكلّ ما هو حي متعلّق بالروح ، كما قيل : "فالناس موتى وأهل العلم أحياء"(١) ، والعلم هو حياة الروح ، وتمام هوية الروح ووجودها هي المعلومات ، والجهل هو موت الروح ، ومن الخطأ أن نتحسس من إحياء ما مضى من التاريخ ؛ لأن الروح هي بطبيعتها حية بما مضى وبما سيأتي ، وأن ما مضى ماض بلحاظ البدن ، أما بالنسبة للروح فما مضى هو حي حاضر لديها ، فيجب على الإنسان أن يكون له وعي وموقف فيما صاحب ماضي الزمان من الأحداث ، والذي لا يعي ما مضى من الأحداث فهذا لا بد أنّه يعاني من نقص في هويته الإنسانية والروحية ، ويكون بمثابة الميت الذي لا يتمتع بحياة الروح ، وهو شبيه بأجزاء معطّلة من ذاكرة الحاسب الآلي ، فإذا كانت هذه الذاكرة معطّلة فلا فائدة منها ، وكذلك الروح إذا كانت بدون معلومات فلا فائدة منها .

وكلّما ازدادت دائرة علم الروح المدرك للحقيقة اتّضحت لها الحقيقة ، فلا ترى البياض بصورة السواد ، ولا السواد بصورة البياض ، وحينئذ تكون الروح حية وناضجة ، إذن نبش التاريخ وتقليب صفحاته سنّة قرآنية ، والروح تتأقلم مع هذا التقليب لصفحات التاريخ وتتكامل به .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البدني والقلبي

نستطيع أن نفهم جملة من التكاليف الإلهية التي بعضها مفاهيم عقائدية وبعضها مسائل فقهية ، فمثلا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القلبي يختلف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر البدني ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هدفه

١- العلم والحكمة في الكتاب والسنة : ٣٥٢، نقلا عن الديوان المنسوب للإمام علي(عليه السلام) .

تصحيح المسار البشري وتصحيح الفكر البشري وإزالة الفساد الفكري ، وتبديل الأعراف الفاسدة إلى أعراف صحيحة ، والمحافظة على الأعراف الصحيحة ، وكلّ هذه الأمور من الممكن أن تستفاد من شعائر سيد الشهداء(عليه السلام) .

تساند من؟ تتضامن مع من

ومن خلال ما قدمنا نستطيع أن نستنبط كيف أنيطت بالروح كلّ هذه المسؤولية ، لأن الروح تميل للأحداث حتّى ولو كانت هذه الأحداث تاريخية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينطلق من منطلق مسؤولية الموقف تجاه الفرد الإنساني والفرد المؤمن ، فالمسؤولية يعني : أنت مع من ومع من تقف؟ ومع من تتضامن وتساند من؟ هذه المسؤولية لا تقف عند حد الحاضر ، بل هي متعلّقة بأعماق التاريخ ، ونلاحظ أن الإنسان بفطرته ينفر من الطغيان والوحشية ، كما هو الحال في النفور الفطري من النازية مع أنّها مضت مع الأيام ، ولكن لابد أن يكون الموقف منها موقفاً سلبياً .

الفائدة من الموقف السلبي تجاه الطغيان التاريخي

وموقف المسلمين من الخوارج في التاريخ القديم له فوائد ، ومن فوائده أنّه يفيدهم في أن لا يخرج من بينهم من يتبنّى موقف الخوارج ، ويهدد حالة السلام التي يعيشها المسلمون ، ونحن هنا لا ننتقد فرقة الخوارج كفرقة فقط ، وإنّما ننتقد فكر الخوارج حتّى ولو كان عند غيرهم ممن يتسمون بتسميات أُخرى ، كمن يبيحون دماء المسلمين استناداً إلى فهم خاطىء للدين ، كما هو حال الفرق المتشددة والإرهابية التي تحمل نفس فكر الخوارج ، وترفع شعار الحق وتريد به الباطل ، وتنسف مبادىء الدين بشعارات دينية .

ومن هنا تتبين أهمية إحياء ذكرى عاشوراء ؛ لكي تربي الأجيال جيلا بعد

جيل ؛ ولأن البشرية تحتاج دائماً إلى إصلاح ، والوعي البشري يتضمن برنامجاً إصلاحياً متكاملا ، وإن عدم إحياء ما حدث في التأريخ ، وتحديد الموقف تجاهه يسبب عودة الغدد السرطانية إلى جسم العالم الإسلامي ، وتهدده من جديد .

خلود الروح الحسينية

والحسين مخلّد،والخلود هنا هو خلود الروح،وإلاّ فما فائدةخلود جسد فرعون ، خلود الحسين يعني خلود الروح والأطروحة الحسينية، فعاشوراء لا زالت حيةوغضة وطرية تربي الأجيال على قيم الثورة والتحرر ورفض العبودية.

معيارية الثورة الحسينية

ونستطيع من خلال الثورة الحسينية أن نكتشف الزلاّت والثغرات في الأطروحات المنحرفة ، ونستطيع أن نجعل الثورة الحسينية معيار الإصلاح الذي نقيس به أي حركة إصلاحية ، وعندما يقع الفساد فإنّنا بحاجة إلى رايات الإصلاح ، نحن نمتلك برامج ثرية وغنية لا يمكن أن يدخلها الفساد .
ونستطيع من خلال الحسين(عليه السلام) أن نسابق البشرية على صعيد حقوق الإنسان ، وعلى صعيد السلم البشري .
ومدرسة سيد الشهداء(عليه السلام) فيها ما شاء ا من الكنوز والعطايا ، وعندما نتكلّم عن الإحياء العاشورائي فإنّنا لا نقصد بذلك حضور المجالس الحسينية فحسب ، بل قراءة الوقائع التاريخية الحسينية وتحليلها وتطبيقها على الواقع من مصاديق الإحياء أيضاً ، ونشر هذه الثقافة وتداولها يصب في مصب الإحياء.
الآن الكل يدعي الإصلاح ويتبجج به ، ولكن ما إن ينكشف الغطاء قليلا حتّى يتبين خطأ ذلك المنهج وثغراته وزلاّته وسلبياته بعد فوات الأوان .

النموذج الحسيني لن يتكرر بنفس المستوى

نحن على ثقة بأن النموذج الحسيني لن يتكرر بنفس المستوى، ولن تصل أي حركة إصلاحية إلى المستوى الذي وصل إليه النموذج الحسيني ، ويمثّل النموذج الحسيني ضمانة للأمة في عدم الوقوع فيما وقع فيه بعض المسلمين في الأزمان السابقة ، وما وقع فيه المسلمون في الزمن الحاضر .

المحاضرة الثانية
مواجهة عناصر القوة الشيعية

محاور المحاضرة

أولا : عاشوراء النموذج الأمثل للإصلاح .

ثانياً : لابد من دراسة التاريخ دراسة موضوعية .

ثالثاً : الأعراف تمثّل خطوط حمراء .

رابعاً : الجذور التاريخية لظاهرة الإرهاب .

خامساً : الحسين(عليه السلام) يواجه الطواغيت في كلّ العصور .

سادساً : كربلاء سر قوة الشيعة .

سابعاً : عنصر المرجعية نقطة قوة أُخرى .

ثامناً : خطط منظّمة لإضعاف دور المرجعية .

عاشوراء النموذج الأمثل للإصلاح

ما تسالمت عليه البشرية من نبذ العنف والإرهاب ومكافحة الفساد في المجتمع نستطيع أن نستفيده من ثورة سيد الشهداء(عليه السلام) ؛ لأن سيد الشهداء(عليه السلام) لم يبدأهم بقتال، ولم يغلق باب الحوار مع جيش بني أُمية .

وتعتبر ثورة سيد الشهداء(عليه السلام) هي النموذج الأمثل والأكمل للإصلاح ، ومن فوائد الإحياء العاشورائي هو الاستزاده من التجربة الإصلاحية الحسينية لأي حركة إصلاح معاصرة .

لابد من دراسة التاريخ دراسة موضوعية

لا يمكن أن تتم عملية إصلاح في الوقت الراهن بدون الرجوع إلى التاريخ ومحاسبة المواقف والشخصيات التاريخية ، ومن يعتقد أن نبش التاريخ وتقليب صفحاته يعود علينا بالتشنّج فإنّه لا يسير على جادة الصواب . نعم ، نحن نقول : يجب أن ندرس التاريخ بصورة موضوعية وعلمية هادئة لا أن ندرسه دراسة متعصبة أو انفعالية عاطفية .

هناك من يقول : دعونا نبتر أنفسنا عن التاريخ ، ونغض بصرنا عنه ، ونركّز على إصلاح أنفسنا استناداً إلى قوله تعالى : **{يا أَيها الذين آمنُوا عليْكُم أَنفُسكُم لاَ يضركُم من ضل إِذَا اهتَديتُم إِلَى ا ـ مرجِعكُم جميعاً فَينَبئُكُم بِما كُنتُم تَعملُون}**(١) ، وهذا الاستشهاد في غير محلّه .

الأعراف تمثّل خطوط حمراء

الروح هي حصيلة معلومات وأعراف اجتماعية مكتسبة من الأسرة والبيئة الاجتماعية،وهذه الأعراف قد تكون أعرافاً اجتماعية أو قوانين حقوقية،وهذه الأعراف والقوانين أشد نفوذاً من الحكومات السياسية ؛ لأنّها تشكّل خطوطاً حمراء لا يستطيع الناس تجاوزها، وهذه الأعراف تشكّل برنامجاً يحرك أفراد المجتمع بشكل تلقائي ، وقد يكون ذلك في اللاشعور أو على مستوى الوعي الباطني ، ولو حاول إنسان أن يعارض هذه الأعراف فإنّه سيواجه بمعارضة شديدة ، وهذه الأعراف مرتبطة برموز وأشخاص يكن لها المجتمع الاحترام والتقدير ، وتستمد منها هذه النواميس والنظم والمراسم والأحكام .

١- المائدة (٥) : ١٠٥ .

الجذور التاريخية لظاهرة الإرهاب

ظاهرة الإرهاب وظاهرة غياب الحوار هي ظاهرة متولّدة من أعراف معينة ، ولا يمكن اجتثاثها إلاّ بالبحث عن المسببات التي أدت إلى ظهورها ، ونحن نحتاج إلى فتح ملفّات الماضي من أجل الوصول إلى بعض النتائج ؛ لأن هذا الإرهاب والعنف وغياب الحوار مرتبط بالماضي من حيث المصدر والمشروعية والتكون ، ومن هنا تبرز أهمية الإحياء العاشورائي الذي يتمثّل في محاسبة فكرية لا تقتصر على الماضي فقط أو على الحاضر فقط ، بل هي محاسبة مطلقة ، وهي تمس حتّى الأنظمة الفعلية في هذا الزمان .

الحسين(عليه السلام) يواجه الطواغيت في كلّ العصور

وما كان من عرقلة لزيارة الإمام الحسين(عليه السلام) منذ استشهاده إلى زماننا هذا ينطلق من أن الحسين(عليه السلام)لا يحاسب عصره فقط، وإنّما يحاسب الطواغيت في كلّ زمان ومكان ، ويحاسب الأعراف الخاطئة التي تولّدت من تلك المدارس المنحرفة ؛ ولذلك فإن هناك توجس وتحسس من قبل الظالمين تجاه مدرسة سيد الشهداء(عليه السلام)، وهناك محاولات من أجل قطع العلاقة بين الشيعةوبين الإحياء العاشورائي الذي يحرصون عليه.

كربلاء سر قوة الشيعة

وقد صدر عن مركز الاستخبارات الأمريكية كتاب ، نشرت عنه بعض الصحف في إيران ، للكاتب مونيكال برابنز ، يذكر أن الشيعة لا زالوا يحتفظون بفاعلية وحركية تقاوم المخططات الغربية دون بقية المسلمين ، ويذكر أمثلة ، منها : الثورة الإسلامية في إيران ، ومنها : حزب ا في لبنان ، وكيف أنّه أخرج الجيش الإسرائيلي من الجنوب ، وأن نداءات يا حسين ويا أبا الفضل العباس قد ألهبت

الشارع الجماهيري الشيعي ، وكذلك في العراق حيث فشل النظام البعثي ـ كما يذكر هو ـ رغم كلّ ما أوتي من قدرة وأنظمة أمنية فتّاكة في اقتلاع وتعطيل حوزة النجف الأشرف ، والشيعة تمثّل القطاع الحي والنابض في العالم الإسلامي ، وهم أتباع أهل البيت(عليهم السلام) وأتباع سيد الشهداء(عليه السلام) ، ومن ثم فإنّه يقرر أن عنصر قوة الشيعة يتمركز في شيئين ، هما : عزاء الإمام الحسين(عليه السلام) والارتباط بالإمام الحسين(عليه السلام) وهو الذي يبعثهم على استرخاص النفس ، ورفض منطق العدوان والظلم ، والتحلّي بالعزة والإباء والحماس والأنفة ، وفي كلّ سنة تتجدد الطاقات من خلال الإحياء العاشورائي .

السيد السيستاني وموقفه من الانتخابات

الموقف الصلب للسيستاني الذي أصر على الانتخابات ، ورفض مقابلة أي مسؤول أمريكي هو موقف جهادي ، كما كان سيد الشهداء(عليه السلام) الذي لم يبدأهم بقتال ، ولكنّه في المقابل ثابت على المبدأ .

ثم يذكر هذا الاستخباري الأمريكي أن الشيعة يمثّلون مصدر قلق لأمريكا .

عنصر المرجعية نقطة قوة أُخرى

ثم يقول : إن العنصر الثاني من عناصر القوة الشيعية هو عنصر المرجعية الدينية ، ويستشهد بفتوى ثورة التنباك ، وفتوى ثورة العشرين ، والثورة الإسلامية في إيران .

ثم يبحث في كيفية مواجهة العنصر الأول ، وهو ارتباط الشيعة بسيد الشهداء(عليه السلام) ، وهو التشكيك في مصداقية إحياء مراسم عاشوراء ، والادعاء بأنّها من قبيل الخرافات والأساطير، وتشجيع كتّاب الشيعة على مثل هذا الاتّهام للشعائر الحسينية .

خطط منظّمة لإضعاف دور المرجعية

وقد نقل لي أحد الطلاب الذين يحضرون عندي بحث الفقه والأصول ، وهو من العراق أن هناك دورات قصيرة ومكثّفة في العراق يحصل من يحضرها على مائتي دولار ، وهذه الدورات تركّز على الفلسفة الغربية ، ونبذ الخرافات والأساطير، كما تركّز على رفض التقليد ، واعتبار التقليد أنّه من عمل الببغاوات والحيوانات وأن الإنسان يجب أن يكون حراً .

وقد ذكر هذا الكاتب الاستخباري خطّة زمنية تهدف إلى تشويه صورة المرجعية الدينية بحلول عام ٢٠١٠ ، وكذلك إظهار الشيعة بصورة الإرهابيين من خلال الإحياء العاشورائي ، وهم يستهدفون مراسم الإحياء العاشورائي باعتباره نقطة قوة عند الشيعة ؛ لأنّها تنبض بالتضحية والفداء والحماس والتعبئة ، التي أشار إليها أئمة أهل البيت(عليهم السلام) في رواياتهم ، وقد ذكر الحر العاملي ثمانين باباً تحت عنوان المزار ، ويستفاد منها التعبئة والحماس والتضحية والفداء والانشداد لأهل البيت(عليهم السلام) عبر عاطفة البكاء ، وبالتالي الذوبان في مبادىء الحسين وأهل البيت(عليهم السلام) ، ويكونون(عليهم السلام) هم القدوة للشيعي ، وطريق البكاء طريق جذّاب جداً ، وهو أقصر الطرق للتفاعل مع القدوة التي يقتدي بها الإنسان ، والنموذج الحسيني الماثل أمام أعين المسلمين جميعاً وليس الشيعة فقط ، هو النموذج الذي يقلق الدوائر الاستكبارية .

المحاضرة الثالثة

محورية العدل لا محورية القانون

محاور المحاضرة :

أولا : تركيز أهل البيت(عليهم السلام) على العدل .

ثانياً : العدل من أصول الدين عند الشيعة دون غيرهم .

ثالثاً : البشرية تتّجه نحو العدل بالفطرة .

رابعاً : مصادقة الأمم المتحدة على عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر .

خامساً : عداوة القوى الإقطاعية للعدل .

سادساً : هل القانون هو مصدر الخير دائماً؟

سابعاً : الفساد القانوني .

ثامناً : حسن العدالة وقبح الظلم هل هو أمر حقيقي أم اعتباري؟

تاسعاً : هل المحرمات والأخلاق تتغير بتغير البيئة ؟

عاشراً : الجواب على هذه الشبهات .

محورية العدل في خطاب سيد الشهداء(عليه السلام)

من ضمن النداءات التي أطلقها الإمام الحسين(عليه السلام) نداءات ترتبط بالعدالة ، مثل قوله(عليه السلام) : "فلعمري ما الإمام إلاّ العامل بالكتاب ، والقائم بالقسط الدائن بدين

بالحق ، الحابس نفسه على ذات ا "(١) ، إذن من المحاور التي نادى بها سيد الشهداء(عليه السلام)هو محور القسط والعدل .

تركيز أهل البيت(عليهم السلام) على العدل

وقد بين أهل البيت(عليهم السلام) أن صفة العدل من الصفات الإلهية ، وهي أصل من أصول الدين ، وهي من الصفات المتميزة للذات الإلهية ، ويجب الاعتقاد بها .

مثل هذا التركيز في حقيقة العدل ينطوي على سر ومغزى ، كما روي عن سيد الكائنات من جوامع كلمه : "يبقى الملك بالعدل مع الكفر ولا يبقى بالجور مع الإيمان"(٢) .

فباب العدل لا يمكن إغفاله في السنن الإلهية التي فطر الناس عليها ، فلا يمكن أن يستقيم النظام الاجتماعي مع التفريط في العدل ، وكلّ نظام يخالف العدل ويختار الظلم بديلا عنه يكتب له الزوال ، وإن الظلم الفاحش يعجل بتقويض نظام الحكم الظالم .

العدل من أصول الدين عند الشيعة دون غيرهم

العدل من أصول الدين ، ومن طبيعة أصول الدين أن تكون في قمة الهرم ، حيث تصبغ بلونها كافة حيثيات الدين ، ومن هذه الأصول العدل الذي له هذه الخاصية ، وجعل العدل في قمة الهرم يدل على أن أبواب الدين لا تستقيم إلاّ بالعدل ، ويتميز مذهب أهل البيت(عليهم السلام) باهتمامه بالعدل بصورة لا نجدها في غيره من المذاهب ، حتّى فرقة المعتزلة التي تسمى بالعدلية فهي لا تجعل العدل من أصول الدين ـ فضلا عن الأشاعرة الذين يمثّلون غالبية المذاهب الإسلامية ـ كما لا يوجد من

١- الإرشاد ٢ : ٣٩ .

٢- شرح رسالة الحقوق ١ : ٣٨٥ .

الأديان الأخرى من يهتم بالعدل بالمستوى الذي يهتم به مذهب أهل البيت(عليهم السلام) .

البشرية تتّجه نحو العدل بالفطرة

الآن البشرية تنشد العدل ، وهناك نزوع بشري قوي نحو العدل الذي هو من أصول الدين كما علّمنا أهل البيت(عليهم السلام) ، وهذا نفسه إعجاز علمي باعتبار أن الدين يوافق الفطرة ، والفطرة البشرية تنزع نحو العدل ، ونحن نرى أن ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ليس فيها أي ثغرات أو مؤاخذات ، بل بالعكس أصبحت ثورة الحسين(عليه السلام) منارة من منارات العدل ، والوعي البشري يزداد كلّما قرأ سيرة أهل البيت(عليهم السلام) .

مصادقة الأمم المتحدة على عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

وقد صادقت الأمم المتحدة على عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر ، وهو قانون دون قبل ألف وأربعمائة سنة ، ومع ذلك نرى أن نخبة القانونيين تقف إجلالا للقانون الذي وضعه الإمام علي(عليه السلام) ، وأرباب القانون لا يجدون أي ثغرة فيه رغم الشوط الكبير الذي قطعته القوانين البشرية على الصعيد القانوني والحقوقي . وعهد مالك الأشتر يتعرض بصورة كاملة للنظم السياسية والنظم الحقوقية والنظم القضائية والنظم العسكرية والأمنية والنظم الإدارية في الدولة . والأمم المتحدة رشّحت عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر كمصدر من مصادر القانون الدولي ، وهذا يصب في مصب نزوع البشرية نحو العدل(١) .

تقصير الشيعة في نشر فكر أهل البيت(عليهم السلام)

وفي الواقع إن أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) مقصرين في نشر تعاليم أهل

١- نهج البلاغة ، رسائل أمير المؤمنين ، رقم ٥٣ .

البيت(عليهم السلام) مقصرين في نشر تعاليم أهل البيت(عليه السلام) بلغات مختلفة وإلى البلدان المختلفة ، ولو فعلنا ذلك ووصلت هذه التعاليم إلى ذوي الفكر العلمي الذين يبتعدون عن العصبية لتغيرت الكثير من المعادلات ؛ لأن تعاليم أهل البيت(عليهم السلام)عبارة عن منظومات وإعجاز علمي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ لأنّه فكر معصوم .

عداوة القوى الإقطاعية للعدل

لنتعرض الآن إلى بحث العدل في أدلّته وأُسسه ، حيث تعتبر القوى الإقطاعية والمستبدة من أكثر القوى عداوة للعدل ، ومن هنا نستطيع أن نتعرض للإقطاع الأموي الذي كان يعادي العدل ، وكذلك الرأسمالية الحديثة والدول الغربية التي ترفع العدل كشعار إلاّ أن العدل لا يوجد في طيات فكرها ، وإنّما تنادي بالعدل من أجل تضليل الشعوب لا أكثر ، ومن المثير أنّهم ينادون بما لا يطبقونه وهو العدل ، وهو من أصول الدين عند مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ومن صفات ا تعالى .

شبهة حاجة الحق إلى تشريع قانون

ومن الشبهات التي يطرحها الرأسماليون والإقطاعيون شبهة إعطاء كلّ ذي حقّ حقه ، إذن يحتاج الحق إلى تشريع قانون ، فإذا كان العدل يحتاج إلى تشريع الحق ، والحق يحتاج إلى تشريع قانون فإذن العدل تابع للتشريعات والتقنينات ، والتقنينات أُمور تعاقدية يتعاقد ويتواضع عليها الناس ، أي : إنّها توضع كقوانين من قبل الناس ، بمعنى أن المقنّن إذا لم يقنّن حقّاً معيناً فلا يمكن تحقيق العدالة التي ينبغي أن تكون تابعة لذلك القانون .

شبهة أن العدالة اعتبار أدبي ليس لها وجود خارجي

ويقولون:إن العدالةهي إعطاء كلّ ذي حق حقه،والحق هو اعتبار أدبي، إذن

ليست العدالة أمراً عينياً خارجياً ، وإنّما هي متغيرة ، وليس لها ثبات ، والعدالة تنحصر في التشريعات القانونية التي يشرعها المقنّن ، وبعد أن يشرعها المقنّن تأتي منظومة الحقوق المنبثقة من منظومة القانون ، ومن ثم تأتي العدالة .

وهذه الشبهة هي نوع من اللعبة القانونية لأجل الاستئثار وحرمان الضعفاء، وتصب في مصب تقديس القانون من أجل نشرالظلم والاضطهاد والحرمان.

هل القانون هو مصدر الخير دائماً؟

الغرب اليوم يروج العدالة ، ولكنّه لا يؤمن بها حقيقة ، وإنّما يتلاعب بمفهومها بما يحمله من أُسس ومبادىء ، فيقولون : كل قانون يعتبر خيراً ، أي : أن مصدر الخير هو القانون ، والقانون يصاغ بأيدي الإقطاعيين ، والعدالة أمر متغير ليست أمراً ثابتاً ، وليس لها واقع خارجي ، والواقع الخارجي يتمثّل في المادة والقدرة والطاقة ، أما العدالة فليس لها واقع خارجي ، إذن المطلوب هو تسخير القانون في حماية الإقطاع ، والذي لا يفهم اللعبة القانونية يضيع .

المرجعية للكمال لا للقانون

والرأي الصحيح أن نعتبر "أن كلّ كمال ينبغي أن يكون قانوناً ، لا أن كلّ قانون كمال" فإذن المرجعية يجب أن تكون للكمال والخير لا للقانون ؛ لأن هذا القانون قد يكون جائراً ، فلا خير في قانون ينسف الخير لدى الناس ، ويشلّ الطاقات البشرية .

الكمال والخير هما اللذان يوصلان الناس إلى العدل لا القانون الذي يضعه من يضعه من أجل مصالحه ضارباً بمصالح الناس عرض الحائط ، فالقدسية والمحورية للعدل في منطق القرآن الكريم وأهل البيت(عليهم السلام) ، والكمال هو الخير وهو الذي ينبغي أن يكون قانوناً .

الفساد القانوني

وهناك ميزان لفساد القانون ، ومفهوم الفساد ليس مقتصراً على الفساد الإداري والفساد المالي ، وإنّما ـ أيضاً ـ هناك فساد قانوني ، أي : فساد في التقنين ، وهو الطّامة الكبرى ، فهم يضعون القانون ويقولون : إن كلّ ما يخالف هذا القانون يعد إرهاباً وعنفاً وخروجاً عن الشرعية ، وهم يسخّرون الأدوات القانونية والمحافل القانونية الدولية ضد الإسلام والمسلمين ، وهذا هو ديدن النظام العالمي .

وينبغي علينا أن نبحث عن الفساد القانوني في النظام العالمي ، فهل كلّ من يعارض النظام العالمي يعتبر إرهابياً؟ نعم ، هم يصورون أن الذين يعارضون هذا النظام العالمي أنّهم من الإرهابيين ، ومن الذين يقطعون الرؤوس ، وغير ذلك من الأفعال المشينة ، ويخوفون الشعوب الغربية من المسلمين ، بينما منشأ الظلم هو القانون العالمي المتمثّل في النظام العالمي الجديد ، وهو قانون متعجرف وبذيء يريدون فرضه على العالم ، فهم انطلقوا من أي أصل؟ انطلقوا من أصل أن كلّ قانون عدل .

أما في منطق أهل البيت(عليهم السلام) فإن منطقهم قائم على أن : "بالعدل قامت السماوات والأرض"(١) ، وقال ا تعالى : **{والسماء رفَعها ووضع الْميزان}**(٢) وهناك علاقة بين رفع السماء ووضع الميزان .

الفرق بين القانون العادل والقانون الظالم

إذن ينبغي التفريق بين القانون العادل والقانون الظالم ، ويجب أن نرفض القول القائل أن ما يطابق القانون عدل وما يخالف القانون ظلم بدون البحث عن عدالة

١- تفسير كنز الدقائق ١٢: ٥٥٣، ذيل آية **{وَالَّسمَاءَ رَفَعَهَا }** .
٢- الرحمن (٥٥) : ٧ .

القانون نفسه ، إذن ما يطابق العدل من القوانين يعتبر قانوناً عادلا وما يخالف العدل من القوانين يعتبر قانوناً جائراً وظالماً وغاشماً أسسه الإقطاع والمستأثرون سواء على المستوى الإقليمي أو العالمي .

حسن العدالة وقبح الظلم هل هو أمر حقيقي أم اعتباري؟

ومن الشبهات التي يوردونها ـ وقد أوردها الأمويون من قبلهم ـ : أن حسن العدالة وقبح الظلم هو اعتبار أدبي وليس له واقعية ، بدليل أن كلّ عرف بشري منذ مرحلة الطفولة إلى المراحل الأخرى له أعراف معينة ، وكلّ ما يخالف هذه الأعراف هو قبيح وما يوافقها فهو حسن ، فلو ذهبت إلى الهند ومارست عادات معينة فإن تلك العادات قد تكون قبيحة عندهم ، مع أنّها حسنة عندنا ، ولو قام أهل الهند بممارسة بعض عاداتهم في البلاد العربية قد تكون هذه العادات مستقبحة ، وكذلك بالنسبة لأهل البلاد الغربية أو أتوا إلى البلاد العربية ، ولو ذهب العربي إلى البلاد الغربية بطريقة أكل معينة لاستقبح أهل البلاد هذه الطريقة أيضاً ، فهذه القبائح والمحاسن ليس لها ثبات ، بل هي متغيرة بحسب البيئات .

هل المحرمات والأخلاق تتغير بتغير البيئة؟

إذن فهم يحاولون أن يزرعوا في الفهم الإسلامي أن المحرمات التي حرمها ا تعالى التي تتعلّق بحفظ عفاف المرأة أو المحرمات الأخلاقية التي ترتبط بالرجل أيضاً ، هذه محرمات أخلاقية بحسب بيئة الجزيرة العربية السابقة ، وليست بحسب البيئات الغربية أو الحديثة ، فهم يقولون : إن الأخلاق تتغير بتغير البيئة ، فليس عندنا عدالة أخلاقية ثابتة لا تتغير ، ولا عدالة اقتصادية ثابتة ، ولا عدالة قانونية ثابتة ، ولا عدالة سياسية ثابتة ، أصلا العدالة ليس لها واقعية إنّما هي تتغير بتغير البيئة ، فإذا استطعنا أن نغير البيئة الإسلامية إلى بيئة أُخرى

فينبغي علينا أن نأخذ بأخلاق البيئة غير الإسلامية ، وهذا الغزو الثقافي يستهدف تمييع المجتمعات الإسلامية بحيث تستسيغ وجود الميوعة الأخلاقية والزواج بين المثلين إلى غيرها من مشاكل الانحطاط الأخلاقي ، حتّى أنّهم قد لا يبيحون أموراً منحرفة ، ولكنّهم يقولون : إذا تغيرت البيئة فستكون هذه الأُمور المنحرفة ُأموراً مستساغة وتكتسب الصفة القانونية ، ومن يعارضها حينئذ فهو معارض للقانون وخارج عليه ، وهم يقولون : إن العرب باعتبارهم يعيشون قوة في الغريزة الجنسية فلذلك حرم(عليهم السلام) النظر إلى شعر المرأة ؛ لأنّهم يستثارون بسرعة ، أما غيرهم فالأمر يختلف ، ففي المجتمعات التي ليس لديها قوة في الغريزة الجنسية لا بأس أن يباح النظر إلى شعر المرأة ، مع أن الإحصائيات التي نشرتها جريدة الشرق الأوسط قبل مدة تبين أن أكثر من ٩٠% من الموظّفات الأمريكيات في القطاع الخاص يتعرضن للتحرش الجنسي من قبل الرجال ابتداء من رمش العيون مروراً بسطو الأيدي وصولا إلى الاغتصاب، وهذا يناقض مايقولونه من أن شعر المرأة وجسمها غير مثير لتلك المجتمعات ، وأكبر دولة حققت رقماً قياسياً في اعتداء الآباء على بناتهن هي بريطانيا ، فهم ينقلبون على الفطرة ويدخلون الجحيم ، ومع هذا فإنّهم يدعوننا لدخول جحيمهم .

الشبهة قديمة حديثة

وهذه الشبهة قد ذكرها في الزمان الماضي أبو الحسن الأشعري[1] الذي تتبعه الكثير من المذاهب الإسلامية .

١- كتاب اللمع : ١١٥ . شرح المقاصد ٤ : ٢٨٢ .

شبهة أن المدح والذم يمثّلان اعتباراً أدبياً وليس وجوداً حقيقياً

والشبهة الأُخرى هي أن المدح والثناء يمثّلان الحسن ، والذم يمثّل القبح ، وهذا يمثّل إنشاء أدبياً وليس وجوداً خارجياً .

الدول الغربية تحاول السيطرة على وسائل الإعلام

نحن نرى أن الدول الغربية تحاول السيطرة على وسائل الإعلام ، ويزعجها أي خروج على ما تريد تخطيطه ، ومثال ذلك : منع قناة المنار الفضائية في الدول الأوربية ، والحجاب الإسلامي يمنع في بعض البلدان الغربية ، وهذا لا يمثّل خطأ في نظرهم ؛ لأنّهم يعتبرون أن الثقافة الإسلامية تمثّل خطراً عليهم ، والتضييق على المسلمين في أمريكا ليس ناشئاً من مشكلة ١١ سبتمبر ، وإنّما هو خوف أمريكا على هويتها من الإسلام ، وإن الإرهابيين قدموا خدمة جليلة لأمريكا مكّنتها من محاصرة الإسلام ، وتجميد الأرصدة المالية التي تهدف إلى نشر الإسلام في أمريكا حيث وفّر الإرهابيون الذريعة للغرب لمحاربة الإسلام وتعطيل مشاريعه .

الجواب على هذه الشبهات

الشبهة الأُولى تقول : "إن العدل أمر أدبي ولا وجود له في الخارج" ، وهذه الشبهة قد طرحها أبو الحسن الأشعري منذ ذلك الزمان(١) ، وهذه الفكرة تخدم سلاطين الجور ؛ لأنّهم حين يجورون فإن العدل هو أمر أدبي لا يتناقض مع جورهم ، وحينئذ يجدون مخرجاً من جورهم .

كيف يكون المدح أمراً أدبياً؟ أنت حينما تحمد ا عز وجل فهل هذا الحمد يكون شيئاً أدبياً أم أمراً واقعياً؟

١- كتاب اللمع : ١١٥ . شرح المقاصد ٤ : ٢٨٢ .

وبعبارة أُخرى : نحن نسأل الإقطاع الرأسمالي أو الإقطاع الأموي والعباسي ما الفرق بين الكمال والمدح؟ وما الفرق بين النقص والذم؟ وما الفرق بين الملائم والشيء والحسن؟

يقولون : هناك فرق بين الملائم والشيء الحسن ، وهناك فرق بين الشيء غير الملائم والذم ، وهذه مغالطة انطوت للأسف على جملة من الفلاسفة الإسلاميين لقرون عديدة .

والرد على هذه الشبهة هو : هل إنّك سمعت أن إنساناً يمدح إنساناً لنقص؟ أم أن الإنسان يمدح للكمال ، وإذا كان المدح أمراً أدبياً خيالياً ، كما هو حال بعض الشعراء الذين يصورون الأسود على أنّه أبيض ، والأبيض على أنّه أسود ، فهل هذا يغير من الواقع شيئاً؟ وهل هذا يحول النقص إلى كمال؟ وهل يتحول الجوع إلى شبع؟ وهل يتحول الاضطهاد إلى سلم؟ وهل يتحول الإيذاء إلى راحة؟ وهل يتحول الضيق والخناق إلى حرية؟ المدح والثناء نفس الحمد، فهل نحمد ا ما هو نقص فيه؟

طبعاً لا ، وإنّما نحمده على ما هو كمال فيه ، فلا يمكن أن ينفصل المدح عن الكمال إلاّ من شخص مهرج أو مغالط أو من يتّخذ من الدجل منهجاً ، فإذا كان المدح لصيق العدالة فلا بد أن تكون العدالة ملازمة للكمال ، بل العدالة هي عين الكمال ، إذن العدل أمر واقعي في كلّ المجالات ، والعدالة التي ليست كمالا هي ليست عدالة ، ولا يمكن أن لا يكون الكمال عدلا ، وكيف يكون النقص عدلا؟

الظلم أيضاً ملازم للنقص ، وبالتالي الذم يكون ملازماً للنقص وملازماً للظلم ، وحينئذ لا يمكن أن يكون التعسف قانوناً ، ويجب أن يخضع القانون للكمال ، لا أن يخضع الكمال للقانون ، القانون يجب أن يؤمن الكمال لا العكس ، أي قانون هذا إنّه قانون الغابات وقانون الأنياب وامتصاص الثروات والخيرات ، وحتّى

الحيوانات تمتلك قانوناً معيناً ، وهذا ما نشاهده في الأفلام التي ينتجها الغرب ، حتّى السبعية لها قانون ، فكلّما كان السبع أقوى كلّما تمكّن أكثر ، ولا تستطيع الدول الغربية بإقناع شعوبها بخلاف العدل ؛ لأن العدل أمر فطري ، ولا زالت الشعوب الأوربية ترفض الصهيونية رغم كلّ الجهود والإمكانيات الضخمة من أجل التسويق للصهيونية إلاّ أنّهم اصطدموا بالفطرة عند الإنسان الأوربي .

المحاضرة الرابعة

ضوابط العدل ومنطلقاته

محاور المحاضرة :

أولا : العدالة في القرآن الكريم .

ثانياً : اختلاف الأمر الاعتباري عن الأمر التكويني .

ثالثاً : هل كلّ قانون عدل؟

رابعاً : محورية العدل في خطاب سيد الشهداء(عليه السلام) .

خامساً : تسرب فكرة أن العدل أمر أدبي للفقه الإمامي .

سادساً : الأشاعرة : العدل بمعنى المدح التخيلي الفرضي .

سابعاً : نسأل الأشاعرة : ما هي ضابطة العدل؟

ثامناً : هل الإنسان مركز التقنين أم ا ؟

تاسعاً : العدالة الحقوقية تكوينية وليست وليدة التقنين .

عاشراً : ا جعل للإنسان المعادلة التي تحقق سعادته .

العدالة في القرآن الكريم

إِن ا َ يأْمر بِالْعدل والإِحسانِ وإِيتَاء ذي الْقُربى وينْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْيِ يعظُكُم لَعلكُم تَذَكرون}(١) ، أمر ا بعناوين ثلاثة ، ونهى عن عناوين ثلاثة في هذه

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

الآية ، وفي آية أُخرى قال تعالى : **{شَهِد ا ُ أَنه لاَ إِله إِلا هو والْملائِكةُ وأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقسط لاَ إِله إِلا هو الْعزِيز الْحكيم}**(١) ، فجعل القيام بالقسط مقارناً للشهادة الأولى ، وقال تعالى : **{يا أَيها الذين آمنُوا كُونُوا قَوامين ِ شُهداء بِالْقسط ولاَ يجرِمنكُم شنَآن قَوم علَى أَلا تَعدلُوا اعدلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى واتقُوا ا َ إِن ا َ خَبِير بِما تَعملُون}**(٢) ، وقال تعالى : **{وأَقيموا الْوزن بِالْقسط ولاَ تُخْسروا الْميزان}**(٣) ، فكون العدالة من الصفات الإلهية ، ومن أصول الدين ، ومن أصول المجتمع الديني هذا أمر بين في آيات القرآن الكريم ، والعدل هو العنوان الذي نادى به سيد الشهداء(عليه السلام) ، وكان محوراً من محاور ثورته(عليه السلام) ، وجعله من علل نهضته .

محورية العدل أم القانون؟

تكلّمنا سابقاً عن إشكالية هل العدل هو المدار أم القانون والتقنين هو المدار؟ وهل العدل حقيقة تكوينية واقعية عينية خارجية ثابتة أم أن العدل في أي مجال من المجالات أمر أدبي اعتباري يقنّنه المقنّن في ظلّ اعتبار قانوني يفترض ويعتبر وينشأ ويتعاقد عليه؟

اختلاف الأمر الاعتباري عن الأمر التكويني

الأمر الاعتباري غير الأمر التكويني ، الأمر التكويني له وجود فيزيائي ، ويقابله وجود ما وراء الفيزياء المادية، مثل : عوالم البرزخ وعوالم الآخرة. والوجود الاعتباري في العلوم أمريفترض في الذهن ويتصور،فإذا كان لأجل أغراض ومصالح يكون اعتباراً هادفاً له ثمرات ، ولدينا منظومة من العلوم

١- آل عمران (٣) : ١٨ .
٢- المائدة (٥) : ٨ .
٣- الرحمن (٥٥) : ٩ .

والمسائل تقوم على الاعتبار، فمثلا: علم القانون يقوم على الاعتبار ، وعلوم اللغة جانب كبير منها يقوم على الاعتبار؛ لأن ألفاظ أي لغة لها ارتباطها مع المعنى بتعاقد أبناء تلك اللغة ، وإلاّ فما الرابط بين هذه اللفظة والمعنى؟

فالرابط بين اللفظة والمعنى ارتباط أدبي اعتباري وليس ارتباطاً تكوينياً ، كذلك سائر علوم اللغة من الصرف والنحو والبلاغة والاشتقاق ، كلّ تلك العلوم علوم اعتبارية .

جعلوا العدل أمراً اعتبارياً خدمة لمصالحهم

هذا يقع الكلام في هل أن العدل وأحكام العدل ، مثل : لزوم العدل وضرورة العدل من الأُمور الاعتبارية؟ بمعنى هل أن العدل من الأُمور التي يتّفق عليها الناس ، ويضعونها في قانون كما يشاؤون؟ كما هو حال اللفظ والمعنى حيث يمكن أن يتغير أمرها ، كما غير أتاتورك حروف اللغة التركية من حروف عربية إلى حروف لاتينية .

هذا الجدل في الفكر البشري قديم وحديث ، وأصحاب الإقطاع المالي قد تبنّوا رأي أن العدل أمر اعتباري خدمة لمصالحهم ؛ وذلك تسخيراً للأُمور الفكرية لخدمة مصالحهم المادية ، ومن أجل بسط قدرتهم في المجتمع .

هل كلّ قانون عدل؟

وقد حدث هذا الأمر في اليونان ، كما حدث في أيام حكم بني أمية ، حيث سخّروا العديد من الأقلام والشخصيات العلمية للترويج لمثل هذه الأفكار من أجل خدمة مصالحهم ، وهم يريدون أن يجعلوا العدل أمراً أدبياً اعتبارياً حتّى يكون المدار على القانون ، فيقنّنون ما أرادوا وما يخدم مصالحهم ، ويجعلون هذا القانون ملزماً ، وبذلك تتحقق مصالحهم فتكون العدالة متمثّلة في تطبيق القانون

الذي وضعوه ، والخروج على القانون الظالم في منطقهم خروج على العدالة ـ كما يزعمون ـ وحينئذ يكون المدار على القانون لا العدل، ومن ثم وضعواقاعدة: "كل قانون عدل" ، وهذا القانون عندما يكون بأيدي ذوي القدرة والنفوذ يقنّنون فيه ما يشاؤون ، والخارج على القانون يعتبر خارج عن العدالة ، ويحاسب ، ويكون إرهابياً وعنجهياً وخارجاً عن القانون ، بينما إذا جعلنا العدالة هي المدار فتكون القاعدة "كلّ عدل قانون ، وليس كلّ قانون عدلاً" ، فحينئذ أي قانون من القوانين إذا لم يتوافق مع العدل يكون هباء منثوراً ؛ لأن المدار على العدل .

ومتى يكون المحور هو العدل في الفكر البشري والفكر القانوني والفكر السياسي والفكر الفلسفي والفكر الثقافي؟ يكون العدل هو المدار إذا جعلنا للعدل عينية خارجية ، ورفضنا فكرة أن العدل أمر اعتباري .

محورية العدل في خطاب سيد الشهداء(عليه السلام)

وهذا ما نلمسه في خطابات سيد الشيهداء(عليه السلام) التي كانت تُعنى بتعبئة وعي الأمة بهذه الصحوة ، حيث كان العدل هو المحور في فكر سيد الشهداء(عليه السلام) ، بينما السلطة الأموية كانت تتشبث بقوانين ظالمة وتجعلها هي المدار ، وتجعل سيرة الخلفاء الذين سبقوا هي الشرعية بينما الحقيقة والواقع أن العدل هو المحور ، وسيد الشهداء(عليه السلام) حاول أن ينسف هذه النظرية التي كانت تحاول أن تجعل القوانين هي الحاكمة حتّى ولو كانت قوانين لا صلة لها بالعدل .

تسرب فكرة أن العدل أمر أدبي للفقه الإمامي

مر بنا قولهم : إن العدل أمر أدبي ، والتقبيح للظلم أيضاً أمر أدبي اعتباري ، وقد تسربت هذه الفكرة الخاطئة إلى الفقه الإمامي نتيجة تأثّر بعض فلاسفة الإمامية ، مثل : ابن سينا بهذه الفكرة .

ابن سينا من الفرقة الإسماعيلية

وكان والد ابن سينا من الفرقة الإسماعيلية ، وهي من فرق الشيعة ، وابن سينا كان يتمتّع بنبوغ وقدرة فكرية كبيرة ، وقد ولد بعد قرن من مدرسة أبي الحسن الأشعري الذي تتّبعه أكثر المذاهب الإسلامية من غير المذهب الإمامي ، وقسم آخر من المسلمين يتّبع المذهب المعتزلي .

تأثير ابن سينا على قافلة الفلاسفة من بعده

وكان ابن سينا النابغة الذي وصفه البعض لشدة نبوغة أنّه واحد لا ثاني له ، وإن كنت لا أعتقد فيه هذا ، ولكن من المسلم أنّه نابغة ، مع ذلك تأثّر ابن سينا وقال : حسن العدل وقبح الظلم ليس أمراً بديهياً ، وبعد تأثّر ابن سينا تأثّرات قافلة الفلاسفة من بعده ، وحتّى فلاسفة الإمامية تأثّروا بهذا الرأي ، وتسرب هذا الرأي إلى الكتب الفقهية ، ولكن بحمد ا فإن الأكثرية من الفقهاء لم يتأثّروا بهذه الشبهة .

استقلال المذهب الإمامي عن الأنظمة الحاكمة

وقد سخّرت السلطات الحاكمة هذه الأفكار في خدمة بقائها وسيطرتها على الأمور ، وقد تميز المذهب الإمامي بأنّه مذهب مستقل فكرياً ، ومتحرر من سيطرة الأنظمة الحاكمة .

رأي الأشعري في حسن العدل وقبح الظلم

أبو الحسن الأشعري كان ممن تبنّى رأي أن العدالة ليس لها حقيقة عينية ، وإنّما هي أمر فرضي أدبي .

والحسن له معان ثلاث : المعنى الأول : هو الكمال .

والمعنى الثاني : هو الملائمة ، أي : ما يستحسنه الإنسان ، وأما ما لا يلائمه فهو ما ينفر منه ويستقبحه ، فالملائم حسن للطبع .

والمعنى الثالث: هو المدح ، وقال : إن المدح هو أمر تخيلي فرضي أدبي . وهذه المعاني الثلاثة للحسن يقابلها معاني القبح بمعنى النقص ، والقبح في مقابل الكمال وهو أمر تكويني وليس أمراً افتراضياً أدبياً ، والقبح بمعنى الشيء المنفّر للطبع ، والقبح بمعنى الذم .

الأشاعرة : العدل بمعنى المدح التخيلي الفرضي

وقد بنى الأشاعرة مذهبهم أن حسن العدل يعتمد على المعنى الثالث ، وأنّه ليس بناء على المعنى الأول ولا الثاني ـ حسبما يدعون ـ وقبح الظلم ليس بمعنى النقص ، وليس بمعنى أن الإنسان ينفر ويتبرم منه ، وإنّما هو بمعنى الذم ، بينما الإمام الحسين(عليه السلام) يصرح بهذه الحقيقة المتمثّلة بـ "إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة ، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً"(١) ، أي : أن الظلم أمر تكويني ، والفكر الأشعري يقول أن الإنسان قد يتعود على الظلم فلا ينفر منه ، ويتأقلم ويتعود عليه ، وفي الفكر الغربي أيضاً هو كذلك ، ونحن لا نتكلّم على مستوى الشعارات الغربية ، وإنّما على مستوى الحقيقة الغربية ، حيث الظلم موجود في التمييز العنصري وتفضيل العنصر الأبيض ، وإن لم يكن هذا الأمر معلناً ، ولكنّه موجود .

نسأل الأشاعرة : ما هي ضابطة العدل؟

ومن ثم فإن الأشاعرة بنوا على أن ما أمر ا   به فهو حسن وما نهى عنه فهو قبيح ، أي : أن العدل ليس له حقيقة خارجية ، فليس هناك ضابطة للعدل ، وإنّما الضابطة إذا أمر ا   عز وجل ، ولا يقولون : إن ا   يأمر بغير العدل ، ولكن المبنى عندهم أن العدل نفسه لا يمتلك حقيقة خارجية ، وإنّما أمر ا   هو العدل ونهى ا   هو الظلم بحسب مشيئة ا   ، وربما يستدلّون بهذه الأدلة ، وهي : أنّه ليس هناك

١- ميزان الحكمة ٤ : ١٥١٥ ، الحديث ٩٧٨٥ .

قانون وأدلة تحكم ا   تعالى ، بل هو الحاكم على كلّ القوانين ، وهذا صحيح ، ولكن كيف يتم تفسير "هو الحاكم على القوانين" ، هل المقسود أن القوانين ليس لها سنّة من ذاتها؟

ا   تعالى ، والهدف والغاية

ويشبثون بدليل آخر ، وهو : أن ا   تعالى غني عن اتّخاذ الهدف والغاية ، والفاعل إنّما يفعل شيئاً لهدف أو غاية ، ولكن ا   غني عن الغاية ، وأن ا   يفعل ما يفعل ليس لغاية ؛ لأنّه غير محتاج إلى الغاية ، فالحكمة هي ما فَعلَ ا   تعالى ، لا أن هناك غاية من البدء يسير الفعل الإلهي نحوها .

العدالة ، وتعذيب البريء ، والإنعام على المجرم

ويقولون : "لو عذّب ا   المقتول البريء لكان ذلك هو العدل ، ولو أنعم على السفّاح الغاشم لكان ذلك هو العدل ، لكن سنّته جرت أن ينعم على المظلوم ، ويعذّب الظالم باعتبار أن ا   مالك كلّ شيء ولا يملكه شيء"(١) ، وفي ظلّ هذه الأدلة التي ذكروها نشأت مدرسة القدرية ، وهي مدرسة قديمة ، ولكنّها تبلورت بعد ذلك بصورة أوضح ، وحاولوا تطعيمها بأُطُر علمية في ظلّ المدرسة الأشعرية .

هل ما يقع تكويناً يوافق إرادة ا   ؟

يزيد عندما خاطب العقيلة زينب(عليها السلام) كان يخاطبها من منطلق أن ا   أعطاه الملك ، واستناداً إلى هذا المنطق ، وهو أن ما يقع تكويناً هو الصحيح ، وهو الموافق لإرادة ا   .

وهذه الشبهات توجب ضعف الأُمة وإجهاضها وتخاذلها تجاه قضاياها

١- راجع أدلة الأشاعرة هذه والردّ عليها إلى دلائل الصدق ٢ : ٣٤٦ ، ٤٣١ .

الإسلامية ، وفي خطاب عبيد ا بن زياد للعقيلة(عليها السلام) : "كيف رأيت صنع ا بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت : ما رأيت إلاّ جميلا ، هؤلاء قوم كتب ا عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم ، وسيجمع ا بينك وبينهم فتحاج وتخاصم ، فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك اُمك يابن مرجانه"(١) ، فهو ينطلق من هذا المنطلق ، ولو قلنا بهذا المنطق فسيكون قتل الأنبياء شيئاً صحيحاً وشيئاً يريده ا ؛ لأنّه أمر تحقق في الخارج ، وكان حقيقة لا يمكن نكرآنها، وهذا التفيسر غير الصحيح للقضاء والقدر يعتبر أن ما يقع هو الصحيح ؛ لأن ا لا يفعل إلاّ ما هو حسن ، وهذا فعل ا ، إذن هذا الفعل فعل حسن ، ومن ثم نشأت مدرسة الجبرية ومدرسة القدرية والمرجئة ، وهذا الاتّجاه يخلط الحابل بالنابل في الموازين العقائدية والقانونية والحقوقية ، وهذه المدرسة تخدم السلطات الظالمة بفكرها الذي يبرر الظلم ، ومن ثم فقد عمدت السلطات الظالمة للترويج لهذه الأفكار .

خطورة دعم السلطات الظالمة للأفكار المنحرفة

وعندما جاء ابن سينا كان يدور جدل في أن حسن العدل وقبح الظلم أمر بديهي أم أمر فرضي؟ فقال : ابن سينا : إن العدل أمر اعتباري فرضي وليس أمراً بديهياً حقيقياً ، وهنا تتبين خطورة دعم السلطات الظالمة للأفكار غير المستقيمة وآثارها الخطيرة على الأمة .

إعداد الأئمة للكوادر الثقافية لمواجهة الفكر المنحرف

الأئمة(عليها السلام) خلال الفترة التي عاصروا فيها الحكومات الظالمة ناهضوا تلك الحكومات ، التي كانت تمثّل الدولة العظمى ، ومع ذلك استطاعوا ـ رغم تلك

١- بحار الأنوار ٤٥ : ١١٥ ، تاريخ الحسين بن علي سيد الشهداء(عليه السلام) ، باب الوقائع المتأخّرة عن قتله(عليه السلام) .

الظروف الصعبة ـ أن يربوا طائفة من الأُمة على الوعي العقائدي الثقافي المبني على الأُسس السليمة ، وهذا الأمر بمثابة المعجزة التي تحققت رغم الإمكانيات الضخمة التي تمتلكها الأجهزة الحاكمة آنذاك .

أثر أخلاقيات أهل البيت(عليهم السلام) على شيعتهم بعد عدة قرون

نلاحظ أن بعض البدو والفلاّحين الشيعة ، كما هو واضح في شيعة العراق الطيبين البسطاء ، لديهم من الأخلاقيات التي اكتسبوها من أهل البيت(عليهم السلام) ما لا يمتلكه الكثير ممن دخلوا الجامعات وعاشوا الحضارات ، ونلاحظ أن الشيعة لا يستحلّون دماء الآخرين وإن اعتدي عليهم ، وهذا ما يحصل في العراق اليوم ، وهذه التربية المثالية هي تربية أهل البيت(عليهم السلام) ، وهذه التربية التي يعيشها الشيعة في العراق ليست تربية المرجعية في النجف فحسب ، وإنّما هي تربية موروثة من الأئمة(عليهم السلام) ، هذا في وقت الذي نرى فيه أن لغة القصاص والانتقام هي اللغة السائدة في كلّ مكان ، وفي كلّ يوم يراق الدم الشيعي في العراق ، ولا زال الشيعة ـ هناك ـ يفتحون باب الحوار ، وهذه هي تربية سيد الشهداء(عليه السلام) ، والشعارات التي يطلقها الغرب ، من الذي يجسمها ويجسدها؟ أتباع مذهب أهل البيت(عليهم السلام) هم الذين يجسدون هذه الشعارات الإنسانية ، وهذه ظواهر برهانية وإعجازية ؛ لأن البشرية التي وصلت إلى هذا الأفق من الشعارات والقوانين التي تنادي بها ، من الحرية والسلم المدني والمحافظة على حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية ، يأتي هذا المجتمع البسيط على سجيته وفطرته يجسد كلّ هذه المعاني العالية .

العدل له وجود تكويني

الآن سننطلق للمحور الأول لبحث العدالة الاجتماعية ، فنقول : إن العدل من أصول الدين ، وهل من الممكن أن تكون أصول الدين أموراً اعتبارية؟! والعدل

الذي هو صفة من صفات ا ، هل من الصحيح أن تكون هذه الصفة أمراً اعتبارياً؟! بل صفات ا أُمور تكوينية ، إذا كان في صميم اعتقادنا وبداية رؤيتنا أن العدل صفة كعلم ا وكحياة ا وكقدرة ا وغيرها من الصفات الفعلية والذاتية هذه الصفات من صميم التكوين ، إذن العدل له وجود تكويني ، كما في منطق أهل البيت(عليهم السلام) الذي يقول : "بالعدل قامت السماوات والأرض"(١) .

المدح الصادق يلازم الكمال ، والذم الصادق يلازم النقص

المدح غير الكمال هذه المغالطة طرحها الأشعري ، وهل يمكن للإنسان أن يمدح النقص؟! وهذا يستلزم أن ننكر الكمال وننكر النقص ، وننكر كلّ هذه الأُمور الخارجية ، وكذلك الأمر بالنسبة للذم فلا يمكن أن نفكّك بين الذم والنقص ، الإنسان يدرك الكمال ، ومن ثم ينجذب المدح للكمال ، والمدح يعتبر إخباراً صادقاً عن الكمال ، هذا إذا كان المدح صادقاً ، أما إذا كان كاذباً فهو ليس كذلك ، والمدح الصادق يعبر عن تقرير علمي مطابق للحقيقة ، والمدح معلومة من المعلومات تنبىء عن الكمال ، والذم الحقيقي هو معلومة صادقة تُنبىء عن النقص .

الحقوق الإلهية قبل سن القانون

والذين قالوا : إن من دون القانون لا ترسم الحقوق ، ومن دون رسم منظومة الحقوق لا يستتب العدل ، كلامهم هذا ينطوي على مغالطة ناشئة من وجود حقوق اعتبارية بعد رسم منظومة القانون ، يعني : وليدة للقانون ، لكن هناك منظومة للحقوق هي في الواقع قبل القانون ، يعني : حقوق إلهية تكوينية .

١- تفسير كنز الدقائق ١٢ : ٥٥٣ ، ذيل آية **{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا}** .

لابد من نظرة شاملة لحقوق الإنسان

نحن لسنا ماديين حتّى نحصر الحقوق في حقوق الطبيعة ، ولسنا غرائزيين وجنسيين حتّى نحصر الحقوق في الحقوق الغرائزية ، بل نسلّم برؤية تكوينية بأن الإنسان ذو طبقات متعددة ، فيه الغرائز الجنسية ، وفيه العقل ، وفيه الوهم ، وفيه الخيال ، وفيه القلب ، وفيه الضمير ، وفيه الوجدان ، وهو شبيه بمنبنى ذي طبقات ، وكلّ قوة من قوى الإنسان لها حقوق ، وليس من الصحيح أن ننظر إلى طبقة من طبقات الإنسان ونهمل باقي الطبقات ، وهذه الرؤية تؤثّر في اُسس الحقوق واُسس القانون بين المدرسة الإسلامية والمدرسة الغربية ، وبين المدرسة الإمامية والمدارس الاُخرى ، هذه كلّها اُسس للانطلاق .

العدل في تنمية قوى الإنسان

فمثلا : من العدل أن ينمي الإنسان كلّ قواه ، ولا ينمي قوة على حساب القوى الاُخرى ، فليس من الصحيح أن ينمي الجانب الغريزي ويهمل الجوانب الاُخرى كالجانب العقلي ـ مثلا ـ أو إذا اهتم بالجانب العقلي فيجب أن يعطي الجانب الغريزي حقّه أيضاً .

هل الإنسان مركز التقنين أم ا ؟

إما أن نجعل الإنسان مركزاً للتقنين والحقوق ، أو نجعل المنطلق في تقنين الحقوق هو ا عز وجل ، والصحيح ـ طبعاً ـ في النظر الإسلامي أن يكون المنطلق هو ا عز وجلّ وليس الإنسان ، وهذا فرق بين الرؤية الحقوقية الإسلامية وبين الرؤية الحقوقية غير الإسلامية ، أو بتعبير أدق هناك فرق بين الرؤية الحقوقية الإديانية التي تشمل اليهود والنصارى الذين من المفترض أن يجعلوا محور

الحقوق هو ا تعالى، وبين المدارس الوضعية التي جعل الإنسان هو مدار الحقوق .

إهمال الماديين لروح الإنسان

ويا ليتهم يضعون الإنسان بكلّ طبقاته نصب أعينهم ، بل هم يهتمون بالطبقة البدنية من الإنسان ويهملون باقي الطبقات الروحية والعقلية ، وإن كانت هناك مدارس روحية غربية قد خطت خطوات كبيرة في هذا الجانب ، إلاّ أن هؤلاء الماديين لا يعترفون بالروح ، فهم في صراع دائم مع الحالة الروحية والوجدانية ، وفي سنة ٢٠٠١ أعلنت الأمم المتحدة أن شعارها هو مقاومة الأمراض الروحية والعقلية ؛ لأن أكبر نسبة من الأمراض الروحية والعقلية وقعت في الغرب بشكل مذهل وحدث ولاحرج،والأرقام تقرأ في كلّ يوم عن الأزمات الروحية التي يمر بها العالم الغربي، مثل : تفشّي الجريمة ، وتفكّك الأُسرة ، وتقطّع الأوصال الروحية ، وما شابه ذلك أرقام كبيرة .

النظرة غير المتوازنة للإنسان كارثة

ومنشأ هذه الأزمة أنّهم جعلوا مدار الحقوق هو الإنسان ، مع إغفالهم لبعض طبقات الإنسان ، وتركيزهم على طبقات اُخرى ، إذن هناك حقوق اعتبارية ، وهناك حقوق تكوينية لا تحتاج إلى تقنين .

سلبيات جعل الإنسان هو المدار في التقنين

الغرائز لها نقائص ولها كمالات ، هل كمال كلّ قوة ينكر؟ لا ، هل نقص كلّ قوة ينكر؟ لا ، سواء كاف من قوى الطبيعة .

الآن هم يحاولون أن لايجعلوا الإنسان وحده مداراً للحقوق، بل يضيفون إليه

الطبيعة الخضراء والطبيعة الحيوانية والهوائية والنباتية وما يحيط بالإنسان من كائنات أُخرى في هذه المنظومة الحقوقية ، ولو يفتح للإنسان الباب على مصراعيه سيدمر الطبيعة التي تحيط به ويعيش فيها ، وبالتالي سيدمر نفسه بيده ، والسبب هو عدم وجود توازن في مدار الحقوق والتقنين .

العدالة الحقوقية تكوينية وليست وليدة التقنين

إذن العدالة الحقوقية ليست وليدة التقنين ، وفي الأساس العدالة الحقوقية تكوينية ؛ ولذلك هم يلمسونها بأنفسهم بأن تشريع حقّ الصناعة بلغ ما بلغ سيدمر لنا البشرية ، وتشريع الاستئثار بالمال سينحر الطبقات المحرومة في المجتمع ، وسيخلق الإرهابيين والعنف ، وإذا جعلنا التقنين الخاضع للميول والمصالح هو المدار فعلينا أن نتحمل التبعات والآثار السلبية ، إذن العدالة لها وجود تكويني ، والحقوق لها وجود تكويني .

ا جعل للإنسان المعادلة التي تحقق سعادته

العدالة هي وصول كلّ ذي كمال إلى كماله ، وذو الكمال الذي نعنيه : أنّه غير متوفّر على الكمال الآن .

ا تعالى هو محور العدل ؛ لأنّه عالم بالخلق : **{ألاَ يعلم من خَلَقَ وهو اللطيفُ الْخَبِير}**(١) ، ا جعل المعادلة التي توفّر السعادة للإنسان وهو أعلم بها ، ومن هنا جاء الحديث الذي يقول : "لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت"(٢) ، وقال أبو

١- الملك (٦٧) : ١٤ .
٢- الكافي ١ : ١٧٩ ، الحديث ١٠ ، كتاب الحجة ، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجه .

الحسن(عليه السلام) : "إن الأرض لا تخلو من حجة"(١) ؛ لأن البشر لا زالوا يعيشون النقص ، ويكتشفون أنّهم مخطئون ، ولكن المعصوم لا يخطىء ، ولولا وحي ا والعلم اللدنّي عند الأئمة لحفظ الأرض لساخت الأرض بمن عليها .

١- الكافي ١ : ١٧٩ ، الحديث ٩ ، كتاب الحجة ، باب أنّ الأرض لا تخلو من حجة .

المحاضرة الخامسة
العدالة والتوازن ورأي الأكثرية

محاور المحاضرة :

أولا : الأرحام تتجاوز الأسرة إلى العشيرة والقبيلة .

ثانياً : العدالة والسعادة .

ثالثاً : الأفعال الإلهية تنطلق من موازين دقيقة جداً .

رابعاً : لابد من التوازن في كلّ علاقة .

خامساً : لا ينبغي أن تُحكم الأعراف على العدالة .

سادساً : الأكثرية ليست دائماً حليفة الصواب .

سابعاً : متى نحتاج إلى الاعتبار القانوني في إدراك العدالة ؟

ثامناً : بنية الحقوق التكوينية قبل مرحلة التقنين .

تاسعاً : ملكية ا   وملكية الرسول وذي القربى .

عاشراً : سيطرة الإقطاع الأموي على المناصب الحساسة .

الأرحام تتجاوز الأسرة إلى العشيرة والقبيلة

قال تعالى : **{إِنّ ا َ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(١) ، كما مر بنا أن هذه الآية تشير إلى أصول

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

النظام الاجتماعي وأصول العدالة الاجتماعية ، وهي ثلاثة أصول ركّزت الآية عليها ، وهي العدل والإحسان وصلة الأرحام ، وصلة الأرحام ليست فقط في نطاق الأسرة خلافاً لما ينادى به هذه الأيام من أن العشيرة لا محلّ لها في الحياة العصرية الحديثة ، وأن دية العاقلة كانت مناسبة لذلك المجتمع القديم في الجزيرة العربية باعتباره مجتمع عشائر وقبائل ، وليست مناسبة للحياة العصرية الحديثة ، وقد تأثّر بعض من هو في وسطنا التخصصي بمثل هذه الشبهات ، القرآن الكريم يؤكّد أن صلة الأرحام مهمة جداً ، وهي تشمل العشيرة والقبيلة ، ولا تقتصر على الأسرة ، ولقد عفا أمير المؤمنين (عليه السلام) عن بعض القبائل التي في العراق ، والمنحدرة من الجزيرة العربية ، فيما له الحق في العفو ضمن صلاحياته ، وعلل ذلك بقوله : "لرحم لهم تمسني" ، مع أنّها شجرة طويلة من الأفخاذ النسبية .

صلة الأرحام من أجل التكافل الاجتماعي

القرآن الكريم لا يعزز النزعة القبائلية والعشائرية ، وإنّما يعزز التكافل الاجتماعي في هذه العشيرة أو تلك القبيلة ، الحسين(عليه السلام) كان قد نادى بالعدالة الاجتماعية ، والآية المذكورة وثيقة الصلة بالعدالة الاجتماعية ، مضافاً إلى أن العدل أصل بنيوي ، فضلا عن أن يكون أصلا اعتقادياً أو أخلاقياً في كلّ الأبواب .

التعصب الإيجابي والتعصب السلبي

الآية لم تقتصر على الأسرة ، وإنّما أطلقت لفظ ذي القربى ، وهي تهدف إلى أن تقوي الأواصر والصلة بالأرحام ، أما العصبية الممقوتة فتتبين من خلال هذا الحديث ، حيث سئل علي بن الحسين(عليهما السلام) عن العصبية ، فقال : "العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين ، وليس من

العصبية ، أن يحب الرجل قومه ، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم"(١) ، إذن إذا تعصبت لقومك حرصاً على خدمتهم أو أداء حقوقهم أو المطالبة بحقوقهم فليست تلك عصبية، بل هي نزعة غرسها ا في الإنسان.

الحسين في مواجهة الظلم

فالآية الكريمة تؤكّد على ثلاثة أصول إيجابية في مقابل ثلاثة أصول مدمرة للمجتمع المتمثّلة في قوله تعالى **{وينْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْى}**(٢) ، وقال أبو عبد ا الحسين(عليه السلام): "عباد ا إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون،أعوذ بربي وربكم من كلّ متكبر لايؤمن بيوم الحساب"(٣)، الحسين (عليه السلام) يطلب العون والمدد من ا في مواجهة الاستكبار والظلم .

العدالة والسعادة

انتهينا إلى أن العدل له واقعية وحقيقة ، وأن بالعدل يقنّن القانون ، ومن الخطأ أن يكون القانون هو المحور بدلا من العدل ، وهناك من يطرح أن العدل هو أنشودة وسيمفونية الضعفاء والمحرومين ، أما الأقوياء فلا ينشدون العدالة ، وإنّما ينشدون القانون ، وقد قلنا : إن العدل له واقعية ؛ لأن العدل هو وصول كلّ ذي قابلية إلى كماله المنشود أو كماله المقرر في التكوين من قبله تعالى ، ا قرر لكلّ موجود مسيراً للوصول إلى كمال معين .

وسنرى أن هناك نوعاً من التقارب بين السعادة والعدالة ، وهل أن السعادة هي العدالة أم أن لها تعاريف أُخرى؟ باعتبار أن العدالة هي التي تؤمن وصول كلّ ذي

١- ميزان الحكمة ٥ : ١٩٩٢ ، الحديث ١٣٠٣٨ .
٢- النحل (١٦) : ٩٠ .
٣- الكامل في التاريخ ٤ : ٦٣ .

كمال إلى كماله ، والكمال أمر ملائم للإنسان فيه الراحة وفيه السعادة ، ووصول الإنسان إلى كمال يعتبر حقاً طبيعياً وفره ا تعالى للإنسان ، وهذا الأمر لا يحتاج إلى قانون ، والمفروض أن يكون القانون هو فرع للعدالة البشرية ، والعدالة هي وصول كلّ ذي قابلية إلى كماله المنشود ، والعدالة مرتبطة بعناصر تكوينية ، فالعدل لا يتوقف على وجود جمعية وطنية أو برلمان أو دستور أو غير ذلك ، ومن ثم يكون الإجحاف والحرمان والاضطهاد أُمور ملموسة تكوينياً عند أفراد المجتمع ، وضع الدستور أم لم يوضع ، رسم الدستور الطريق الصحيح أو لم يرسم ، إذن العدالة ليست أمراً اعتبارياً فرضياً ، وإنّما العدالة أصل .

الأفعال الإلهية تنطلق من موازين دقيقة جداً

وفي الشبهة الثالثة قالوا : إن ا يفعل ما يفعل ، كيفما يشاء ، ولا يحكم ا عز وجل قانون معين ، بل هو يخلق القوانين الكونية ـ فضلا عن القوانين غير الكونية ، وهي القوانين الاعتبارية والفرضية ـ هذا صحيح ، ولكن هذا لا ينفي وجود موازين مخلوقة من ا عز وجل ؛ لأن نفس الذات الإلهية هي أعلى ما يمكن أن يكون من نظام في المعرفة بالنظام الربوبي ، وإذا أردنا أن نجد نظاماً متكاملا ضمن موازين لا متناهية في الدقّة فهو نفس الذات الإلهية ، والذات الإلهية لها أسماء وصفات ، وقد ورد في الدعاء "وأيقنت أنّك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة ، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة ، وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمة"(١) ، ففي موضع معين أي الاسمين يحكم ، هل هو اسم الرحمن أم اسم المنتقم؟ القابض أم الباسط المحيي أم المميت؟ وكلّ هذه الأُمور تمثّل نظاماً ، وليس الأمر أمراً اعتباطياً .

١- دعاء الافتتاح .

لابد من التوازن في كلّ علاقة

{الرحمن* علم القُرآن* خَلَقَ الإِنسان* علمه البيان* الشمس والقمر بحسبان* والنجم والشجر يسجدان* والسماء رفعها ووضع الميزان* ألا تَطْغَوا في الميزان* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تُخْسروا الميزان}(١) ، فالتوازن مطلوب في كلّ علاقة ، وفي كلّ تعامل ، وفي كلّ شيء ، وهذا التوازن مطلوب حتّى في علوم الكيمياء والفيزياء في المعادلات الكيميائية والفيزيائية ، فهذا التوازن له صيغة وإطار وقالب ، قال أمير المؤمنين(عليه السلام) : "بالعدل قامت السماوات والأرض"(٢) .

إذن كلّ ما طابق العدل ينبغي أن يكون قانوناً ، وليس كلّ قانون يجب أن نعتبره عدلا ، ويجب أن لا تنطلي علينا هذه المغالطة ، والقانون ينبغي أن يرسم السعادة للبشرية ، فكيف تُرسم السعادة للبشرية بغير العدل إذا كان هذا القانون يخالف العدل؟!

لا ينبغي أن تحكم الأعراف على العدالة

أما الأعراف فهي قوانين ، وقد لا تكون مكتوبة ، ولكن ثقافة المجتمع مبنية عليها ، فمن الأمثلة التي يمكن أن نطرحها هنا هي : مسألة الرئيس في الدول الأوربية ، فلا يوجد قانون مكتوب يمنع وصول الأسود إلى سدة الحكم ، ولكن من المستحيل أن يكون الأسود رئيساً لدولة أوربية ، والسبب هو العرف ، فالعرف له قوة كبيرة يطبقها المجتمع ، حتّى لولم يكن هذا العرف مدوناً ، إذن الأعراف تمثّل قانوناً نافذاً متجدراً أقوى نفوذاً من القانون المكتوب ، وهذه الأعراف هي كذلك ما دامت هي قانون على النحو التطبيقي الفعلي ، ولكن يجب أن لا تحكم على

١- الرحمن (٥٥) : ١ ـ ٩ .
٢- تفسير كنز الدقائق ١٢ : ٥٥٣ ، ذيل آية **{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا }** .

العدالة ، مع أنّها متجذّرة ويرتبط بها المجتمع بشدة ، وتحكيم العدالة ينطلق من منطلق أنّها تكوينية ، أما الأعراف فإنّها أُمور اعتبارية يتواضع عليها المجتمع ، وتختلف من مجتمع لآخر .

الأكثرية ليست دائماً حليفة الصواب

في النظرية الإسلامية ، لا سيما في فكر أهل البيت(عليهم السلام) إن الأكثرية ليست دائماً حليفة الصواب ؛ لأن هذه الأكثرية قد تبنى على أعراف مريضة ، وقد تشكّل هذه الأعراف أغلالا للمجتمع ، قال تعالى : **{الذين يتبعون الرسولَ النبى الأُمى الذي يجدونَه مكْتُوباً عنْدهم في التوراة والإِنجيل يأْمرهم بالْمعروف وينْهاهم عن الْمنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الْخَبائِثَ ويضع عنْهم إِصرهم والأَغْلالَ التي كانَتْ عليهم فَالذين آمنُوا به وعزروه ونَصروه واتبعوا النور الذي أُنزِلَ معه أُولئِك هم الْمفْلحون}**(١) ، فالأعراف المريضة تمثّل إصراً وأغلالا ، وقد خلّص الرسول(صلى ا عليه وآله)مجتمعه من هذا الإصر وهذه الأغلال ، وهذا الدور سيمارسه الإمام الحجة بن الحسن عجل ا فرجه .

الأعراف قد تخرج عن نطاق الفطرة

هناك هوة كبيرة بين الشعارات التي ترفعها الشعوب والحكومات الغربية وبين الأعراف السائدة عندهم. نعم، هم بشر ولديهم فطرة إنسانية، ولكن هذا لاينفي وجود الأعراف الخارجة عن الفطرة بصورة قوية في ذلك المجتمع .

الإدراك العقلي للعدالة له حدود

العدالة في كلّ مجالاتها السياسية والمالية والاجتماعية وغيرها لها بعد

١- الأعراف (٧) : ١٥٧ .

تكويني بحيث يدركها العقل وتدركها الفطرة الإنسانية ، ولكن هذا الإدراك له حدود ، وما وراء تلك الحدود يقصر العقل وتقصر الفطرة عن إدراك العدالة ، وحينئذ تأتي الحاجة إلى الاعتبار القانوني .

متى نحتاج إلى الاعتبار القانوني في إدراك العدالة؟

إذن تأتي الحاجة إلى الاعتبار بعد أوليات وبديهيات الفطرة الإنسانية في إدراك العدالة ، وفي حسن العدل وقبح الظلم ، وحسن الصدق وقبح الكذب ، وحسن الإحسان وقبح الإساءة ، وهي مجموعة من الأُصول السلوكية التي تدركها الفطرة ، بعد ذلك تأتي الحاجة إلى الاعتبار القانوني ؛ لأن هناك أفعالا غير واضحة في النظام الاجتماعي والنظام الفردي والنظام الأسري ، ولابد لأهل الخبرة في تنظيم النظام الاجتماعي بأن يتدخّلوا لبيان العدالة في هذه الأُمور ، سواء على صعيد البشرية أو على صعيد الإدارة والتدبير .

التقنين الإلهي والتقنين الوضعي

وهذا التقنين قد يكون بشرياً وضعياً ، وقد يكون إلهياً سماوياً ، والشرع يحترم العقل في الوصول إلى العدالة ، ويسمى بـ "بناء العقلاء" ، ولكن هذا يكون في مساحات معينة ، وبعد هذه المساحات يصل العقل إلى مساحات لا يدرك فيها العدالة ، وهنا لابد من صوابية الرؤية الكونية بحيث يكون الإيمان بوجود خالق للكون والبشر .

بنية الحقوق التكوينية قبل مرحلة التقنين

وهنا البحث حساس جداً،فالعدل يرسم لإعطاءالحقوق قبل مرحلة التقنين،وهنا بنية الحقوق التكوينية ، فهل بنية الحقوق التكوينية منطلقها البارىء سبحانه

وتعالى أو منطلقها الإنسان هناك عدة مدارس ، منها : المدرسة الإنسانية أو المدرسة الذاتية ، وهي : مدرسة تنطلق من ذات الإنسان بغض النظر عن النظام الاجتماعي .

الرؤية الإسلامية للعدالة

وهنا يبدأ البحث في كيفية الوصول إلى العدل في النظرية الإسلامية ، عندنا أنّه بدون جعل المالكية والحق الأول لن تستتب العدالة بتاتاً في البشر ؛ لأن نظام التكوين يبدأ من ا ثم إلى خلقه ، فلابد أن نظام الحقوق ونظام التقنين ونظام التدبير يتطابق مع نظام التكوين ، وإذا تطابق فستكتب العدالة، وتتحقق السعادة للإنسانية ، وإذا تم مخالفة هذا الأصل الأصيل الذي ترتكز عليه العدالة فلن تعيش البشرية السعادة أبداً ، وستخسر البشرية السعادة .

الملكية الحقيقية

والملكية بالذات وقبل كلّ شيء سبحانه وتعالى ، ولذلك قال سيد الشهداء(عليه السلام) : "أعوذ بربي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب"(١) ، وهنا يشير سيد الشهداء إلى أن الظلم السائد في النظام الاجتماعي آنذاك بسبب عدم تحكيم هذا الأصل الأصيل ، وهو مالكية ا للكون وما فيه .

الظاهرة اليزيدية والظاهرة الأموية تمثّلان المدرسة الذاتية التي لا تنطلق من أن مالك الملوك هو ا ، وإنّما تضع في هذا الموضع شخصاً آخر ، ومنهج أهل البيت(عليهم السلام) يرتكز على أن الملك والحق لا للفرد، وإذا سلّمنا أن الملك للّه والحقّ للّه فإن كلّ قانون وكلّ مبدأ لا ينطلق من التشريع الإلهي فهو فاقد

١- الكامل في التاريخ ٤ : ٦٣ .

للمصداقية والشرعية ، ولا يمثّل قانوناً عادلا .

لا تتحقق العدالة من خلال المدرسة الذاتية أو الإنسانية

وإذا جعل المحور هو الذاتية أو الإنسانية فلن تكتب العدالة للبشرية ، الآن توجد مافياً المخدرات ومافيا الجنس ومافيا السلاح التي تنشأ من الإقطاع الدولي الذي يفتح باب الحروب من أجل أن يسوق سلاحه ، ومن أجل الربح ، ومن خلال ممارسة الجنس غير المشروع يفتح هذا الباب الذي يهدم أخلاقيات الأسرة والمجتمع ، وتربك السلامة الروحية والصحة البدنية والأمن الاجتماعي ، وليكن كلّ ذلك ، المهم أن يربحوا من هذا الفساد الأخلاقي ، وكذلك المخدرات التي تشل الطاقات البشرية والعلمية والعقلية عند شرائح كبيرة من المجتمع ولتذهب البشرية للجحيم ، المهم أن يربحوا ، وليكن بعد ذلك ما يكون .

ملكية ا وملكية الرسول وذي القربى

إذن الأصل الأول في كلّ الحقوق يتبين من خلال هذه الآية في سورة الحشر ، يقول ا تعالى : **{ما أَفَاء ا ُ على رسولِه من أَهلِ الْقُرى فَلله ولِلرسولِ ولِذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكينِ وابنِ السبِيلِ كَي لاَ يكُون دولَةً بين الأَغْنياء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا واتقُوا ا َ إِن ا َ شَديد الْعقَابِ}**(١) ، الثروات الطبيعية ، بل كلّ الثروات هي ملك تعالى ، واللام الواردة في الآية الكريمة هي لام الملكية ، وتصرف وملكية ذي القربى ليست ملكية قيصرية أو كسروية ، قال تعالى : **{ولِذي الْقُربى والْيتَامى}** ، ولم يقل ولليتامى ، ليبين أن المصرف سيكون للطبقات المحرومة توزيعاً عادلا ، قال تعالى : **{كَي لاَ يكُون دولَةً بين الأَغْنياء منكُم}** ، أي :

١- الحشر (٥٩) : ٧ .

كي لا يكون حقّاً مستأثراً عند هؤلاء الأغنياء يتداولونه بينهم .

الحق ثم للرسول ثم لذي القربى

إذا أرادت البشرية أن لا يستأثر أُولي القوة والنفوذ عليها يجب عليها الرجوع إلى مبدأ : "إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون ، أعوذ بربي وربكم من كلّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب"(١) فالحق ثم للرسول ثم لأُولي القربى ، لِم؟ لكي تستتب العدالة ؛ ولكي لا يكون المال دولة بين الأغنياء منكم ؛ ولكي تتهيأ فرص للمحرومين حتّى ينالوا حقهم ، وا عندما يعطي شخصاً ما ثروة يعطيها إياه لكي يكون عنصراً فعالا في المجتمع لا لكي يحتكر هذه الثروة ، ويمنع الحقوق الشرعية التي يستحقّها أهلها .

سيطرة الإقطاع الأموي على المناصب الحساسة

والقرآن يتحدى البشرية أن العدالة لن تستتب إلاّ إذا كان أُولوا القربى هم أصحاب التدبير ، وهذا ما شاهدناه في التاريخ ، فلما أتى الخليفة الأول بدأ التمييز في العطاء بين المسلمين ، وبين زوجات النبي وغيرهن ، وبدأت سياسة التفريق في العطاء(٢) ، وبدأ إدخال الإقطاع الجاهلي الأموي القديم ، حيث ولّي يزيد بن أبي سفيان على الشام ، وهو أخو معاوية بن أبي سفيان ، وهو من الطلقاء ، ويولّى على قطاع كبير من البلاد الإسلامية ، مما أسس للإقطاع بصورة قوية في المجتمع الإسلامي ، وبعد أن مات يزيد بن أبي سفيان تم تولية معاوية بن أبي سفيان إرضاء لشجرة الإقطاع الأموي في عهد الخليفة الثاني ، وتم تولية الطلقاء في مناصب حساسة ، وفي قيادة الجيوش الإسلامية فعاد الإقطاع بأشرس ما يمكن ، إلى أن

١- الكامل في التاريخ ٤ : ٦٣ .
٢- من حياة الخليفة عمر بن الخطاب : ١٨٠ .

وصلت النوبة إلى يزيد بن معاوية الذي شرب الخمر واستحلّ الدماء وهدم الكعبة ، وصار لهذه الطبقة الإقطاعية الأولوية حتّى على المهاجرين والأنصار في تولّي المناصب الحساسة .

تطبيق العدالة من خلال دور ذوي القربى

وفي المقابل تم التضييق على الموالي غير العرب فمنعوا من الزواج من العرب في عهد الخليفة الثاني ، ومنعوا من دخول عاصمة المسلمين وهي المدينة المنورة ، وفي عهد الخليفة الثالث زادت مثل هذه الممارسات بصورة كبيرة مما أدى إلى انفجار الأوضاع ، ثم جاء دور أمير المؤمنين(عليه السلام) الذي أعاد العدل إلى نصابه فلم يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا بين العربي والأعجمي ، فأعاد سنّة رسول ا (صلى ا عليه وآله) ، وهذا هو دور أُولي القربى ، وهو التوزيع العادل للطبقات المحرومة حتّى لا يكون دولة بين الأغنياء ، وهنا يمثّل سيد الشهداء(عليه السلام) ضمير العدالة وضمير الإنسانية النابض ، ولما سفك دمه بثّ الحياة في العدالة والمطالبة بها .

المحاضرة السادسة
العدالة ودور الخليفة في الأرض

محاور المحاضرة :

أولا : هدف الحسين(عليه السلام) من الخروج على بني أمية .

ثانياً : هل القدرة هي مصدر الاستحقاق؟

ثالثاً : هل يجب إخضاع القانون للأخلاق؟

رابعاً : العبودية   تؤسس للعدالة .

خامساً : إنّي جاعل في الأرض خليفة .

سادساً : الخليفة هو الشخص المصطفى من ا   .

سابعاً : مفهوم أهل القرى في القرآن الكريم .

ثامناً : خليفة ا   يد ا   ، وعين ا   ، ووجه ا   في الأرض .

تاسعاً : الإمام المهدي عجل ا   فرجه الشريف يتصدى لأمور المسلمين في غيبته ، ولكن في الخفاء .

عاشراً : أهمية الحكم السري في مجريات الأمور .

هدف الحسين(عليه السلام) من الخروج على بني أمية

قال تعالى : **{إِن ا َ يأْمر بِالْعدلِ والإِحسانِ وإِيتَاء ذي الْقُربى وينْهى عنِ الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْيِ يعظُكُم لَعلَّكُم تَذَكَّرون}**(١) ، وقال سيد الشهداء(عليه السلام) من ضمن نداءاته

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

العاشورائية : "اللهم إنّك تعلم أنّه لم يكن ما كان منّا تنافساً في سلطان ولا التماساً في فضول الحطام ، ولكن لنرى المعالم من دينك ، ونظهر الإصلاح في بلادك ويأمن المظلومون من عبادك ، ويعملُ بفرائضك وسننك وأحكامك"(١)، ثم وجه خطابه(عليه السلام) إلى أهل الكوفة والمعسكر الآخر أو جيش الشام : "إن لم تنصرونا وتنصفونا قوي الظلمة عليكم ، وعملوا في إطفاء نور نبيكم ، وحسبنا ا وعليه توكّلنا وإليه أنبنا وإليه المصير"(٢) .

هل القدرة هي مصدر الاستحقاق؟

مر علينا الكلام عن أُسس الحقوق والتقنين ، بعد الكلام عن أن العدالة هي الأساس والقانون يدور مدارها ، وتكلّمنا عن المدرسة الذاتية ، والتي تعبر عن الحالة الدكتاتورية والكسروية والقيصرية التي تستعبد الإنسان ، وهنا تظهر فكرة أن سيطرة الطبقات بعضها على البعض ظاهرة طبيعية تتمثّل في سيطرة القوي على الضعيف ، فليس من الطبيعي أن تتساوى الشعوب الأوربية مع باقي شعوب العالم ، وهي شعوب أكثر تعلّماً وقدرة وتسلّحاً من غيرها ، فكيف نساويها بغيرها؟!

وفكرة الإنتاج والعمل مطلب آخر ، بل هذه المؤهلات التي يتّصف بها القوي هي التي تؤهله إلى أن تكون له استحقاقات معينة ، وهذه هي نفس الكسروية والقيصرية القديمة ، ولكنها الآن بصورة حديثة ، وإلاّ فهي نفس الفكرة ، ونفس المدرسة بالضبط ، وترتكز على أن القدرة مصدر الاستحقاق ، فكلّما كانت الذات تتمتّع بقدرة أكبر كان لها استحقاق أكثر .

١- تحف العقول : ١٧٠ .
٢- تحف العقول : ١٧١ .

هل يخضع النظام لرأي الأكثرية؟

أما المدرسة الإنسانية فتقول : إن مجموع المجتمع البشري له استحقاقات معينة ، والمدرسة الإنسانية تنقسم إلى المذاهب ، وهي تنطلق من إنسانية الإنسان لا من قدرته وإمكانياته ، وهي تنطلق من إدراكات الإنسان وشهواته وغرائزه ، فإذا كانت الأكثرية قد أرادت الإباحية الجنسية فحينئذ تصح وتشرع الإباحية الجنسية ، وإذا كانت الأكثرية تريد نظاماً مالياً معيناً أو نظاماً خلقياً معيناً أو نظاماً قانونياً معيناً فيجب إقرار هذا النظام ، وهي تعتمد على نفوذ رأي الأغلبية ، والليبرالية مدرسة تربت في أحضان المدرسة الإنسانية .

لابد من مراجعة الرؤية الكونية للمدارس الحقوقية والسياسية

يجب علينا حينما نريد أن نفهم المدارس الحقوقية والسياسية والقانونية أن نراجع ٱُسسها الفلسفية ، أو ٱُسسها في الرؤية الكونية أو الرؤية الأخلاقية ، وإلاّ فسيكون الحوار والتجاذب العلمي معها عقيماً ؛ لأنّك إذا فهمت الأُسس استطعت أن تفهم الاستحقاقات التي تطرحها هذه المدرسة أو تلك ، فلابد من الرجوع إلى الأُسس .

هل يجب إخضاع القانون للأخلاق؟

هناك جدل قديم وحديث يدور حول : "هل هناك مبادىء أخلاقية يجب أن تحكم القانون أو لا؟ وما هي الأخلاق ، هل الأخلاق لها ثوابت ، ولها مبادىء ، ولها محاور مقدسة؟" .

المدارس السماوية تنظر إلى الأخلاق على أن لها قدسية خاصة ، بينما المدارس الأُخرى الوضعية لاتنظر إلى الأخلاق على أن لها قدسية خاصة، وعندها فهي لاتقبل أن تحكّم الأخلاق على القوانين والمبادىءالحقوقيةوتعتبر

أن ليس في الأخلاق مبدأ مقدس ، وتعتبر الأخلاق وسيلة آلية تعاملية ، وتعتبرها عناصر إدارية .

هل العدالة أمر حقيقي أم اعتباري؟

وهذا يبتني على نفي وجود الحسن والقبح أو المدح والذم ، وأن هذه الأمور مصطنعة في المجتمعات تتبدل عندما تتبدل الثقافة في المجتمع .

وقول سيد الشهداء(عليه السلام) : "إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة ، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً"(١) ، يعتبر أن الحياة مع الظالمين تمثّل برماً ثابتاً ، وأن هذا مبدأ مقدس لا يتغير ، وأخلاقية ثابتة لا تتغير بتغير المجتمع ، فالظلم هو الظلم .

لا محورية للعدالة في المبادىء الغربية

الغربيون ليس لديهم مبادىء أخلاقية ثابتة ، وإنّما الغاية عندهم هي الوصول إلى المصلحة ، وهذا كلّه ناتج من عدم محورية العدالة عندهم ، فإذا وجد الإنتاج الاقتصادي والرفاهية المادية ، فلن يكون السقوط والانحدار الأخلاقي مشكلة في المجتمع كما يعتقدون .

فإذا اختارت البشرية هذا المسار فلن يكتب العدل ، ولن يتحقق لها ، بل سيولد العديد من الفراعنة الجدد ، إذن لكي نناقش هذه المدارس لابد من إثبات مقدمة علمية ، وهي أن العدالة أمر حقيقي واقعي ، وليس وجودها وجوداً اعتبارياً أدبياً كما يزعمون ، ولن تستقر العدالة إلاّ بهدم الأصنام البشرية من أمثال هتلر وصدام وموسيليني الذين لا يمكن لأحد أن ينكر واقعية ظلمهم ، وأن البشرية قد لاقت الويلات على أيديهم ، والمعاناة التي يعيشها الفقراء والمحرومون أيضاً لا يمكن

١- ميزان الحكمة ٤ : ١٥١٥ ، الحديث ٩٧٨٥ .

أن ينكر أحد واقعيتها ، والجرائم الأخلاقية لا يمكن لأحد أن ينكر واقعيتها ، وتأثيرها السلبي على المجتمع .

العبودية تؤسس للعدالة

يجب علينا أن نثبت أن مالك الملوك ذا الحق المطلق هو ا عز وجلّ سواء في النظام الإسلامي أو في تعامل أصحاب الأديان الأُخرى مع ا تعالى ، كما في الآية الكريمة : **{قُلْ يا أَهلَ الْكِتَابِ تَعالَوا إِلى كلمة سواء بينَنَا وبينَكُم أَلا نَعبد إِلا ا ولاَ نُشْرِك بِه شَيئاً ولاَ يتخذَ بعضنَا بعضاً أَرباباً من دونِ ا فَإِن تَولوا فَقُولُوا اشْهدوا بِأَنا مسلمون}**(١) ، والتشريع الدولي والعلاقات الدولية ، وكلّ العلاقات الأُخرى لابد أن تبنى على هذا الأصل ، أما إطلاق الحريات بشكل متحرر من العبودية تعالى فهو يمثّل استعباد البشر لبعضهم البعض ، والعودة إلى أزمنة التخلّف البشري والعصور الوسطى ، ولكن بأشكال جديدة ، أما العبودية فإنّها تضمن كون البشر سواسية أمام ا تعالى .

مفهوم الفيء

أما الثروات فمصرفها للمحرومين ، وتدبيرها هو كما قالت الآية : **{ما أَفَاء ا على رسوله من أَهلِ الْقُرى فَلله وللرسول ولِذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكينِ وابنِ السبِيل كَي لاَ يكُون دولَةً بين الْأَغْنياء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا واتقُوا ا إِن ا شَديد الْعقَابِ}**(٢) ، والفيء في الاصطلاح الإسلامي هو كلّ الثروات الأرضية ، وهذه الآية هي من الآيات المحكمة العظيمة .

١- آل عمران (٣) : ٦٤ .
٢- الحشر (٥٩) : ٧ .

إنّي جاعل في الأرض خليفة

ا   خلق الكون ، وجعل خليفة ا   على الكون هو الشخص المصطفى ، قال تعالى : **{وإذْ قَالَ ربك لِلْملائِكَة إِني جاعِلٌ في الأرض خَليفَةً قَالُوا أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدك ونُقَدس لَك قَالَ إِني أَعلَم ما لاَ تَعلَمون}**(١) ، والملائكة موجود علمي ، وأول من انطبق عليه وصف الخليفة هو آدم(عليه السلام) ، وتساؤل الملائكة عما قالوا عنه أنّه يفسد فيها ويسفك الدماء يطابق المدرسة الذاتية التي تكلّمنا عنها ، والتي يكون من نتائجها الفساد سواء كان فساداً مالياً أو خلقياً أو صحياً : **{قَالَ إِني أَعلَم ما لاَ تَعلَمون}** ، أي : إن هذا الخليفة مقدر له أن يصلح الأرض ، وهذا الخليفة هو آدم ومن بعده من الأنبياء والرسل إلى خاتم الأنبياء ، ومن الإمام علي(عليه السلام) إلى الإمام الحجة (عجل اللّه فرجه الشريف) ، ولولا هؤلاء الخلفاء لكتب الدمار للبشرية ، ولعاشت البشرية الدمار على الصعيد البيئي والترابي والهوائي والصحي وغيرها .

الخليفة هو الشخص المصطفى من ا

وذلك لأن هؤلاء مدبرون ، ولو رفعوا أيديهم عن تدبير البشرية في مجالات عديدة لكتب على البشرية ما تنبأت به الملائكة : **{أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء}** ، وبالتالي فإن الباري تعالى يقول : إن هذه الأرض استخلفت فيها الشخص المصطفى من الخلق ، وا   هو مالك الملوك ، وهو الذي قال عن نفسه:**{أَلاَ يعلَم من خَلَقَ وهو اللطيفُ الْخَبِير}**(٢)، فالذي يصلح لتدبير البشرية، والذي يتحلّى بكافّة المواصفات والمؤهلات إنّما هو الخليفة .

١- البقرة (٢) : ٣٠ .
٢- الملك (٦٧) : ١٤ .

لابد من رجوع الفيء إلى مدبره الصحيح

قال تعالى : **{وما أَفَاء ا ُ على رسولِه منْهم فَما أَوجفْتُم علَيه من خَيل ولاَ رِكَاب ولَكن ا َ يسلطُ رسلَه على من يشَاء وا ُ على كُلِّ شَيء قَدير}**(١) ، الكفّار قد يمتلكون الطاقات ، والمسلمون عندما يمتلكون هذه الطاقات من خلال الفيء ، فإن هذه الطاقات إنّما ترجع إلى نصابها الصحيح ، وإلى المدبر الصحيح الذي يرتضيه ا تعالى .

مفهوم أهل القرى في القرآن الكريم

قال تعالى : **{ما أَفَاء ا ُ على رسولِه من أَهلِ الْقُرى فَللَّه وللرسولِ ولذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكينِ وابنِ السبِيلِ كَي لاَ يكُون دولَةً بين الأَغْنياء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانتَهوا واتَّقُوا ا َ إِن ا َ شَديد الْعقَابِ}**(٢) ، والقرى في جملة من الآيات ، تعني : المدن ، فلم يسمي القرآن أهل المدن بأهل القرى؟ فاليهود المعاصرون للنبي من الناحية المادية متطورون على العرب بدرجات كثيرة ، وكانوا متقدمين من حيث الكتابة والقراءة ، بينما العرب كانوا متخلّفين ، مع ذلك القرآن الكريم يسمي مناطقهم قرى ولا يسميها مدن ؛ لأن القرآن يعتبر أن المدنية تتمثّل في الإقرار بأن مالك الملوك هو ا تعالى ، فالشخص الذي يقر بأن مالك الملوك هو ا يعتبر شخصاً متمدناً ، والعلوم أسلحة وقدرات فإذا لم تهذّب بالالتزام الخلقي فإنّها ستكون أسلحة فتّاكة تورث الجحيم للبشرية ، أما إذا هذّبت بالالتزام الخلقي فسوف توفّر النعيم للبشرية .

١- الحشر (٥٩) : ٦ .
٢- الحشر (٥٩) : ٧ .

الاحتكار ونشر الأمراض الجنسية من مصاديق الإفساد في الأرض

ويصل الإنسان إلى إحراق المواد الغذائية حتّى لا ينزل سعرها في السوق ، فبدل أن يعمل هؤلاء على إخراج كنوز ا من أرضه ، يعملون على إبادة المحاصيل الزراعية ، كلّ ذلك من أجل السيطرة والاحتكار ، وهذا من مصاديق الإفساد في الأرض، فالقرآن يقول:إن الذي لا يؤمن با هو إنسان قروي وإن كان في ظاهره متمدناً، بينما ذلك الذي يعيش حياة بسيطة مسالماً طيباً يؤمن أن للناس حقوقاً و حقوقاً، ويحافظ على حرمة دماء الناس، فهذا الإنسان إنسان مدني في منطق القرآن، حتّى ولو كان يسكن في الصحراء أو في القرى التي لاتعرف التطور المدني ، وهذه المدنية التي يعطيها القرآن لهذا الشخص تنطلق من إرادته التي يريد بها للبشرية الخير والاطمئنان والسلام، أما ذلك الذي يعمل على نشر مرض الإيدز والأمراض الأُخرى التي تنشأ من معصية ا تعالى، فهل هذا يصح عليه لفظ مدني؟! وهل يمكن أن يساهم في تطور البشرية، وهو من المفسدين في الأرض؟!

خليفة ا يد ا ، وعين ا ، ووجه ا في الأرض

إذن منطق ا في القرآن يتّجه إلى أن الفيء والثروات هي في الأصل وللرسل الذين هم خلفاء ا في الأرض ، وهذا الخليفة يكون يد ا في الأرض ، وعين ا في الأرض ، ووجه ا في الأرض ، فعزرائيل يتوفّى الأنفس ، وا يسند هذا الفعل لنفسه فيقول تعالى : **{ا ُ يتَوفى الْأَنْفُس حين موتها والتي لَم تَمتْ في منَامها فَيمسك التي قَضى علَيها الْموتَ ويرسلُ الْأُخْرى إِلى أَجل مسمى إِن في ذَلك لَآيات لِقَوم يتَفَكَّرون}**(١) ، وقال في آية ُأخرى : **{قُلْ يتَوفاكُم ملَك الْموت الذي وكلَ بِكُم ثُم**

١- الزمر (٣٩) : ٤٢ .

إلى ربكم ترجعون}(١) ، لو كانت الثروات الإنسانية عند أهل البيت(عليهم السلام) لوزعوها بالعدل ، ولما وجدت هذه المجاعات والمآسي ، وعندما كانت عند أولئك الذين لا يؤمنون با فإنّهم قرويون وليسوا متمدنين ، بل يمثّلون خطراً على البشرية ؛ لأن الذي لا يؤمن با فلن يكون له مبدأ يجعله يتورع عن إثاره الحروب وقتل الشعوب وهدم الأُسر وإفشاء الفساد ، ولن يتوقّف عن نشر المخدرات والدعوة إلى الإباحية الجنسية مادام ذلك يخدم مصالحه ، والإحصائيات حول بيع الفتيات الصغيرات من أوربا الشرقية إلى أوربا الغربية ، وفي الدول الكبيرة إحصائيات رهيبة ، وهذا لا يكون بمباركة قانون مدون ، ولكنّه عرف وواقع يعيشه العالم الغربي اليوم ، أليس هذا هو الاستعباد بعينه؟!

تساؤلات حول العدالة والسعادة والرفاه

هناك جدل قائم الآن حول هل أن العدالة هي السعادة والرفاه والتنمية أم أن العدالة تعني أُموراً أُخرى؟ وهل التنمية تتمثّل في العلم الذي يجعل الإنسان يكتنز من الأموال أكثر؟ وهل الرفاه يقتصر على دول العالم المتقدم أم دول العالم الثالث؟وهل الطاقةالنووية حق للعالم المتقدم وحرام على العالم الثالث؟

المقصود من {وذي القربى}

المقصود بذي القربى في الآية الكريمة هو المعصوم الذي لا يجهل ، والذي هو الإمام المهدي عجل ا فرجه الشريف الغائب غيبة في مقابل الظهور ، وليس غيبة في مقابل الحضور ، فلا يصح أن نقول غائب وسيحضر ، وإنّما غائب وسيظهر ، أي : أنّه حاضر ولكنّه ليس مكشوفاً ، وأما دعوة السفارة فإنّها دعوات تنطلق من أجهزة المخابرات البريطانية .

١- السجدة (٣٢) : ١١ .

الإمام المهدي (عجل ا فرجه) يتصدى لأمور المسلمين في غيبته ، ولكن في الخفاء

فهو غائب ، وسينكشف دوره في البشرية عند الظهور ، ومن الخطأ أن نعتقد أن الغيبة بمعنى الزوال ، أو أنّه يعيش بعيداً في جزيرة خضراء أو حمراء ، فهو غائب بمعنى أنّه متستّر ومتخفّي ، لا أنّه غائب بمعنى أنّه غير متصد أو أنّه متفرج على ما يحصل ، وهناك حتّى في التراث الشيعي بعض المفاهيم المغلوطة ، فهناك من يقول : إن علياً كان لمدة خمس وعشرين سنة جليس البيت ، وهذا خطأ ، هم أزاحوه وأبعدوه عن منصبه الذي نصبه ا فيه ، ولكن كان له دوره .

أهمية الحكم السري في مجريات الأمور

وليس الدور كلّ الدور في الحكم الظاهري ، اليوم مجريات الأمور الحقيقية وخباياها لا تكشف في الأخبار ، المعادلات التي تدير البشر غير معلنة ، ولا تنشر الأسرار إلاّ بعد خمسين أو مائة سنة على شكل مذكّرات يكتبها ذلك الوزير أو الشخص المعني ، مع ذلك فإن هذه المذكّرات ليس من الضروري أن تكشف كلّ الأسرار والمعادلات التي كانت تمثّل دوافع وأسباباً لحركة معينة أو لتصرف معين ، ما يكتب في التاريخ من أسرار هو ما يطفح على السطح ، وما يطفح على السطح ليس هو الحقيقة .

إذا لم يكتب للبشرية سيادة دين ا ، وتدبير رسول ا ، وذي القربى فلن يكتب للبشرية عدالة أبداً ، بل سيكون المنطق السائد هو منطق الإفساد في الأرض ، وتارة يكون الإفساد بالاعتقال والسجن ، وتارة بالتمييز الطائفي والتمييز في فرص العمل والتعليم والظلم الذي يدور في هذا المدار .

المحاضرة السابعة
مناقشة بعض تعريفات العدالة

محاور المحاضرة :

أولا : نظرة القرآن الكريم إلى الفوارق في المخلوقات .

ثانياً : لا إفراط ولا تفريط في الإسلام .

ثالثاً : الأصول المحرمة في الأديان السماوية .

رابعاً : تطبيق العدالة لن يتم إلاّ على يد المعصوم .

خامساً : العدالة والمساواة .

سادساً : العدالة الوسطية والرفاه .

سابعاً : تعريف العدالة بسيطرة العقل الجمعي .

ثامناً : خطر طغيان الميول النفسية الجمعية .

تاسعاً : الشعب الصيني والشعب الياباني والميول النفسية .

عاشراً : سيطرة العقل الجمعي تفتقر إلى الضمان .

قال تعالى : **{إن ا َ يأْمر بِالْعدل والإِحسان وإِيتَاء ذي الْقُربى وينْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْيِ يعظُكُم لَعلَّكُم تَذَكَّرون}**(١) ، وقال سيد الشهداء(عليه السلام) : "ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد ، وعطّلوا

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلّوا حرام ا ، وحرموا حلاله ، وأنا أحقّ من غير"(١) .

هل الفارق الطبقي الفاحش ظاهرة طبيعية؟

هناك جملة من المدارس المادية والمدارس الذاتية والمدارس الإنسانية ، ترى أن ظاهرة الفارق الطبقي الفاحش ليست ظاهرة شاذة،بل ظاهرة طبيعية في النظام الاجتماعي ، والعدالة هي في نظم النظام الاجتماعي، وقد تحصل فوارق طبقية ولتكن فاحشة مادام هذا ضمن نظام وتنظيم وتدبير ، فلتكن الفرص مفتوحة بهذا المقدار من النظم والإدارة والتدبير في المجتمع ليسعى كل إلى إكمال عقله وذهنه وكفاءته، وإلى أن يحصل على القدرة المطلوبة .

نظرة القرآن الكريم إلى الفوارق في المخلوقات

بينما منطق القرآن الكريم ليس على نسج الفارق الطبقي ، ومن المعروف أن منطق القرآن الكريم يخالف الفكر الشيوعي الذي يحاول أن تكون في المجتمع طبقة واحدة ، وهذا غير ممكن ، قال تعالى : **{وا ُ فَضلَ بعضكُم على بعض في الرزق فَما الذين فُضلُوا بِرادي رزقهم على ما ملَكَتْ أَيمانُهم فَهم فيه سواء أَفَبِنعمة ا ِ يجحدون}**(٢) ، إذن القرآن الكريم والمنطق الإسلامي لا ينسف الفارق الطبقي ، ويقر بالتفاوت في القدرات الذهنية والروحية والبدنية ، وهذه الحالة موجودة حتّى في الأنبياء ، قال تعالى : **{تلْك الرسلُ فَضلْنَا بعضهم على بعض منْهم من كَلَم ا ُ ورفَع بعضهم درجات وآتَينَا عيسى ابن مريم الْبينَات وأَيدنَاه بِروحِ الْقُدسِ}**(٣) ، وحتّى

١- الكامل في التاريخ ٤ : ٤٨ .
٢- النحل (١٦) : ٧١ .
٣- البقرة (٢) : ٢٥٣ .

في الموجودات النباتية ، قال تعالى : **{وفي الأرض قطَع متَجاوِراتٌ وجناتٌ من أَعنَاب وزرع ونَخيلٌ صنْوان وغَير صنْوان يسقَى بِماء واحد ونُفَضلُ بعضها علَى بعض في الْأُكُل إِن في ذَلِك لَايات لِقَوم يعقلُون}**(١) ، وفي التراب حيث يفضل تراب على تراب ، وهذه الفوارق توجب نوعاً من الحيوية والنشاط ، قال تعالى : **{أَهم يقْسمون رحمةَ ربك نَحن قَسمنَا بينَهم معيشَتَهم في الْحياة الدنْيا ورفَعنَا بعضهم فَوقَ بعض درجات لِيتخذَ بعضهم بعضاً سخْرِياً ورحمةُ ربك خَير مما يجمعون}**(٢) ، فتستخير فئة لفئة أُخرى لكي يتكامل المجتمع .

لا إفراط ولا تفريط في الإسلام

ولكن الذي يعارضه الإسلام هو الإفراط المتمثّل في النظرية الماركسية والشيوعية أو الاشتراكية ، ويرفض التفريط المتمثّل في نظرية اقتصاد السوق أو النظرية الرأسمالية التي لا تمانع من التفاوت الطبقي الشاسع مهما بلغ هذا التفاوت ، ولو كان هذا التفاوت بسبب زيادة بذل الجهد والطاقة لا يمنعه الإسلام ولا القرآن ولا الفكر الذي جاء به النبي(صلى ا عليه وآله) ولا ما أوصى به أمير المؤمنين(عليه السلام) مالك الأشتر ولا في كتبه الأُخرى؛ لأن الفكر الإسلامي يحترم الجهود والكفاءة ، والعاطل لا يساوي المجد ، وإنّما يمنع الإسلام من استئثار المنابع الطبيعية وسدها ثم ضخّها لفئة خاصة دون باقي مستحقيها من غير أي استحقاق ، ويرفض جعل الفرصة للاستثمار لفئة دون باقي مستحقيها ويمنع تطبيق الاحتكار الذي يمثّل سرطان الإقطاع القائم على عدة أعمدة ، منها : سياسات المافيا الاقتصادية التي لا هم لها إلاّ تحقيق الربح ، بغض النظر عن الآثار الأخلاقية والاجتماعية التي يخلّفها هذا

١- الرعد (١٣) : ٤ .
٢- الزخرف (٤٣) : ٣٢ .

الربح ، وكذلك المعاملات الباطلة المحرمة ، كالربا والقمار .
فالفارق الطبقي الفاحش مرفوض في الفكر الإسلامي إذا كانت موارده غير شرعية .

الأصول المحرمة في الأديان السماوية

ومن معاجز الدين الإسلامي أنّه وضع يده على سرطانات المال منذ أربعة عشر قرناً إلى يومنا هذا ، بل هي من معاجز الشرائع السماوية كلّها ؛ لأنّها اتّفقت على دين واحد ، وكلّها تُجمع على تحريم الربا والقمار والفواحش ، هذه الأمور من الأمور التي اتّفقت عليها الشرائع السماوية كلّها ، وهي من أصول المحرمات ، وهي تعد في دائرة الدين الواحد بين الأنبياء ، وليست من الأمورالشرعية التي تتعرض للنسخ،فلم تُحلّل الفواحش أو الربا أو القمار في أي دين من الأديان السماوية ، وأصول المحرمات وأصول الواجبات تعد من الدين الذي تدين به البشرية لتصل إلى السعادة بعد العقائد التي تفلسف وتبرمج نظم الحياة ، والدين الإسلامي يمثّل كلّ الأديان السماوية .
الإسلام وضع يده على الغدد السرطانية التي تهدد العدالة في النظام الاجتماعي في الجانب الأخلاقي والجانب الاقتصادي والجانب الاجتماعي والجانب المالي والجانب الحقوقي ، والكثير من المعاملات التجارية في البورصات وغيرها معاملات وهمية تستهدف ضخّ السيولة في الأموال لأصحاب الإقطاع ، وهذه من الابتلاءات التي ابتليت بها البشرية ، والربا لا زال من الابتلاءات البشرية ، ولسنا في مقام الكلام عن العدالة الاجتماعية من الناحية الاقتصادية ، ولكن الحديث جرنا إلى هذه النقطة .
كذلك نرى في الجانب المالي بحث الاحتكار، ويدخل في مصاديقه الاحتكار في الدول الشرقية والغربية،فيصبح الرجل غنياً في ساعة واحدة، عن طريق

الاحتكار ، والاحتكار قد يكون في الاستيراد أو التصدير أو الأراضي أو غير ذلك ، وكذلك نظام التجارة العالمي .

تطبيق العدالة لن يتم إلاّ على يد المعصوم

إذن التفاوت الطبقي الفاحش غير مقبول في منطق القرآن الكريم وأهل البيت(عليهم السلام) ، بل العدالة في المجتمع أمر أساسي يمكن إقامته وتطبيقه ، وهذا التطبيق للعدالة لن يتم إلاّ على يد المعصوم ، كما أشارت الآية التي أشرنا إليها في سورة الحشر ، والعدالة في منطق أمير المؤمنين (عليه السلام) المطابق للقرآن الكريم والسنة الشريفة ، هي أمر اختياري .

العدالة والمساواة

والظلم في النظام الاجتماعي أمر بيد النظام الفاسد ، فهو الذي يوجب الاضطهاد والظلم للطبقة المحرومة في مقابل التضخّم المالي أو المتعلّق بالثروات الأُخرى عند فئة ثانية . إذن العدل أمر ممكن يقوم به النظام الاجتماعي إن صلح .

وهناك تعريفات اُخرى للعدالة ، مثل : العدالة هي المساواة وليس المقصود بالمساواة هي أن يكون جميع الأفراد في كلّ الجوانب متساوين ؛ لأن بعض الأُمور التي توجب التفاوت بين الأفراد سببها جهد الأفراد وذكاؤهم ، ووجود تفاوت في هذا الجانب .

المساواة في إتاحة الفرص للجميع

إذن المساواة المطلوبة ليست في نفي الفروق الفردية على مستوى المؤهلات العقلية والعلمية والبدنية ، وإنّما المقصود من المساواة هي المساواة في إتاحة الفرص أمام الجميع بالتساوي ، أما استثمار الفرص فيعتمد على القدرات التي يتمتّع بها هذا الفرد أو ذاك .

العدالة الوسيطة والرفاه

وقيل : إن العدالة هي الوسيطة . وقيل : إن العدالة الاجتماعية هي الرفاه والتنمية ، ونحن لا نجد هذا الأمر مذكوراً في القرآن الكريم ، ولا في عهد أمير المؤمنين(عليه السلام)لمالك الأشتر . نعم ، كانت التنمية الاجتماعية من أهداف الإسلام هذا أمر صحيح ، ولكن إذا كان الرفاه والتنمية يخدم طبقة دون باقي الطبقات فإن هذا الأمر مرفوض ، ولن تتحقق بذلك العدالة ، أما إذا كان الرفاه مقيداً بقيد الشمولية والعمومية فإنّه يصب في مصب العدالة الاجتماعية ، وينبغي أن لا يكون من نتائج هذا الرفاه زعزعه الثوابت الإسلامية والأخلاقية ؛ لأن زعزعة الثوابت الإسلامية تمثّل زعزعة الينبوع الأصيل للعدالة الاجتماعية ، وهي أن الملكية   ، وأن ا   هو مالك الملوك ، وأن ا   هو المالك الحقيقي .

الرسول والولي من بعده يتولّى الملك

ويتولّى هذا الملك الرسول(عليه السلام) ، ومن بعده الولي المعصوم من ذي القربى ؛ لكي يبعد الملك عن الاستئثار والحرص والفرعنة ، يعني : أن الباري إنّما اختارهم ؛ لأنّهم لن يكونوا إقطاعاً يهضمون حقوق الآخرين ، وأنّهم لن يكونوا مافيا سياسية ، كما كان اليهود الذين هم مافيا سياسية تتستّر بالدين الذي حرفوه وبدلوه ، وتحركوا وفق مصالح الإقطاع والملوك والسلاطين ، وعندهم أن الغاية تبرر الوسيلة .

الاعتقاد بمالكية ا   يستلزم إشاعة الثروات

والاعتقاد بأن ا   مالك الملوك يستلزم إشاعة الثروات بين خلق ا   بدون سيطرة فئة على فئة، ولن تتحقق إشاعة الملكية كما يريدها الشيوعيون ، وكما يدعون ، والتي نتج عنها أن تكون الدولة هي إقطاع آخر ، وتمثّل رأسمالية جديدة

بصورة أُخرى ، وقد بنوا على الشيوعية آمالا ، ولكنّهم لم يصلوا إليها ، والمشكلة كانت من البداية ، وهي أن الشيوعية لم تكن تؤمن با ، فكان الأساس الذي ارتكزت عليه غير صاب ، فتهدم ما بنته ، ولم تفلح في تحقيق أهدافها في العدالة الاجتماعية .

متى يصح تعريف العدالة بالرفاه والعدالة الاجتماعية؟

إذن هناك شرطان لكي يصح تعريف العدالة بالرفاه والتنمية الاجتماعية .

الشرط الأول : أن تشاع الثروات بين خلق ا .

والشرط الثاني : أن يكون هذا الرفاه ، وهذه التنمية الاجتماعية منطلقة من مفهوم أن ا هو مالك الملوك .

تعريف العدالة بسيطرة العقل الجمعي

وهناك تعريف آخر للعدالة وهو : سيطرة العقل الجمعي على الميول النفسية الجمعية ، وهذه ظاهرة حميدة أخذت في الظهور في البشرية ، ومن بعض ملامحها : رأي الأكثرية ، ومن بعض ملامحها : رقابة الشعب على الحكومات ، ومن بعض ملامحها : العلم الجمعي ، والاستشاريات ، ومؤسسات المجتمع المدني ، وهذه ظواهر في النظم الاجتماعية تصب في سيطرة العلم الجمعي والعقل الجمعي ، وهذه الظواهر لا يرفضها الدين ، وهي تحكم في حالة غياب المعصوم ، بل تحكّم حتّى مع وجود المعصوم فما بالك في غيابه ؛ لأن الإسلام يندب إلى العقل الجمعي قال رسول ا (صلى ا عليه وآله) : "أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه"(١) ، وقال الإمام علي(عليه السلام) : "حقّ على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ، ويضم

١- ميزان الحكمة ٥ : ٢١٠٨ ، الحديث ١٤١٦٤ .

إلى علمه علوم الحكماء"(١) ، وتفعيل العقل الجمعي والعلم الجمعي ببنوده وهياكله الحديثة أمر مرحب به ، ويحبذه القرآن والإسلام وعهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر .

خطر طغيان الميول النفسية الجمعية

أما إذا طغت الميول النفسية الجمعية على العقل الجمعي فهنا يكون المؤشّر خطيراً ، وقد حدثنا التاريخ والقرآن عن حوادث طغت فيها الميول النفسية الجمعية على العقل الجمعي ، كما حدث لقوم نوح(عليه السلام) وقوم لوط(عليه السلام) الذين كانوا يمارسون تلك الفاحشة التي تهدد استمرار النسل البشري ، وتوجب انتشار الجريمة ، وتهدد النظام الاجتماعي بأكمله ، وكذلك قوم شعيب(عليه السلام) الذين طغوا في الميزان والمكيال ـ وليس المقصود من المكيال خصوص المكيال الاقتصادي ـ وإذا طغت الميول النفسية الجمعية على العقل الجمعي فسنفقد صمام الأمان ، وصمام الأمام يتمثّل فيما ذكرته الآية : **{فَلله ولِلرسول ولِذي القُربى}**(٢) ؛ لأن العقل الجمعي قد يضعف أمام الميول النفسانية الجمعية ، وفي الحديث النبوي : "لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متمتع"(٣) ، وهذه من الأوسمة البارزة لاستعلام العدالة البشرية في الحديث النبوي .

الشعب الصيني والشعب الياباني والميول النفسية

الشعب الصيني يتوجس خيفة من اليابانيين ؛ لأن عندهم ميمول نفسية تجعلهم يعتقدون أن من المفروض أن يكون أصحاب العرق الياباني لهم السيطرة على

١- ميزان الحكمة ٤ : ١٥٢٥ ، الحديث ٩٨٦٣ .
٢- الحشر (٥٩) : ٧ .
٣- نهج البلاغة ، رسائل أمير المؤمنين رقم ٥٣ .

باقي الشعوب ، فنلاحظ هنا أن هذه الميول تشكّل مصدر خطر على الآخرين ، لا سيما وأن اليابان تعتبر عملاقاً اقتصادياً ، ولذلك عندما يزور المسؤولون اليابنيون قبور القتلى في الحرب العالمية الثانية تحتج الصين ، ويحدث الكثير من الضجيج والصخب ؛ لأن هؤلاء القتلى من الجنرالات كانوا يدعون لسيطرة اليابانيين على غيرهم من الشعوب .

الشيعة كالعسل

قال الإمام الصادق(عليه السلام) : "إنّما أنتم في الناس كالنحل في الطير ، لو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلاّ أكلته ، ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنّكم تحبونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ، ولنحلوكم في السر والعلانية ، رحم ا عبداً منكم كان على ولايتنا"(١) ، ونحن الشيعة نعيش في نظام يرعاه المعصوم عليه السلام ، كما رأينا في الأربعين الأولى بعد سقوط الطاغية صدام كيف أن أربعة ملايين شيعي يزورون كربلاء بصورة منتظمة حيرت العالم والفضائيات مع غياب الدولة ودعمها دون أن تسجل حوادث تذكر .

سيطرة العقل الجمعي تفتقر إلى الضمان

إذن سيطرة العقل الجمعي أمر حسن ، ولكن لا ضمان لضعف سيطرة العقل الجمعي أمام الميول العاطفية الجمعية التي تخضع للضعف أمام الشهوة والغضب والطمع وغير ذلك ، وفي مذهب أهل البيت(عليهم السلام) فإن الأكثرية ليس لها الضمانة المطلقة ؛ لأن الأكثرية قد تتعرض لغسيل مخ من قبل الإقطاع والأنظمة الحاكمة ، وسيد الشهداء(عليه السلام) اتّخذ لغة الحوار حتّى آخر لحظة إلى أن استعملوا العنف معه(عليه السلام) ،

١- الكافي ٢ : ٢١٨ ، الحديث ٥ ، كتاب الإيمان والكفر ، باب التقيّة .

ولكن عندما استجابت له الأكثرية تجاوب معها ، ولكن هذه الأكثرية التي حكّمت العقل الجمعي خضعت للميول النفسية الجمعية التي خضعت للخوف من النظام الحاكم ، وسيد الشهداء(عليه السلام) يعطينا درساً بأن العقل الجمعي لا يمثّل ضمانة ، وأنّه قابل للهزيمة أمام الميول النفسية الجمعية "وكم من عقل أسير تحت هوى أمير"[1] .

١- ميزان الحكمة ٨ : ٣٤٧٩ ، الحديث ٢١٤١٩ .

المحاضرة الثامنة

الأمم المتحدة وعهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

محاور المحاضرة :

أولا : الفحشاء ظاهرة فردية والمنكر ظاهرة اجتماعية .

ثانياً : البغي نتيجة انتشار المنكر .

ثالثاً : القانون الذي لا يستند إلى العدل يعطي الصبغة القانونية للاضطهاد .

رابعاً : عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر لا يتناول مباحث التشريع العامة .

خامساً : نبذة عن رواة عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر .

سادساً: كوفي عنان يدعو لدراسةعهد الإمام علي(عليه السلام)لمالك الأشتر.

سابعاً : البابا يبدي إعجابه بالصحيفة السجادية .

ثامناً : واجبنا نشر ثقافة أهل البيت(عليهم السلام) .

تاسعاً : ما يوجد في عهد الإمام علي(عليه السلام) ولا يوجد في أدبيات العدالة الدولية .

عاشراً : الفرق بين فقه النظام والتشريعات العامة .

الفرق بين العدل والإحسان

قال تعالى : **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(١) ، الآية الشريفة تحتوي على كنوز من

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

المعارف ، حيث أمر ا بالعدل بحيث يكون المجتمع كتلة واحدة تتعاضد فيما بينها ، والعدل أعم نفعاً من الإحسان ، فقد سئل أمير المؤمنين(عليه السلام) عن أفضلية العدل أو الجود؟ قال : "العدل يضع الأمور مواضعها ، والجود يخرجها من جهتها ، والعدل سائس عام ، والجود عارض خاص ، فالعدل أشرفهما"(١) ؛ لأن العدل هو انتظام الأمور على وجهها ، بينما الإحسان يتضمن تنازلا عن الحق من قبل طرف من الأطراف ، ثم يأمر القرآن الكريم بإيتاء ذي القربى بعد أن يبين القرآن الكريم وسيلة لالتحام أفراد المجتمع بعضه مع بعض ، وهي وسيلة العدل .

الترتيب في الآية ليس اعتباطياً

ونلاحظ أن الآية قد بدأت بالعدل ثم بالإحسان ؛ لأن المجتمع قد يمر بمنعطفات يحتاج فيها إلى الإحسان ، مثل : الكوارث والحالات الطارئة ، ثم تأمر الآية الكريمة بإيتاء ذي القربى من أجل تقوية وشائج وروابط المجتمع ، والقربى المذكورة في الآية هي عموم القربى ، قرابة الأسرة والقبيلة والعشيرة ، وهذا الترتيب في الآية ليس اعتباطياً ، وأما النواهي فقد بدأت الآية بالنهي عن الفحشاء ، يعني : عن الانحدار الخلقي ، والآية تنذر أن هلاك المجتمعات يبدأ بالسقوط الخُلقي، ثم نهت عن المنكر والبغي وكأن الآية تحتوي في الأوامر على عكس النواهي من حيث الترتيب ، ففي الأوامر بدأت الآية بالعدل ، ثم بالإحسان ، ثم بتقوية شجرة القرابة ، ولكن في جانب النهي ابتدأت بالفحشاء ، باعتباره أمراً يهدد النظام الاجتماعي ، حيث إذا ساد الانحطاط الخلقي فسوف يهدد النظام الاجتماعي ، وغيب المثُل والمبادىء الأخلاقية ، مثل : الأمانة والرحمة ، وهذا سيؤثّر على العدالة والقانون والنظام .

١- ميزان الحكمة ٤ : ١٨٣٩ ، الحديث ١١٩٨١ .

الفحشاء ظاهرة فردية والمنكر ظاهرة اجتماعية

والفحشاء تكون ظاهرة فردية والمنكر ظاهرة اجتماعية ، والظاهرة الفردية هي التي تؤثّر في الظاهرة الاجتماعية حينما تتكرر من هذا الشخص أو ذاك الشخص ، والظواهر الاجتماعية السلبية إذا فشت في المجتمع تدمره تدميراً ، ويقول الحديث : "كما تكونوا يولّى عليكم"(١) ، فيكون الحاكم هو مجمع جميع المساوىء والسيئات في ذلك المجتمع .

البغي نتيجة انتشار المنكر

والبغي الذي تذكره الآية يأتي في مرحلة انتشار المنكر ، وانتشار المنكر هو الذي يهيىء لظهور البغي ، والظاهرة اليزيدية والأموية الظالمة لا يمكن دراستها مقطوعة عما حدث قبلها من أحداث هيئت لأمثال معاوية ويزيد للظهور والسيطرة على مقدرات المسلمين ، والآية تطرح نوعاً من المعادلات في العلوم الاجتماعية والسياسية ، حيث تبدأ من الفحشاء ، وهي الجانب الفردي من المعصية ، ثم المنكر الذي يمثّل الظاهرة الاجتماعية السلبية ، ثم البغي الذي يمثّل الانحراف في النظام الحاكم الباغي ، وفي الأوامر الواردة في الآية فإن العدل هو الذي يهيىء للإحسان .

صفات المجتمع السليم : العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى

وتستطيع أن تحكم على المجتمع من خلال الحلقات الايجابية الثلاث، وهي : العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى،أو من خلال الحلقات السلبيةالثلاث، وهي :الفحشاء والمنكر والبغي حتّى تتعرف على المسار الذي يسير فيه المجتمع.

١- كنز العمال ٦ : ٣٦ ، الحديث ١٤٩٦٨ .

التمزق الاجتماعي الغربي أخذ يزحف على المجتمع المسلم

والملاحظ أن المجتمعات الحديثة يسودها التمزق ، وهذا التمزق أخذ يزحف حتّى على المجتمعات الإسلامية ، ولو سألنا آباءنا وأجدادنا عن الترابط الاجتماعي في السابق لوجدنا أنّه كان متقدماً على ما هو عليه الآن .

القانون الذي لا يستند إلى العدل يعطي الصبغة القانونية للاضطهاد

بعد أن مر بنا أن العدالة أمر تكويني ، والحقوق ترسو على الأمر التكويني ، والعدالة هي وصول كلّ ذي قابلية للكمال إلى كماله المنشود ، هنا يأتي بحث النظام ، أين موقع النظام العادل في العدالة الاجتماعية؟ هل هو نظام فردي أم اُسري أم جماعي أم يغطّي المجتمعات البشرية؟

ثم تأتي منظومة الحقوق ثم يأتي التقنين والقانون ، لا قيمة له إلاّ إذا حقق العدالة ، أما إذا لم يحقق العدالة فلا فائدة منه، وليس هو المدار بل المدار هي العدالة وهي المحور الذي يجب أن يرتكز عليه القانون ، والقانون الذي لا يرتكز على العدالة يعتبر قانون الاستسباع والضيم والاضطهاد وامتصاص الدماء والتمييز ، ويعطي هذا القانون للاضطهاد صبغة قانونية يكون بها مجازاً في المجتمع ، بحيث لا يمكن لأحد أن يعترض عليه .

عهد الإمام علي(عليه السلام)لمالك الأشتر لا يتناول مباحث التشريع العامة

وإذا تجاوزنا بحث التقنين والعدالة ، نأتي الآن إلى النظام ، عهد الإمام علي(عليه السلام)إلى مالك الأشتر يمثّل نظاماً وقانوناً إدارياً ، وهو لا يتناول البحث في عموميات العدالة ، فهو ليس كما ورد في الآية الكريمة : **{إن ا َ يأْمر بِالْعدل}**(1) ، فالعدل في الآية الكريمة أتى بنحو العموم ، بينما عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى مالك الأشتر لا

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

يتناول مباحث التشريعات العامة، فبحث النظام له خصائص معينة، ويختلف عن التشريعات العامة، وقبل أن ندخل في فقه النظام وارتباطه بالفقه الدستوري والفقه البرلماني أو الفقه الوزاري في الهياكل العصرية الحديثة نأخذ نبذة عن عهد أمير المؤمنين(عليه السلام)لمالك الأشتر .

نبذة عن رواة عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

وهو عهد رواه شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي المدفون في النجف الأشرف ، وقد سمي أحد أبواب حرم أمير المؤمنين(عليه السلام) باسمه "باب الشيخ الطوسي" ، وهو الباب الذي يطلّ على مقبرة وادي السلام ، توفّي سنة ٤٦٠هـ ، وهو من أعلام القرن الخامس ، وكان المرجع الأول للطائفة الشيعية ، وكان ثلثا الطائفة الشيعية أو ثلاثة أرباعها يرجعون إليه ، والباقون يرجعون إلى مرجع آخر اسمه "ابن دراج" ، وهو عراقي الأصل ، ولكنّه يقطن الشام، والشيخ الطوسي هو من الرجال العظماء وهو مؤسس حوزة النجف الأشرف حفظها ا ورعاها ، وحوزة النجف تقض مضاجع الكفر العالمي الذي يراها نقطة من نقاط القوة في الطائفة الشيعية ، وهناك كتاب يعترف بأن القوى الكافرة زودت النظام الصدامي بأجهزة قمعية ، وشجعته على قمع حوزة النجف الأشرف بصورة خاصة، والشيعة بصورة عامة، ولكنّهم لم ينجحوا ، والشيخ الطوسي له مؤلفات كثيرة في الحديث والتفسير ، يذكر الشيخ الطوسي سنداً صحيحاً عند المشهور لعهد أمير المؤمنين(عليه السلام)لمالك الأشتر ، وكذلك النجاشي الذي هو أحد رجالات العلم في الطائفة الإمامية أيضاً روى عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر بطريق آخر صحيح عند المشهور، ، ورواه الشريف الرضي أخو الشريف المرتضى ، وكانا بدران في سماء الإمامية ، والسيد المرتضى كان أستاذ الشيخ الطوسي ، أما السيد الرضي فلم يكن أستاذ

الشيخ الطوسي ، والسيد الرضي عاش في أواخر القرن الرابع وبدايات القرن الخامس ، وروى هذا العهد في كتاب نهج البلاغة ، ورواه أيضاً ابن أبي شعبة الحراني ، الذي كان يعيش في أواسط القرن الرابع المعاصر للشيخ الصدوق من علماء الإمامية في كتابه تحف العقول ، وواقعاً هذا الكتاب اسم على مسمى ، حيث جمع فيه من حكم أهل البيت(عليه السلام) في المجالات المختلفة ، ورواه القاضي النعمان ، وهو من علماء الإمامية ، وكان قاضياً أيام حكم الفاطميين في مصر في القرن الرابع والخامس ، رواه في كتابه دعائم الإسلام ، إذن عهد مالك الأشتر له العديد من المصادر .

كوفي عنان وعهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

وهذا العهد وصل إلى أذن الأمين العام للأُمم المتحدة، ولكن لم يكن هذا التوصيل بفعل الإعلام الشيعي إنّما وصل إليه ، كما ينقل بعض الإخوة المتتبعين عبر زوجته السويدية ، ويقول هذا الأخ : إن في السويد يعتمدون في دستورهم في اُمور كثيرة على نهج البلاغة ، فالسويديون لهم صلة ثقافية بنهج البلاغة ، وزوجة كوفي عنان ذكرت له هذه الفقرة من عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر ، وقد ذكرتُ في موضع سابق أن هذا العهد لا يتناول مباحث التشريعات عامة ، وإنّما هو فقه نظمي ، وقد قال الأمين العام للأمم المتحدة : إن هذه العبارة من عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر يجب أن تعلّق على كلّ المؤسسات الحقوقية في العالم ، والعبارة هي : "وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إما أخٌ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق"(١) ، وهذه العبارة من ضمن المقاطع النظمية القانونية

١- نهج البلاغة ، رسائل أمير المؤمنين رقم ٥٣ .

استهوت الأمين العام للأمم المتحدة .

كوفي عنان يدعو لدراسة عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

وهذه العبارة جعلت كوفي عنان ينادي بأن تدرس الأجهزة الحقوقية والقانونية عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر ، وترشيحه لكي يكون أحد مصادر التشريع للقانون الدولي ، وبعد مداولات استمرت لمدة سنتين في الأمم المتحدة صوتت غالبية دول العالم على كون عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر كأحد مصادر التشريع للقانون الدولي ، وهذا إقرار من البشرية لعملقة أمير المؤمنين(عليه السلام)في القانون بعد مضي أربعة عشر قرناً . وهذا التصويت لم ينجزه العرب ولا المسلمون ولا الشيعة ، بل أنجزه كوفي عنان ، وهو ليس بمسلم ولا عربي ولا شيعي ، وقد تم بعد ذلك إضافة فقرات أُخرى من نهج البلاغة غير عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر كمصادر للقانون الدولي . وأحد الأخوة المستبصرين المختص في المحاماة أخبرني بأن هناك دراسة في الدكتوراه تنص على أن عصبة الأمم المتحدة التي شكّلت قبل هيئة الأمم المتحدة ، قد ذكرت أن من مصادر التشريع التي تستند إليها هو كتاب نهج البلاغة، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على أن هذا أحد معاجزأهل البيت(عليهم السلام) ، وأنّهم بشر متّصلون بالغيب ، وأنّهم مصدر سعادة البشرية ، ولكن للأسف نحن مقصرون كثيراً في نشر علوم أهل البيت(عليهم السلام) ، كما قال الإمام الرضا(عليه السلام): "فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا"(١).

البابا يبدي إعجابه بالصحيفة السجادية

السيد مجتبى اللاري ، وهو كبير علماء مدينة "لار" في إيران ، والشخصية

١- ميزان الحكمة ٥ : ٢٠٧٤ ، الحديث ١٣٧٩٧ .

الأولى في هذه المدينة ، هذا السيد لديه مؤسسة لنشر مذهب أهل البيت(عليهم السلام)أُسست منذ أربعين سنة تقريباً ، وأنا على صلة ومعرفة به ، وطريقته في النشر لا تعتمد على نشر الكتب على عامة أهل البلدان ، بل ينشر كتب أهل البيت(عليهم السلام)للنخب الخاصة والمختصين ، مثل : الحقوقيين والصحفيين والقضاة والسياسيين وأساتذة الجامعات ، فهو يحاول أن يراسل أمثال هؤلاء ، وفي أحد مراسلاته أرسل رسالة إلى الفاتيكان ، والرسالة موجودة لديه ، أرسل للفاتيكان الصحيفة السجادية مترجمة باللغة الإيطالية ، وقد أتى له الجواب من الفاتيكان مختوم بالختم الرسمي ليس من البابا المعاصر،وإنّما من أحد البابوات السابقين،وأنا قرأت الرسالة عند السيد اللاري، وعاتبته على عدم نشرها في وسائل الإعلام ، وقد جاء في الرسالة اعتراف أن المسيحيين يزعمون أنّهم أئمة الناس في العرفان والروحانيات والأخلاقيات ، ولكن إمامكم السجاد عنده من المعنويات والأخلاقيات ما لا نملك ، وفوق الذي نستوحيه من النبي عيسى(عليه السلام) .

وقس آخر يبدي إعجابه بها أيضاً

وأراني رسالة اُخرى من أحد القضاة الحقوقيين في بريطانيا ، أرسل إليه الصحيفة السجادية باللغة الإنجليزية ، وقد رد عليه برسالة ذكر له فيها أن القس الذي يشرف على كلّ البرامج الدينية في "بي بي سي" أعجب بها ، وطلب منه نسخة اُخرى ، وقال : إنّه يعتمد عليها في برامجه الدينية .

واجبنا نشر ثقافة أهل البيت(عليهم السلام)

المقصود أن كتب أهل البيت(عليهم السلام) لو استطعنا أن نوصلها إلى نخبة الشعوب ومثقّفيها بلغاتهم لينظروا فيها ، لأدينا جانباً وقسطاً من المسؤولية الملقاة علينا في نشر هذه الأنوار التي بها تتحقق سعادة البشرية .

مايوجد في عهدالإمام علي(عليه السلام)ولايوجد في أدبيات العدالة الدولية

وقبل الخوض في هذا العهد سأبين بعض الإمتيازات التي ذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر ، وحسب استقرائي فإن في جملة من البنود يمتاز بها هذا العهد وإلى الآن لا توجد في التنظير الدولي للعدالة ، ولا في أدبيات العدالة الدولية ، وهناك اُمور يرى أمير المؤمنين(عليه السلام) أنّها مصيرية وحيوية ورئيسية وإعجازية لم يتوصل لها الغرب إلى الآن ، وهي اُمور تختص بإقامة صرح العدالة في المجتمع البشري سواء في صفات الحاكمين والمسؤولين ، أو في السياسة العامة لنظام الدولة .

وفي العلاقات الدولية يذكر أمير المؤمنين(عليه السلام) عدة بنود ، أحدها : يضمن مصير السلم الدولي، ولا يمكن لغيره أن يحقق السلم الدولي ، ويركّز عليه بصورة شديدة ، ويذكر في موارد اُخرى العلاقات الدولية ، ومشاركة الاُمة في الحكم ، ونفس هذه النظم نظم إعجازية ، انجذبت إليها البشرية .

الفرق بين فقه النظام والتشريعات العامة

وسنتعرض إلى البنود الإعجازية في عهد الإمام علي(عليه السلام) إلى مالك الأشتر ، وهنا لا بد من ذكر مقدمة قبل الخوض في عهد مالك الأشتر ، وهذه المقدمة تدور حول ما معنى فقه النظام؟ وما الفرق بينه وبين التشريعات العامة؟

والتشريعات العامة ، تعني : إقمة العدالة أو القصاص أو ما يذكره الفقهاء في الرسائل العملية سواء كانوا فقهاء الإمامية أو فقهاء المذاهب الاُخرى ، وهذه الكتب الفقهية فقه وقانون منتشر ، وكذلك في القانون الوضعي ، فمثلا : كتاب الوسيط الذي يتكون من عشرة مجلّدات لمؤلّفه الدكتور عبد الرزاق السنهورى فقه منتشر ، وكذلك باب المعاملات ، وما يتعلّق بالفقه الجنائي وما شابه ذلك ، سواء

كان من وضع البشر أم من التشريع الإلهي فهوفقه عام منتشر،أي:الفقه الذي يتناول أحكام الأسرة وأحكام الفرد والقوانين العامة والقانون الجنائي والقصاص،ولكن هذه الأبواب المختلفةفي القانون في التشريعات العامة كيف تتصل مع بعضها البعض في ظل دائرة منظومة يقام صرحها في المجتمع؟ وبعبارة ُأخرى : أحد امتيازات فقه النظام عن فقه التشريعات العامة أنّه يبين آليات وأدوات التطبيق ، وينبغي على الفقيه الدستوري البرلماني ـ سواء كان إسلامياً أو وضعياً ـ أن يعي القوانين العامة ، ثم يعي آليات تطبيق تلك التشريعات ، إذن يوجد الفقه الدستوري وفقه النظم .

يجب أن لا تصطدم القوانين مع بعضها البعض

والفرق الثاني : أن الفقه الدستوري يحاول أن يلائم ويوجد الانسجام بين بنود أبواب القانون ، وكيفية الحفاظ عليها ـ مثلا ـ على فقه الُأسرة مع القوانين الُأخرى ، وبين قوانين المعاملات وقوانين المرور ، إذن من المهم أن لا تتصادم القوانين مع بعضها البعض ، وليس فقط أن لا تتصادم أبواب القانون ، بل يدعم هذا الباب ذاك الباب .

إن خضوع البشرية لعهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر يعني أن الإمام علي لا يعيش عصره فقط ، بل إنّه يلبي حاجات البشرية جيلا بعد جيل ، وهذا هو فرق المعصوم عن الصحابي والفقيه والمجتهد والسياسي والمحارب والداهية وعن رأي الأكثرية والشورى .

البشرية عاجزة عن تسجيل مؤاخذة في قانون علي(عليه السلام)

المعصوم يذعن له نخبة البشر المختصين في فقه القانون ، وهو من أصعب العلوم، ومن المهم الحفاظ على التوازن بحيث لا يكون التقدم الصناعي على

حساب تأثّر البيئة الخضراء الزراعية أو البيئة الترابية أو الثروة الحيوانية ، وعلي بن أبي طالب(عليه السلام) قبل أربعة عشر قرناً يدون بنود الفقه النظمي ، ولا زالت البشرية عاجزة أن تسجل عليه أية مؤاخذة مع تغير بيئات البشر وتقاليدهم وطبائع الأرض بعد أربعة عشر قرناً ، أين هؤلاء الذين يكررون كلام الحداثيين ـ كما تكرر الببغاء الكلام ـ عن هذا الفكر الأصيل فليسمعوا ماذا يقول علي بن أبي طالب(عليه السلام)؟! وهذا التصويب في الأمم المتحدة كأنّما هو تجديد لبيعة الغدير .

المحاضرة التاسعة

الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) وفقه التشريعات

محاور المحاضرة :

أولا : الفرق بين الفقه النظمي وفقه التشريعات .

ثانياً : مهمة الفقه النظمي الملائمة بين الثابت والمتغير .

ثالثاً : لابد من تحديث القوانين .

رابعاً : الكثرة المبالغ فيها لمنظومات النظم سلبية .

خامساً : الإمامة تعني الإدارة والتدبير .

سادساً : ملف ليلة القدر في القرآن الكريم .

سابعاً : معلومات ضخمة تنزل على المهدي من آل محمد في كلّ سنة .

ثامناً : الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) يتصدى للأمر في غيبته .

تاسعاً : معنى الكتاب المبين في القرآن الكريم .

عاشراً : ليلة القدر برهان على تصدي المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) .

الفرق بين الفقه النظمي وفقه التشريعات

قال تعالى : **{إِنَّ ا َ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(١) ، وقال سيد الشهداء(عليه السلام) : "فلعمري ما

١- النحل (١٦) : ٩٠ .

الإمام إلاّ العامل بالكتاب ، والقائم بالقسط ، والدائن بدين الحق ، الحابس نفسه على ذات ا "(١) .

مر بنا الحديث عن عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر ، وهو كما بينا فقه نظام الدولة ، وفقه نظام الدولة يتميز عن فقه التشريعات العامة أن فقه التشريعات العامة ترتكز على مبادىء قد تدركها الفطرة ، وتدرك بالنصوص البينة المحكمة، فتكون بينة مستبينة، وأما قوانين النظم والأنظمة، وربما يعبر عنها بالفقه الدستوري أو الفقه النظمي والفقه البرلماني أو الفقه الوزاري ، ففيه صعوبة أكثر من فقه التشريعات العامة؛ لأن فقه التشريعات العامة كلّ باب مستقل فيه بنفسه يراعي المصالح المذكورة في ذلك الباب لاغير، فمثلا: باب الأُسرة يراعي مصالح الأُسرة ، وباب المعاملات يراعي المعاملات ، وباب الجنايات على حدة ، والقضاء على حدة ، والجهاد على حدة ، والعبادات على حدة ، وباب الاجتهاد والتقليد والمصادر الدينية على حدة ، أما التلاحم والتنسيق والملائمة بين هذه الأبواب فهو من اختصاص فقه النظم والفقه الدستوري ، حيث يبحث في كيفية تطبيق الأبواب بحيث لا تتصادم مع بعضها البعض ، ولا تتزاحم مع بعضها البعض .

مهمة الفقه النظمي الملائمة بين الثابت والمتغير

والفقه النظمي ينطوي على تعقيدات وصعوبات ، وهو يلاحظ الأهداف التي يهدف إليها التشريع العام مع متغيرات البيئة التي تختلف من مكان إلى مكان ، ومن زمان إلى زمان ، ومهمته الملائمة بين الثابت والمتغير بحيث لا يجرفه المتغير بنحو مطلق ، كما لا يعكف بنظره إلى الثابت على نحو مطلق في ضمن مصاديق تقليدية قديمة ، وكيف ترسو العدالة في ضمن متغيرات مختلفة ، وضمن طبائع مختلفة

١- الإرشاد ٢ : ٣٩ .

بحسب تغير البيئات ، إنّما طبيعة العدالة سارية ومنتشرة تتبادل أشكال وهياكل مختلفة على مر الأزمان ، وحينئذ يجب أن يكون المقنّن في وعي تام لكي يحيط بالبيئات المختلفة ، فمثلا : هناك العديد من البيئات : بيئة المرور وبيئة المعاملات المالية النقدية وبيئة المصالح وبيئة الأمن والبيئة العسكرية والبيئة السياسية وبيئة رقابة الأُمة ، وينبغي على القانون النظمي والمقنن النظمي أن لا يقع في الجمود الذي يجعله غير مؤهل للتعامل مع البيئات المختلفة ، وسيفقد هدفه حينئذ .

لابد من تحديث القوانين

قضية التحديث في القوانين وهيكلتها من جديد لابد أن تخضع إلى دراسة ومدارسة من خلال مراكز الدراسات والبحوث المتخصصة ، لماذا؟ لأن القانون ربما صدر في زمن يختلف عن الزمن الحالي أو في بيئة مكانية تختلف عن البيئة المكانية المراد إصدار القانون لها ، وعلوم الإدارة تشعبت إلى تخصصات متعددة ، وهي من أعقد العلوم .

الكثرة المبالغ فيها لمنظومات النظم سلبية

وكما يقولون : في أمريكا مليون وأربعمائة منظومة نظام إداري بحسب بعض مراكز الدراسات ، وهم يعترفون أن هذه الحالة ليست حالة إيجابية ، ويقولون : إن الدولة النموذجية ينبغي أن تحتوي على مائة وأربعين منظومة نظام، وتعني بمنظومة النظام ، مثل: النظام القضائي ونظام الاتصالات ونظام المرور والنظام المصرفي ونظام البلديات ونظام المجالس ، وهذا التعقيد وهذا التضخّم في منظومة الأنظمة ظاهره رونقٌ وتطور ، ولكن باطنه لا ينم عن ذلك ، وهذه الكثرة تؤدي إلى قابلية الانكسار والتصادم بصورة أكبر مما لو كان عدد المنظومات أقل ، فمثلا : من جهة العلوم الاستراتيجية فإن منظومة الأنظمة الأمريكية من أسهل المنظومات

القابلة للاصطدام والتفكّك ، فلو توقّفت الكهرباء عن العمل لمدة ساعات معدودة يزيد معدل الجريمة بصورة مذهلة .

الإرباك الإداري في مواجهة درجات الحرارة المرتفعة

وفي فرنسا عندما تشتد درجات الحرارة يكون عندهم نقصاً إدارياً في تجهيز ودفن الموتى ، وفي الصين عندما تشتد درجات الحرارة ، تقف الصين عاجزة ، وهي من الدول العظمى في مواجهة هذه الموجة من الحرارة ، فهذه الأنظمة ما إن تعتورها حالة طارئة جديدة حتّى تتعرض إلى الخلل والنقص في الأداء الإداري لمعالجة الأزمات الطارئة ، وهذه من العقد التي تواجه التشريعات التي ترسم النظم في الدول الحديثة في التشريعات الوزارية والتشريعات البرلمانية .

الإمامة تعني الإدارة والتدبير

البحث إذن معقّد ، وهذا البحث إنّما يصلح بالإمامة كما تطرحها مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، والإمامة تعني الإدارة والتدبير ، واعترف البشرية أن نظام الإدارة والتدبير من أعقد النظم ، وتطور مدنية أي شعب رهين بفعالية ونشاط ورقي النظام الإداري ، والشغل الشاغل للدول تطوير الإدارة ، والإدارة تعني القيادة والتدبير ، ولفظ الإدارة كمصطلح جديد يرادف مفهوم الإمامة في المصطلح الديني .

إعجاز علمي في عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

وفي ظل كلّ هذا التعقيد ، هم يرشّحون عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر لذلك ، وهذا يعني فيما يعنيه إعجاز علمي في عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر ، كما سنبين ونقرأ منه فقرات ، وهنا نسأل هل نظرية الإمامة عند أهل البيت(عليهم السلام)تؤمن هذا الأمر ، وهل بينت هذا الأمر؟ نعم ، بينته من خلال ترسانة من

المعلومات ، ولكن بلغة قد لا نلتفت إليها ، ولو ترجمناها إلى اللغة الحديثة لتبين لنا هذا الأمر .

السقوط الخلقي يكلّف الدولة كثيراً من الطاقات والأموال

وفي أمريكا أربعة ملايين مدمن على المخدرات يشغلون ثمانية ملايين فرد من موظفي الدولة يلزمهم مراعاة أولئك المدمنين ، انظر إلى هذا التضخّم الإداري بسبب عدم الالتزام الخلقي ، ولو كان الالتزام الأخلاقي موجوداً لوفّر على الدولة الكثير من الطاقات والنظم الإدارية .

ملف ليلة القدر في القرآن الكريم

وفي القرآن الكريم إشارات تشير إلى النظام الإلهي الذي يطبقه أهل البيت(عليهم السلام) ، ولكننا قد غفلنا عما يشير إليه القرآن الكريم ، ففي القرآن الكريم هناك ملف ليلة القدر ، والقدر هو التقدير والتدبير ، ومن أسماء ليلة القدر ليلة التدبير ، القدر هو التحديد والتأطير والبرمجة ، وأن ليلة القدر حسب روايات الفريقين منذ عهد آدم(عليه السلام) لا بد أن تكون مع خليفة ا في الأرض ، وماذا يحدث في ليلة القدر؟ تتنزل في ليلة القدر إحصائيات وملفّات علمية لا تتخلّف عن الواقع إلى ليلة القدر في العام القادم ، حيث تتحدد جميع الآجال ، وإحصائيات الأموات ، وأي دولة ستكون أكثر من ناحية عدد الموتى؟ والشرائح التي سيصيبها الموت؟ ومقدار الزيادة البشرية في العدد من حيث المواليد بشكل دقيق ، في كلّ بلد ومدينة .

معلومات ضخمة تنزل على المهدي من آل محمد (عجل اللّه فرجه الشريف) في كلّ سنة

هذه المعلومات الضخمةتنزل في كلّ عام على المهدي من آل محمدعجل ا

فرجه الشريف الأرزاق ، الرخاء ، الإنعاش الاقتصادي والزراعي والصناعي والحروب والسلم وغير ذلك ، كلّه ينزل بالدقة على صاحب ليلة القدر لا على أحد آخر ، ولا تنزل في ليلة القدر معلومات عن الظواهر العامة فقط ، بل حتّى الظواهر الخاصة ، يعني : ملف كلّ شخص ينزل على صاحب الأمر من ناحية الصحة والمرض وما سيجري عليه بالدقة ، والدول الحديثة لم تصل إلى هذه المعلومات ، ولا تدري ما الفائدة والثمرة منها؟ فضلا عما سيجري على عامة المجتمع ، وما يجري بين البلدان والهواء والطقس والحيوانات والبيئة وغير ذلك ، وهذه الروايات موجودة في طرق العامة ، وفي طرق مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، وقد قال تعالى : **{إنا أنزلْنَاه في ليلَة الْقَدر* وما أدراك ما ليلَةُ الْقَدر}**(١) .

الإدارة هي الشغل الشاغل للبشرية

الآن الشغل الشاغل للبشرية هو الإدارة والتدبير ، والآية تقول : **{وما أدراك ما ليلَةُ الْقَدر}**(٢) ؛ لأن ليلة القدر عظيمة ، حيث تحتوي على برمجة لتقادير البشر ، وتعيين ورسم السياسة ، وتقول : **{ليلَةُ الْقَدر خَير من ألف شَهر}**(٣) ؛ لأن نجاة البشرية في ليلة القدر .

القوة الإدارية تكمن في الخفاء والسرية

والإمام المهدي عجل ا فرجه الشريف ليس في جزيرة خضراء ـ كما يقال ـ أو جزيرة حمراء أو زرقاء ؛ لأن الغيبة في مقابل الظهور ، وليست الغيبة في مقابل الحضور ، بمعنى أن حركة الإمام الحجة موجودة ، ولكنها تتصف بالخفاء والسرية ،

١- القدر (٩٧) : ١ ـ ٢ .
٢- القدر (٩٧) : ٢ .
٣- القدر (٩٧) : ٣ .

وسنبين أن في العلوم الاستراتيجية تكون البرامج الإدارية والسياسات والتخطيطات عنصر قوتها في الخفاء والسرية .

الإمامة هي الشغل الشاغل لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام)

وهذه هي عقائد أهل البيت(عليهم السلام) وقد عادت البشرية لتطابق هذه العقائد ، أليس هذا من الإعجاز العلمي لهذه المدرسة؟ الشغل الشاغل عند مدرسة أهل البيت(عليهم السلام)هو الإمامة ، أي : التدبير والإدارة ، وهي سر سعادة البشرية .

الإمام هو المدبر الكفؤ

والإمام هو المدبر والمدير الكفؤ للبشرية ، قال تعالى : **{إني جاعلٌ في الأرض خَليفَةً}**(١) ، أول يافطة لوجود البشر ، ولإسعاد البشر في الدارين ، وفي النشآت المختلفة هو وجود الخليفة ؛ لأن محور سعادة البشر هي الإدارة والتدبير : **{قَالُوا أَتَجعلُ فيها من يفْسد فيها ويسفك الدماء}**(٢) .

البشر الآن يركّزون على مراكز المعلومات وجمع المعلومات ، الآن يبحثون في علم الجينات للوصول إلى النوعية الجيدة من البشرية ، وهذه من ضمن المعلومات التي يحاولون الاستفادة منها ، انظر إلى الروايات الواردة في ليلة القدر حتّى في تفاسير أهل السنة في سورة القدر وسورة الدخان ، قال تعالى : **{تَنَزلُ الْملائِكَةُ والروح فيها بإِذْنِ ربهم من كُل أَمر}**(٣) لاحظ قوله تعالى: **{كُل أمر}** ، وماذا يصنع الإمام المهدي عجل ا فرجه الشريف بهذه الملفّات النازلة؟ هل يتفرج عليها؟ وهل تنزل عبثاً واعتباطاً في كلّ عام؟

١- البقرة (٢) : ٣٠ .
٢- البقرة (٢) : ٣٠ .
٣- القدر (٩٧) : ٤ .

الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) يتصدى للأمر في غيبته

وهذه من أبجديات عقائد الشيعة ، ومع هذا تصدر بعض الكتابات للأسف حتّى من الحوزة العلمية ، تقول : "إن الإمام الحجة (عجل اللّه فرجه الشريف) ليس متصدياً ، وهذه الإحصائيات الكبيرة المهولة التي لا تمتلكها أي دولة من الدول ، وإحصائياتهم تخفق ولا تصيب الواقع ، ولا تستقصي الواقع ، والكثير من المجهولات يسعون للحصول عليها بطرق مختلفة وقنوات مختلفة ولا يحصلون عليها ، وكلّها تنزل على مهدي آل محمد عجل ا فرجه الشريف ، فماذا يصنع بها؟ قال ا تعالى : **{ينَزِّلُ الْملائِكَةَ بِالروحِ من أَمره على من يشَاء من عباده أَن أَنذروا أَنه لا إِله إِلا أَنَا فَاتقُوني}**(١) ، والملائكة هي مخلوقات عالمة تنزل بالمعلومات ، وهم رسل المعلومات ، وموجودات حية شاعرة تحمل العلم ، والروح الأعظم من عالم الأمر ، أي : الملكوت ، ولم يقل على من يشاء من رسله أو أنبيائه ، وإنّما قال : من عباده للدلالة على أن الملائكة تنزل على غير الأنبياء وهم الأئمة ، والملائكة لا ينزلون ليلة القدر إلاّ على منزل له ، ولا ينزلون اعتباطاً ، وقوله تعالى : **{على من يشَاء من عباده}** ، أي : أن الملائكة تنزل على من اصطفى ا من عباده ، ومن شاء ا أن يكون مصطفى من بين الخلق ، فهل الملائكة ينزلون اعتباطاً بلا فائدة ليلة القدر؟! والإمام هو مخزن هذه المعلومات التي يتلقاها ليلة القدر ، وهو الذي ترسل إليه المعلومات ، وبإجماع المسلمين أن ليلة القدر لن تنقطع إلى قيام الساعة فمن الذي تتنزل عليه الملائكة؟ وهي ليلة المعلومات وليلة النظم وليلة التدبير لكلّ سنة ، فماذا يقال عن ليلة القدر؟ أيقال إنّها نزعة باطنية؟! إنّها ليست نزعة باطنية.

١- النحل (١٦) : ٢ .

الإمام الحجة يدير الأمور في الخفاء

حيث إن في عقيدة أهل البيت(عليهم السلام) أن العالم يحتاج في كلّ عام إلى تدبير ، والغيبة من العقائد التي يجب أن نعيها ، فالإمام حاضر ، والغيبة في مقابل الظهور وليست الغيبة في مقابل الحضور ، فهو (عجل اللّه فرجه الشريف) عندما يظهر يقول كثير من الناس إنّنا كنّا نراه ولكنّنا لم نكن نعرفه ، فهو حاضر في كبد الحدث ، ويدير الشبكات من الأبدال والأركان والأوتاد والنقباء ، لا الدجالين من مدعي السفارة ، بل هؤلاء عملاء الدوائر الغربية ؛ لأن طبيعة السرية تخالف ما يدعيه أهل السفارة ؛ لأن العضو السري يبقى عضواً سرياً مخفياً لا يكشف نفسه أبداً ، وفي الأجهزة السرية عندما تشعر بانكشاف سر من أسرارها من قبل شخص ما فإنّها تصفيه وتقتله حتّى لا يكشف أسرارها ، وادعاء السفارة هو عين الجرأة على الساحة الربوبية، لذلك فإن فقهاء الشيعة الإمامية يكفّرون من يدعي السفارة؛ لأنّه ينتهك أمن البشر .

الخضر ليس نبياً ولا رسولا

الذي جرى بين الخضر(عليه السلام) وموسى(عليه السلام) في سورة الكهف كلّها أُمور رمزية ، وذلك يعني وجود عنصر إلهي أمني خفي ، حتّى استغرب موسى(عليه السلام) من التدابير التي قام بها الخضر : **{فَوجدا عبداً من عبادنَا آتَينَاه رحمةً من عنْدنَا وعلمنَاه من لَدنا علْماً}**(١) ، هذا بالنسبة للخضر(عليه السلام) ، فهو ليس نبياً ولا رسولا ، وإنّما عبداً عنده علم لدنّي ، وكلّ فعل من أفعاله مؤثّر في النظام الاجتماعي ، فقتل ذلك الشاب مؤثّر وإلاّ كان سيقضي على سبعين نبياً(٢) ، وكلّنا يمكن أن يتصور ماذا يمكن أن يحمله

١- الكهف (١٨) : ٦٥ .

٢- تفسير نور الثقلين ٣ : ٢٨٣ ، الحديث ١٥٨ .

سبعون نبياً من التراث الحضاري للبشرية ، ولو لم يكن الإمام الحجة (عجل ا فرجه) موجوداً لانتشرت الأوبئة والكوارث والأمراض(١) .
البشر يقدمون على تجربة معينة دون أن يعرفوا عواقبها ، كالطفل الذي يعبث بالمتفجرات ، ولولا هذا الذي ينزل في ليلة القدر ، ويزود به تدبير المهدي (عجل ا فرجه) لكان العالم ليس كما هو الآن ، ونلاحظ كم عانت البشرية من أمراض السارس والإيدز ، ولولم يحفظهم (عجل ا فرجه) لما بقوا ، فهو له الفضل على البشر كما أراد ا .

الخلفاء الاثنا عشر

علماؤنا شكر ا سعيهم بحثوا مباحث لطيفة في حديث الخلفاء الاثنا عشر ، قال: جابر بن سمرة : "سمعت النبي(صلى ا عليه وآله) يقول : "يكون اثنا عشر أميراً . فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال : كلهم من قريش"(٢).
وقد ورد بصيغة أُخرى ، عن عبد ا بن مسعود الصحابي المعروف أنّه قال : "ولقد سألنا رسول ا (صلى ا عليه وآله)" ، فقال : "إثنا عشر ، كعدة نقباء بني إسرائيل"(٣) . نعم ، علماؤنا درسوا أسانيد هذه الأحاديث عند العامة ، ولكن قلّما رأيت من توقّف عند الحديث القائل : "لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة"(٤) .

معنى الكتاب المبين في القرآن الكريم

وقال تعالى : **{حم* وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ***

١- كمال الدين وتمام النعمة ١ : باب العلة التي من أجلها يحتاج إلى الإمام(عليه السلام) .
٢- صحيح البخاري ٤ : ٣٩٨ ، الحديث ٧٢٢٢ ، ٧٢٢٣ ، كتاب الاحكام ، باب ٥٢ .
٣- مسند أحمد ٦: ٣٢١ ، الحديث ٣٧٨١ ، مسند عبد الله بن مسعود .
٤- صحيح مسلم ٣ : ١١٥ ، الحديث ٧ و٨ ، كتاب الامارة ، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش .

فيها يفْرقُ كُل أَمر حكيم* أَمراً من عنْدنَا إِنا كُنا مرسلين* رحمةً من ربك إِنه هو السميع الْعليم}(١) ، يفرق ، أي : يبرمج . ويدبر ، الكتاب المبين ليس وصفاً للمصحف الشريف والقرآن الكريم بل الكتاب المبين وصف لوجود ملكوتي علوي ، وفي آية أُخرى **{وما من غَائِبة في السماء والأرض إِلا في كتَاب مبِين}**(٢) ، وهذا ليس المصحف حتّى يقول القائل حسبنا كتاب ا (٣) ، وقال تعالى : **{وما من دابة في الأرض ولاَ طَائِر يطير بِجنَاحيه إِلا أُمم أَمثَالُكُم ما فَرطْنَا في الْكتَابِ من شَيء ثُم إِلَى ربهم يحشَرون}**(٤) ، الكتاب المذكور ليس المصحف الشريف والقرآن الكريم ، وإنّما هو الكتاب المبين ، وفي سورة الواقعة : **{إِنه لَقُرآن كَرِيم* في كتَاب مكْنُون* لاَ يمسه إِلا الْمطَهرون}**(٥) ، فلا يصل إليه الفقيه ولا المرجع ولا السياسي وقوله **{كريم}**وصف للقرآن في وجوده الملكوتي ، وهذه الآية من سورة الواقعة تتحدث عن الثقلين ، وفي سورة البروج : **{بلْ هو قُرآن مجِيد* في لَوح محفُوظ}**(٦) ، ولوح محفوظ نفس وحقيقة كتاب الكريم ، وقال تعالى : **{وعنْده مفَاتح الْغَيبِ لاَ يعلَمها إِلا هو ويعلَم ما في الْبر والْبحر وما تَسقُطُ من ورقَة إِلا يعلَمها ولاَ حبة في ظُلُمات الأَرض ولاَ رطْب ولاَ يابِس إِلا في كتَاب مبِين}**(٧) .

ليلة القدر برهان على تصدي المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف)

وليلة القدر نفسها برهان على أن المهدي عجل ا فرجه الشريف هو المتصدي

١- الدخان (٤٤) : ١ ـ ٦ .
٢- النمل (٢٧) : ٧٥ .
٣- صحيح البخاري ٤ : ١٠ ، الحديث ٥٦٦٩ ، كتاب المرضى ، باب قول المريض قوموا عنّي .
٤- الأنعام (٦) : ٣٨ .
٥- الواقعة (٥٦) : ٧٧ ـ ٧٩ .
٦- البروج (٨٥) : ٢١ ـ ٢٢ .
٧- الأنعام (٦) : ٥٩ .

لأمر البشرية ، وما يحدث عند الظهور هو انكشاف المخفي من حركة الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) وهذا الدور لا يقتصر على الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) ، بل قام به الإمام علي(عليه السلام)خلال الخمسة وعشرين سنة التي أبعد فيها عن الخلافة وغيرها ، وكذلك قام به آدم وإبراهيم ، حيث قال ا : **{وإِذْ ابتَلَى إِبراهيم ربه بِكَلمات فَأَتَمهن قَالَ إِني جاعلُك لِلناسِ إِماماً قَالَ ومن ذُريتي قَالَ لاَ ينَالُ عهدي الظَّالمين}**(١) ، فهل كان لإبراهيم(عليه السلام)دولة رسمية يرأسها؟ فأي إمامة التي يخبرنا بها القرآن الكريم؟ نعم ، التاريخ يحدثنا أن إبراهيم قلب فكر البشرية من فكر وثني صنمي إلى فكر إلهي توحيدي ، وتغيير العقائد من أشكل المشكلات ، والنبي بعث بعد الأربعين ، ولكنه خلال الأربعين لم يكن واضعاً يداً على يد ، بل هو إمام الأئمة(صلى ا عليه وآله) .

معنى أُولي الأمر في القرآن الكريم

وقال تعالى : **{يا أَيها الذين آمنُوا أَطيعوا ا وأَطيعوا الرسولَ وأُولِي الأَمرِ منْكُم فَإِن تَنَازعتُم في شَيء فَردوه إِلَى ا والرسولِ إِن كُنتُم تُؤْمنُون بِا والْيومِ الآخرِ ذَلِك خَير وأَحسن تَأْوِيلا}**(٢) ، ولا تعني أُولي الأمر في الجانب السياسي فقط فهذا جانب محدود ، بل هو الأمر الملكوتي ، كما يذكر العلامة الطباطبائي(٣) .

الخليفة ليس من الضروري أن يكون نبياً أو رسولا

ففي سورة الشورى : **{وكَذَلِك أَوحينَا إِلَيك روحاً من أَمرِنَا ما كُنْتَ تَدرِي ما الْكتَاب ولاَ الإِيمان ولَكن جعلْنَاه نُوراً نَهدي بِه من نَشَاء من عبادنَا وإِنَّك لَتَهدي إِلَى صراط**

١- البقرة (٢) : ١٢٤ .
٢- النساء (٤) : ٥٩ .
٣- الميزان في تفسير القرآن ٤ : ٣٩١ .

مستقيم}(١) ، والروح هي شبكة تضخ المعلومات الضخمة ، وفي سورة غافر : **{رفيع الدرجات ذُو الْعرش يلْقي الروح من أَمره علَى من يشَاء من عباده لِينْذر يوم التلاَقي}**(٢) ، فقال من عباده ولم يقل من رسله أو أنبيائه ، كما قال تعالى : **{إني جاعلٌ في الأَرض خَليفَةً}**(٣) ، ولم يقل نبياً أو رسولا ، فالخليفة هو المدبر والمستخلف والمتصرف ، وهو عماد النظام البشري ، "الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق"(٤) و"لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت"(٥) ، فتدمر البيئة والثروة الحيوانية والنباتية والمعدنية والغازية والبشر لو افتقدوا القيادة لساد الهرج والمرج ، فلابد للناس من أمير ، وهذا التحسس الكبير عند أهل البيت(عليهم السلام) لهذه الرؤية العلمية الوضاءة قبل أربعة عشر قرناً ، ولا زال البشر عاجزين عن الاحاطة بكلّ دقائق تعليماتهم(عليهم السلام) ، ونحن غافلون عن إدراك أبعاد هذا الكم الهائل من المعلومات التي تنزل على غافلون عن إدراك أبعاد هذا الكم الهائل من المعلومات التي تنزل على الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) ، كما عجزت البشرية عن إدراك ذلك .

١- الشورى (٤٢) : ٥٢ .
٢- غافر (٤٠) : ١٥ .
٣- البقرة (٢) : ٣٠ .
٤- الكافي ١ : ١٧٧ ، الحديث ٤ ، باب انّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه الاّ بامام .
٥- الكافي ١ : ١٧٩ ، الحديث ١٠ ، باب انّ الأرض لا تخلو من حجة .

المحاضرة العاشرة

المحاور القانونية في عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر

محاور المحاضرة

أولا : هل القرآن الكريم تبيان لكلّ شيء؟

ثانياً : الرازي ، الشهيد المذكور في الآية لابد أن يكون معصوماً .

ثالثاً : الرسول(صلى ا عليه وآله) هو شاهد على الشهداء .

رابعاً : أوصاف في القرآن الكريم لا تنطبق إلاّ على أهل البيت(عليهم السلام) .

خامساً : القرآن الكريم وحديث الثقلين .

سادساً : عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر أحد نماذج العدل .

سابعاً : الأمم المتحدة تدعو لنموذج الإمام علي(عليه السلام) .

ثامناً : المحاور التي أشارت إليها الأمم المتحدة .

تاسعاً : بعض المحاور في هذا العهد التي لم تسجلها المحافل القانونية .

عاشراً : الأقلام المأجورة .

هل القرآن الكريم تبيان لكلّ شيء؟

قال ا تعالى : **{ويوم نَبعثُ في كُلّ أُمة شَهيداً عليهم من أَنفُسهم وجِئْنَا بِك شَهيداً على هؤُلاء ونَزلْنَا عليك الْكتَاب تبياناً لِكُلّ شَيء وهدى ورحمةً وبشْرى لِلْمسلمين* إِن ا يأْمر بِالْعدل والإِحسان وإِيتَاء ذي الْقُربى وينْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَرِ والْبغْيِ يعظُكُم**

لعلكُم تَذَكرون}(١) ، وقال سيد الشهداء(عليه السلام) في آخر خطاب : "تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم وتعساً! حين استصرختمونا ولهين ، فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، وحششتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا ؛ فأصبحتم إلباً على أوليائكم ، ويداً لأعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، ولا ذنب كان منّا إليكم .

فهلاّ ، لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن ، والرأي لم يستحصف..."(٢) .

وقوله تعالى: **{ونَزلْنَا علَيك الْكتَاب تبياناً لِكُل شَيء}**(٣)، من الملاحم القرآنية العظيمة التي حار فيها المفسرون والمحدثون وعلماء العقيدة المتكلّمون ، فكيف يزعم القرآن الكريم إنّه تبياناً لكلّ شيء ، فهل في القرآن الكريم علوم الفيزياء والكيمياء؟! القرآن الكريم ليس فيه تفاصيل الأُمور الدينية ، فضلا عن الدنيوية ، مثل : تفاصيل الأُمور الحقوقية والقانونية والقضائية والاجتماعية ، فوصف **{الْكتَاب تبياناً لِكُل شَيء وهدى}** ليس وصفاً للقرآن الكريم ، وإنّما هو وصف لدرجة غيبية من درجات القرآن الكريم ، وهي درجة الكتاب المبين ، والكتاب المبين هو الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا رطب ولا يابس ، ذلك الكتاب الملكوتي العلمي الذي لا يصل إليه إلاّ المطهرون كما في سورة الواقعة ، قال تعالى : **{لاَ يمسه إِلا الْمطَهرون}**(٤) ، جعل ذلك الكتاب تبياناً لكلّ شيء ، ويتنزل في كلّ ليلة قدر ، ولا يصل إليه لا فقيه ولا مجتهد ولا صحابي ولا راوي ولا مفسر ولا

١- النحل (١٦) : ٨٩ ـ ٩٠ .
٢- الاحتجاج ٢ : ٩٧ ، احتجاجه(عليه السلام) على أهل الكوفة .
٣- النحل (١٦) : ٨٩ .
٤- الواقعة (٥٦) : ٧٩ .

محدث ولامرتاض ولاعارف ولاصوفي ولا سياسي ولا داهية ولا اقتصادي فالآية حصرت وقالت:**{لاَ يمسه إلا الْمطَهرون}**، أي : لا يمسه إلاّ أهل آية التطهير(١) ، ذلك الكتاب تبيان لكلّ شيء ، وأما المصحف الذي بين أيدينا فهو وجود من وجودات القرآن، ويسمى تنزيل القرآن ، وذاك حقيقة القرآن.

الرازي ، الشهيد المذكور في الآية لابد أن يكون معصوماً

وفي الكلام عن الآية ٨٩ من سورة النحل ، يقول الفخر الرازي ـ وهو من علماء العامة ، وكان متكلّماً ، وإلى حد ما فيلسوفاً ذا باع وإحاطة ، ويعتبر تفسيره من أبرز تفاسير مذهب العامة في آفاق الأمور الفكرية والرؤى المعرفية ، عندما يصل إلى هذه الآية الكريمة : **{ويوم نَبعثُ في كُل أُمة شَهيداً عليهم من أَنفُسهم وجِئْنَا بِك شَهيداً}**(٢) من هو هذا الشهيد؟ والأمة أي أُمة؟ والأمة في اللغة هي الجماعة التي تعيش في كلّ مائة عام ، يعني : هناك شهيد بعد رسول ا (صلى ا عليه وآله) في الأمة الإسلامية على هذه الأمة يشهد عليهم أعمالهم ، فيقول الفخر الرازي : من غير المعقول أن يكون هذا الشاهد على الأمة يرتكب الخطأ أو الزلل أو يمكن صدور الخطأ والزلل منه ، ولا بد أن يمتنع عليه الخطأ والزلل ، وإلاّ فكيف يكون شهيداً؟ فمن باب أولى أن يكون مشهوداً عليه إذا كان من الذين يخطؤون ويزلّون ، فمقام الشهادة والإشراف على كلّ الأمة في كلّ قرن لابد فيه من العصمة في مقام الشهادة والشهيد ، ولكنّه بعد أن يقر بهذه المقدمة ، يقول : ربما يكون هذا الشهيد هو الإجماع(٣) ، بدلا من الإقرار بوجود الإمام المهدي المنتظر (عجل اللّه فرجه

١- الأحزاب (٣٣) : ٣٣ .
٢- النحل (١٦): ٨٩ .
٣- التفسير الكبير ٧ : ٢٥٧ .

الشريف) ، والحال أن الأمة لم تجمع على كلّ شيء ، فكيف يكون الإجماع هو المعصوم؟ وفي مسألة الإمامة لم تجمع الأمة ، وهناك كثير من الأمور لا يتحقق فيها الإجماع ، في حين أن هذا الشهيد هو شهيد على كلّ شيء ، فهذا الجواب جواب ضعيف يريد به الرازي أن يسترضي به رأي العامة وا أعلم بنيته ، وكأنّه يريد أن يستغفل القارىء ؛ لكي لا يقر بوجود المعصوم المهدي من آل محمد(صلى ا عليه وآله) .

الرسول(صلى ا عليه وآله) هو شاهد على الشهداء

الرسول(صلى ا عليه وآله) هو شاهد على الشهداء من المعصومين ؛ لأن مقامه أعلى ، ومفاد الشهادة على الأعمال في القرآن الكريم مفاد حافل ، ومن الواضح فيه أن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يشار إليهم في آخر آية من سورة الحج : **{وجاهدوا في ا ِ حق جهاده هو اجتباكم وما جعلَ عليكم في الدين من حرج ملةَ أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبلُ وفي هذا ليكون الرسولُ شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ واعتصموا با ِ هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}**(١) ، يعني : أيها المخاطبون بالاجتباء والاصطفاء أنتم من نسل إبراهيم ، وليس عموماً الأمة الإسلامية .

أوصاف في القرآن الكريم لا تنطبق إلاّ على أهل البيت(عليهم السلام)

هناك ثلّة خاصة انحدرت من نسل إبراهيم ، قال تعالى : **{ربنَا واجعلْنَا مسلمين لك ومن ذُريتنَا أُمةً مسلمةً لك وأَرنَا مناسكنَا وتُب علينَا إنك أَنْتَ التواب الرحيم}**(٢) ، وهي تلك الذرية المسلمة التي لا تكفر با طرفة عين أبداً ، وبعد ذكر علي(عليه السلام)يقول بعض أصحاب المذاهب الإسلامية : كرم ا وجهه ؛ لأنّه لم يكفر با ، وقال

١- الحجّ (٢٢) : ٧٨ .
٢- البقرة (٢) : ١٢٨ .

تعالى : **{وإذْ ابتَلى إبراهيم ربه بكلمات فأتَمهن قالَ إني جاعلُك للناسِ إماماً قالَ ومن ذُريتي قالَ لا ينَالُ عهدي الظالِمين}**(١) ، يعني : أن المعصومين من ذرية إبراهيم ، وهم غير الظالمين ينالون الإمامة ، وقال تعالى : **{وجعلَها كلمةً باقيةً في عقبِه لعلهم يرجِعون}**(٢) ، وفي سورة الحج يقول تعالى : **{هو اجتَباكُم وما جعلَ عليكُم في الدينِ من حرج ملةَ أبيكُم إبراهيم هو سماكُم المسلمين من قبلُ}**(٣) ، أي : أن هذا الاصطفاء ليس اصطفاء اعتباطياً ، ثم يقول تعالى : **{وفي هذَا ليكُون الرسولُ شَهيداً عليكُم وتكُونُوا شُهداء على الناس}** ، وهذه مجموعة من الحلقات والأوصاف التي تنطبق على أهل البيت(عليهم السلام)دون غيرهم ، والآية تبين أن الرسول شاهد على الأئمة ، والأئمة شهود على الناس ، وليس على خصوص الأمة الإسلامية ، بل على جميع الأنبياء والمرسلين ، وقال تعالى : **{وفي هذَا ليكُون الرسولُ شَهيداً عليكُم وتكُونُوا شُهداء على الناس}**فأهل البيت(عليهم السلام) يحتفون بالنبي(صلى ا عليه وآله) .

القرآن الكريم وحديث الثقلين

الأحاديث النبوية عن أهل البيت(عليهم السلام) مداركها ومستنداتها ومضامينها موجودة في الآيات الكريمة ، فالصلة بين الآية ٨٩ من سورة النحل التي ذكرت الثقلين : **{ويوم نَبعثُ في كُل أُمة شَهيداً عليهم من أنفُسهم وجِئْنَا بِك شَهيداً}** ، وقوله تعالى : **{إن ا َ يأْمر بِالْعدل والإِحسان}**(٤) ، هي الصلة التي في سورة الحشر : **{ما أَفَاء ا ُ على رسوله من أَهلِ الْقُرى فَلله ولِلرسول ولِذي الْقُربى والْيتَامى والْمساكينِ وابنِ السبِيل كَي لا يكُون دولةً بين الأَغْنياء منكُم وما آتَاكُم الرسولُ فَخُذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانْتَهوا واتقُوا ا َ**

١- البقرة (٢) : ١٢٤ .
٢- الزخرف (٤٣) : ٢٨ .
٣- الحجّ (٢٢) : ٧٨ .
٤- النحل (١٦) : ٩٠ .

إن ا َ شَدِيد الْعِقَابِ(١) ، وأن الذي يقوم بالعدل في النظام الاجتماعي هم هؤلاء الشهداء الذين هم عدل الكتاب ، والذين يعون الكتاب كلّه ولا يعيه أحد غيرهم من هذه الأمة ، وهذه الآية التي يرددها المسلمون كثيراً : **{إن ا َ يأْمر بِالْعدل والإحسان}** ، كآية ترمز إلى أُصول العدل في النظام الاجتماعي ، وقبلها آية تشير إلى الثقلين لكي تتضح الصورة عند المسلمين ، وجعل ا هذه الثروات في يد أهل البيت(عليهم السلام) **{كَى لا يكُون دولَةً بين الأَغْنياء منْكُم}** ، وهذا التعبير هو نفس التعبير الذي ورد في سورة النحل ، حيث قال تعالى : **{إن ا َ يأْمر بِالْعدل}** .

عهد الإمام علي(عليه السلام) لمالك الأشتر أحد نماذج العدل

فالعدل يقام على يد المعصوم ، وهذا العدل يتمثّل بنموذج عهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر الذي يحتوي على بعض الأمور التي لم تذكر في أدبيات الحقوق والقانون ، والتي تمثّل تحدياً علمياً في مبادىء نداءات أهل البيت(عليهم السلام)التي لا بد للبشرية من الإقرار بها ، وأهل البيت(عليهم السلام) قد رفعوا شعارات منذ ذلك الحين ، وهي تطابق ما تطالب به البشرية الآن من العدالة وحقوق الإنسان والنظام الواحد وغيرها ، والتي تعتبر من الشعارات التي يعتبر العالم الغربي مجبوراً عليها من أجل أن يحسن صورته أمام العالم ، ولكنّه لا يطبقها في الواقع ، ولا تجد مثل هذه الشعارات في الإنجيل المحرف أو التوراة المحرفة ، وغيرها من الملل والنحل ، ولا تجده عند المذاهب الإسلامية الأخرى غير مذهب أهل البيت(عليهم السلام) ، وما تطالب به البشرية لا تجده إلاّ في مذهب أهل البيت(عليه السلام) ، وهذا من الإعجاز العلمي ، وهذا من تدبير الإمام المهدي (عجل اللّه فرجه الشريف) سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر ، حيث يقود البشرية للاعتراف بشعارات لا يقر بها الإنجيل

١- الحشر (٥٩) : ٧ .

المحرف أو التوراة المحرفة ، وكأن البشرية تتشيع لأهل البيت(عليهم السلام) ، وهذه الشعارات لا يقرها حتّى القانون المدون عندهم ، فضلا عن القانون الحقيقي .

الأمم المتحدة تدعو لنموذج الإمام علي(عليه السلام)

والأمم المتحدة عندما أشادت بعهد أمير المؤمنين(عليه السلام) لمالك الأشتر أشادت بعدة نقاط فيه ، سأذكرها تباعاً ، وفي تقرير للأمم المتحدة في التنمية الإنسانية العربية في عام ٢٠٠٢م ، حيث تدعو الأمم المتحدة ـ عبر الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي ـ الدول العربية لاتخاذ أمير المؤمنين علي(عليه السلام) مثالا للحكم الصالح ، أيصل الحال إلى أن يرفع النصارى شعار أن علياً قدوة للبشرية ، ويدعون المسلمين لاتّخاذه قدوة؟! وهذا الذي نعني به أنّه من تدبير الإمام المهدي عجل ا فرجه الشريف ، وإلاّ فنحن الشيعة لم نستطع أن نوصل ثقافة أهل البيت(عليهم السلام) إلى ما وصلت إليه ، فالأمم المتحدة بعد أن أقرت عهد مالك الأشتر كمصدر قانوني دعت الدول العربية إليه .

المحاور التي أشارت إليها الأمم المتحدة

النقطة الأولى : ما في هذا العهد الشريف من الدعوة إلى المعرفة والتعليم ، وهو محور مهم تحتاجه البشرية ؛ لأنّه قائم على وعي الحقوق ، والوعي القانوني ـ إذا كان القانون قانون عدل ، ولم يكن قانون جور ـ يكون ضمانة للناس حتّى لا تنطلي عليهم اللعب القانونية ، واللاف والدوران باستخدام القانون أو المسرحيات الخادعة أو الشعارات الزائفة .

النقطة الثانية : مبادىء العدالة التي أتت في هذا العهد الشريف .

النقطة الثالثة : تحسين المعيشة .

النقطة الرابعة : عمارة الأرض .

النقطة الخامسة : احترام حقوق الإنسان ، فقد ورد في عهد الإمام علي(عليه السلام)لمالك الأشتر : "وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم ، فإنّهم صنفان : إما أخٌ لك في الدين ، وإما نظير لك في الخلق"(١) .

النقطة السادسة : المشاركة الشعبية في الحكم .

النقطة السابعة: محاربة الفساد الإداري والمالي ومحاسبة المسؤولين والولاة.

١- نهج البلاغة ، رسائل أمير المؤمنين ، رقم٥٣ .

بعض المحاور في هذا العهد
التي لم تسجلها المحافل القانونية

المحور الأول : أهمية الطبقة العامة في المجتمع

وفي فهمي القاصر أن هناك بعض المدارك لم تسجّلها المحافل الحقوقية والقانونية ، وهي تعبير أمير المؤمنين(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر : "وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق ، وأعمها في العدل ، وأجمعها لرضى الرعية ، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة ، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة" ، وهذه معادلة اجتماعية يطرحها أمير المؤمنين(عليه السلام) ، فأمير المؤمنين يقول : إنّه يجب مراعاة مصلحة العامة ، وعدم الاكتراث بمصلحة الطبقة الخاصة ، سواء كانت العائلة الحاكمة ، أو الطبقة الإقطاعية ذوي القدرة والنفوذ ، وهذا الوباء السرطاني في النظام الاجتماعي إياك إياك أن تراعيه ، وإذا راعيتها كما فعل من سبق أمير المؤمنين(عليه السلام)في الحكم بعد رسول ا (صلى ا عليه وآله) ، فستكون النتيجة ما آل إليه أمر المسلمين حين انقضوا على مركز الخلافة ، أما أمير المؤمنين(عليه السلام) فقد راعى مصلحة العامة على حساب مصلحة الطبقة الخاصة ، وهذا الذي انطلق منه سيد الشهداء(عليه السلام) ، حيث راعى مصلحة العامة على حساب مصلحة الخاصة ، وأهل البيت(عليهم السلام) ومن قبلهم رسول ا (صلى ا عليه وآله) كانت حربهم مع تلك الشجرة الإقطاعية المتمثّلة في بني أمية أيام الجاهلية وأيام الإسلام ؛ لأنّها شجرة تسبب الحرمان لعامة الناس ، والحرب لم تهدأ بين بني هاشم من جهة وبني أمية وآل زياد وآل مروان من جهة أُخرى ؛ لأنّهم جبهات الإقطاع والاحتكار والاستئثار ، ولذلك لم يداهنهم أهل البيت(عليهم السلام) أبداً ؛ ولأن أهل البيت(عليه السلام) يريدون عدالة المجتمع وإنصاف

المحرومين ، وكان بإمكان سيد الشهداء(عليه السلام) أن يقنع بمصالحة الشخصية ، والخطر يتمثّل في انحراف الأمة عن رواد إصلاحها ، كما أشار سيد الشهداء(عليه السلام) في قوله : "تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم وتعساً! حين استصرختمونا ولهين فأصرخناكم موجفين ، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا ، على عدوكم وعدونا فأصبحتم إلباً على أوليائكم ، ويداً لأعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم ، ولا أمل أصبح لكم فيهم ، ولا ذنب كان منّا إليكم فهلاّ لكم ، الويلات إن كرهتمونا والسيف مشيم ، والجأش طامن والرأي لم يستحصف"(١) .

وهنا تبرز المشكلة عندما يستغفل المجتمع عن رواد إصلاحه ، وهذا المحور هوالذي قلت أنّني لم أجده في الأدبيات الحقوقية ، رغم ما يرفعون من شعارات ، وهذه القضية تمثّل ابتلاء في المدارس الحقوقية والقانونية والاجتماعية والإنسانية ، وأمير المؤمنين(عليه السلام) يقول : إن هناك معادلة دائماً في حالة تجاذب، ودائماً في حالة اصطدام ، وهى مصلحة العامة المحرومة ومصلحة الخاصة ، لا سيما الإقطاع ، ويقول الإمام علي(عليه السلام) : "وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونةً في الرخاء ، وأقلّ معونةً له في البلاء ، وأكره للإنصاف ، وأسأل بالإلحاف ، وأقلّ شكراً عند الإعطاء ، وأبطأ عذراً عند المنع ، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر من أهل الخاصة . وإنّما عماد الدين ، وجماع المسلمين ، والعدة للأعداء ، العامة من الأمة فليكن صغوك لهم ، وميلك معهم"(٢) ، والطبقة المحرومة هي أكثر ولاء لوطنها ، وهي التي تثبت في الشدات معه ، وهذه الطبقة العامة من المجتمع يركّز عليها أمير المؤمنين(عليه السلام) ، ويأمر حاكم المسلمين أن يصغي إليها ، بدلا من

١- الاحتجاج ٢ : ٩٧ ، احتجاجه(عليه السلام) على أهل الكوفة .
٢- نهج البلاغة ، رسائل أمير المؤمنين ، رقم٥٣ .

الإصغاء إلى أصحاب المصالح والإقطاعيين ، وكلّ قانون مهما كان نوعه ، قانون تجاري أو جمركي أو زراعي أو صناعي أو إداري ، يراعى فيه مصلحة الخاصة ولا يراعى فيه مصلحة العامة ، فهو قانون جائر ظالم غاشم لا يراعي العدل الاجتماعي ، وتملأ فيه جيوب الإقطاع ، وتحرم من خلاله الطبقات الفقيرة والمستضعفة وعامة الناس .

المحور الثاني : ظهور مودة الرعية

وهو من المحاور المهمة التي ذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام) : "وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد ، وظهور مودة الرعية" ، وظهور مودة الرعية ، وارتياح عامة الناس دليل على نجاح الحاكم ، ومودة الرعية ليست بكلام الصحف والأقلام المأجورة والصور المعلّقة هنا وهناك ، يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر : "وإنّما يستدل على الصالحين ـ أي : الحكّام الصالحين ـ بما يجري ا لهم على ألسن عباده"(١) ، أي : ألسنة الرعية لا الصحف ولا الثنوات ولا النخبة المنافقة التي تريد التقرب من السلطان بأي وسيلة ، وأن ألسنة الرعية هي الصحف الحقيقية والقنوات الحقيقية ، فأمريكا دولة ديمقراطية عادلة في منطق الصحف والفضائيات ووسائل الإعلام ، ولكن لو أتيت لألسنة الشعوب لرأيت أن أمريكا دولة ظالمة مستبدة ، وهذه هي الصحافة الحقيقية ، ففي أمريكا وألمانيا ٤% يسيطرون على الثروات في هاتين الدولتين .

المحور الثالث : الشفافية بين الحاكم والرعية ، وخطر احتجاب الحاكم

ومن المحاور الأخرى التي يذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر :

١- نهج البلاغة ، وسائل أمير المؤمنين ، رقم ٥٣ .

"وأما بعد ، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك ، فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق ، وقلّة علم بالأمور ، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه ، فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحقُ بالباطل ، وإنّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور ، وليست على الحق سمات تُعرف بها ضروب الصدق من الكذب ، وإنّما أنت أحد رجلين : إما امرو سخت نفسك بالبذل في الحق ، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ، أو فعل كريم تسديه ، أو مبتلى بالمنع ، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك ، مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك ، من شكاة مظلمة ، أو طلب إنصاف في المعاملة" ، وهذه الشفافية المطلوبة التي تنادي بها البشرية المتمدنة نادى بها أمير المؤمنين(عليه السلام) قبل أربعة عشر قرناً ، ولكن يجب أن لا تتلوث الشفافية بدجل الإقطاع .

المحور الرابع : ضمانة السلم الدولي والوفاء بالعهد

ويقول(عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر : "وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء ، وارع ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت ، فإنّه ليس من فرائض ا شيء ، الناس أشد عليه اجتماعاً ، مع تفرق أهوائهم ، وتشتّت آرائهم ، من تعظيم الوفاء بالعهود ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر ، فلا تغدرن بذمتك ، ولا تخيسن بعهدك ، ولا تختلن عدوك ، فإنّه لا يجترىء على ا إلاّ جاهلٌ شقي ، وقد جعل ا عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته ، وحريماً يسكنون إلى منَعته ، ويستفيضون إلى جواره ، فلا إدغالَ ولا مدالسة ولاخداع فيه ، ولا تعقد عقداً تُجوز فيه العلل ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونّك ضيق

أمر لزمك فيه عهد ا إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته ، خير من غدر تخاف تبعته"(١) ، ومن المعلوم أن الحروب تنشأ من نكث العهود ، فإذا فقدت الثقة بين الدول ظهر التزلزل الأمني والمباغتة العسكرية ، وهذا أيضاً بين الدول وشعوبها ، وبين أبناء الشعب الواحد ، والأمن أهم شيء بالنسبة للإنسان في النظام الاجتماعي والنظام الدولي ، ولا يستتب الأمن إلاّ عندما تثبت الثقة بين الأطراف ، والثقة تحدث بالوفاء بالعهد ، فعندما يوقّع شخص شيئاً ثم بعد أسابيع ينكث هذا العهد الذي أعطاه فماذا تكون النتيجة؟

وانظر إلى هذه الأصول التي ذكرها أمير المؤمنين(عليه السلام) وما نادى به سيد الشهداء(عليه السلام) ، لا سيما في المحور الأول ، في أهداف النظام الاجتماعي ومراعاة مصلحة العامة على حساب مصلحة الخاصة ، وما الذي أجهض النصر المادي للحسين(عليه السلام)؟ وإن كان الفتح قد تحقق للحسين(عليه السلام) ؛ لأنّه فتح الأعراف وفتح السنن الاجتماعية وفتح العقول ، فلم يسمح لبني أمية أن يربوا الناس على النهج الإقطاعي ، وفجر نور الأمل في الطبقات المحرومة ، واستطاع عن طريق الإباء والصبر والمثابرة أن يحقق العدل في النظام الاجتماعي فقال : "ربي إن تكن حبست عنّا النصر..."(٢) فالإمام الحسين(عليه السلام) حقق الفتح حتّى ولولم يحقق النصر ، وهناك فرق بين الفتح والنصر في المصطلح القرآني : **{إِذَا جاء نَصر ا ـ والْفَتْح}**(٣) ، فالفتح شيء غير النصر ، وكذلك في سورة الفتح : **{إنا فَتَحنَا لك فَتْحاً مبِيناً}**(٤) ، مع أن

١- نهج البلاغة ، رسائل امير المؤمنين ، رقم ٥٣ .
٢- الكامل في التاريخ ٤ : ٧٥ .
٣- النصر (١١٠) : ١ .
٤- الفتح (٤٨) : ١ .

الآية تتكلّم عن صلح الحديبية ، ولم تتكلّم عن غزوة أو حرب ، والبعض يخلطون بين الفتح والنصر ، والذي أجهض نصر الحسين(عليه السلام) المادي هو نكث العهد وشراء الذمم .

والعدالة لا تتحقق إلاّ إذا روعيت مصالح الأكثرية العامة المحرومة كما قال أمير المؤمنين(عليه السلام) ، وهذا ما لا يرضي الحاكم الإقطاعي ؛ ولذلك فهو يغذّي نخباً معينة ، ويرشيها ويشتريها ويغدق عليها حتّى يستأثر هو بالقسم الأكبر ، ويعطي هؤلاء الذين هم أصحاب المصالح قسماً من الثروات ويحرم الأكثرية من حقوقهم ، وهذا التصرف ينطلق من بخله وحرصه وعدم أدائه لحقوق رعيته .

الأقلام المأجورة

هناك كتابات تحاول إسقاط الحسين(عليه السلام) عن رمزيته وقيادته ، وقد ذكرت لكم في موضع سابق عن كتاب الاستخبارات الأمريكية الذي يعتبر الإمام الحسين نقطة قوة في المذهب الشيعي ، ويحاول إبعاد الشيعة عن شعائر الحسين(عليه السلام)، فإذا سقطت رمزيته(عليه السلام) تتغير خارطة المجتمع ، فحذار من إسقاط رمزية الحسين الذي يمثّل العدالة ، والذي لايقض مضاجع الظّلام فقط، وإنّما يقض مضاجع أولئك النخبة التي اشتراها الظلاّم وسخّروها لخدمتهم ، فهذه النخبة تؤنّبها عدالة سيد الشهداء(عليه السلام) ، فحذار من إسقاط رمزية بني هاشم والحسين(عليه السلام) .

حذار من الأقلام المغرضة

إلى درجة أن بعض الأقلام تدافع عن نظام البعث ، الذي ارتكب هذه المذابح والمقابر الجماعية ، ولا أدري لماذا هذه الوقاحة والصلافة؟! وهذه الأقلام تنتسب إلى الطائفة الشيعية للأسف الشديد ، وقد ذكر لي الشهيد السيد محمد باقر الحكيم ـ وكان جارنا في قم المقدسة ـ : أن صدام قد جمع أعضاء القيادة القطرية السفاكة

الدموية البعثية ، وعرض عليهم شريط عن أربعينية الحسين فسألهم ما هذا؟ فجبنوا عن الإجابة ، فقال هو : إن ثورة الحسين وبركان الحسين لم يهدأ .

وفي زيارتنا للمراقد المقدسة كنّا نشعر أن البعثيين يعتبرون أن قبر الحسين(عليه السلام)يمثّل تهديداً للبعث ، وكان البعثيون يتمنّون أن لو لم يكن هذا القبر في العراق ، بل في أرض نائية .

فهرس المطالب (٤)

المصادر

١ ـ أبعاد النهضة الحسينية ـ عباس الذهبي ـ الناشر : مركز الرسالة ـ الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ .

٢ ـ الاجتهاد بالرأي في مدرسة الحجاز الفقهية ـ خليفة بابكر الحسن ـ مكتبة الزهراء ، القاهرة ـ الطبعة الاولى ١٤١٨هـ .

٣ ـ الاحتجاج ـ العلامة أبي المنصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من علماء القرن السادس ـ تحقيق : ابراهيم البهادري ، محمد هادي به ـ دار الاسوة للطباعة والنشر، ايران ـ الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٤ ـ الإحكام في أصول الأحكام ـ علي بن محمد الآمدي ـ تحقيق : الدكتور سيد الحميلي ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .

5 ـ الاختصاص ـ الشيخ المفيد ت٤١٣هـ ـ تحقيق : علي أكبر الغفاري ـ نشر : جامعة المدرسين في الحوزة العلمية (ضمن مصنفات الشيخ المفيد المجلد ١٢) الطبعة الاولى ١٤١٣هـ .

٦ ـ الإرشاد في معرفة حجج ا على العباد ـ الشيخ المفيد الامام أبي عبد ا محمد بن محمد بن النعمان العكبري ، المتوفى ٤١٣هـ ـ تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث ، الطبعة الاولى ـ رجب ١٤١٣هـ .

٧ ـ أُصول الفقه ـ محمدرضا المظفر ـ الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي.

٨ ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين ـ تحقيق : حسن الأمين ـ الناشر : دار التعارف للمطبوعات بيروت ـ سنة الطبع ١٤٠٣هـ .

٩ ـ الأمالي ـ لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠هـ ـ تحقيق: مؤسسة البعثة ـ نشر: دارالثقافة ، قم ـ الطبعة الاولى ١٤١٤هـ.
١٠ ـ الإمامة والسياسة المعروف بتاريخ الخلفاء ـ ابن قتيبة الدينوري ت : ٢٧٦هـ ـ تحقيق : علي شيري ـ الناشر : الشريف الرضي ـ الطبعة الاولى ١٤١٣هـ .
١١ ـ الامثل في تفسير كتاب ا المنزل ـ ناصر مكارم الشيرازي .
١٢ ـ بحار الأنوار ـ محمد باقر المجلسي ت : ١١١١هـ ـ المكتبة الإسلامية ، طهران ـ
١٣ ـ البداية والنهاية ـ لا سماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت : ٧٧٤هـ ـ تقديم : محمد عبد الرحمن المرعشي ـ الناشر : دار احياء التراث العربي ، الطبعة الاولى ١٤١٧هـ .
١٤ ـ البرهان في تفسير القرآن ـ هاشم الحسيني البحراني ت١١٠٧هـ ـ تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ الناشر : مؤسسة البعثة ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
١٥ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن إسحاق اليعقوبي البغدادي ت : ٢٩٢هـ ، تحقيق : خليل المنصور ، الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .
١٦ ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ـ السيد حسن الصدر منشورات الأعلمي ـ طهران .
١٧ ـ تحف العقول عن آل الرسول(صلى ا عليه وآله) أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع ـ قدم له وعلق عليه : حسين الأعلمي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان ـ الطبعة السادسة ١٤١٧هـ .
١٨ ـ تذكرة الفقهاء ـ العلامة الحلّي ت: ٧٢٦ ـ تحقيق ونشر:مؤسسة آل البيت(عليهم السلام)لاحياء التراث ، قم ـ الطبعة الاولى شوال ١٤١٩هـ .

١٩ ـ تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن كثير ت : ٧٧٤ ـ تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشي ـ الناشر : دار احياء التراث العربي ، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ ق .
٢٠ ـ تفسير القمي ـ لأبي الحسن علي بن ابراهيم القمي من أعلام القرن الثالث الهجري، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الاولى ١٤١٢هـ .
٢١ ـ التفسير الكبير ـ الفخر الرازي ـ اعداد : مكتب تحقيق دار احياء التراث العربي ـ نشر : دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٥هـ .
٢٢ ـ تفسير كنز الدقائق ـ الميرزا محمد المشهدي ، من أعلام القرن الثاني عشر الهجري ـ تحقيق : حسين دركاهي ـ دار الغدير / قم ـ الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ .
٢٣ ـ تفسير نور الثقلين ـ الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ت١١١٢هـ ـ تصحيح : هاشم الرسولي المحلاتي ـ دار الكتب العلمية ـ قم ، ايران .
٢٤ ـ تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصل مسائل الشريعة ـ محمد الحر العاملي ت : ١١٠٤هـ ق ـ تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ .
٢٥ ـ تلخيص الشافي ـ أبو جعفر الطوسي ت٤٦٠هـ ـ تحقيق : حسين بحر العلوم ـ الناشر : مؤسسة انتشارات المحبين ـ الطبعة الاولى .
٢٦ ـ التنبيه والاشراف ـ علي بن الحسين بن علي الهذلي المسعودي ت٣٤٥هـ ـ الناشر : دار صعب ـ بيروت ـ لبنان ـ
٢٧ ـ تهذيب التهذيب ـ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ ـ الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند .
٢٨ ـ جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة ـ اسماعيل المعزي الملايري ، الناشر : المؤلف ، تاريخ الطبع : ١٤١٨هـ ق .
٢٩ ـ الجامع الكبير ـ محمد بن عيسى الترمذي ت : ٢٧٩هـ ـ تحقيق : بشار عواد

معروف ـ الناشر: دار الغرب الاسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٨م .
٣٠ ـ جواهر التاريخ ـ علي الكوراني العاملي ـ الناشر : دار الهدى ، الطبعة الاولى ١٤٢٥هـ ق .
٣١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نعيم أحمد بن عبد ا الإصفهاني الشافعي ت٤٣٠هـ ـ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ .
٣٢ ـ الخصال ـ لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ .
٣٣ ـ دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ـ الشيخ المنتظري ـ الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .
٣٤ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور ـ جلال الدين السيوطي ت : ٩١١هـ ق ـ الناشر : دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٢١هـ ق .
٣٥ ـ دلائل الصدق لنهج الحق ـ الشيخ محمد حسن المظفر ت١٣٧٥هـ ـ تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت(عليهم السلام) لاحياء التراث ـ الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ .
٣٦ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ محمد الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ ـ تحقيق : علي عبد الباري عطية ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الاولى ١٤١٥هـ .
٣٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها محمد ناصر الألباني ـ الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ـ سنة الطبعة ١٤١٥هـ .
٣٨ ـ سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني ت٢٧٥هـ تحقيق : خليل مأمون شيحا ـ الناشر : دار المعرفة بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

٣٩ ـ السيرة الحلبية ـ أبي الفرج نور الدين علي بن ابراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي ت : ١٠٤٤هـ ـ تحقيق : عبد ا محمد الخليلي ، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ .
٤٠ ـ الشافي في الامامة ـ للشريف المرتضى ـ تحقيق : عبد الزهراء الحسيني الخطيب ـ الناشر : مؤسسة الصادق ـ طهران ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .
٤١ ـ شرح رسالة الحقوق ـ حسن السيد علي القبانجي ـ مؤسسة دار التفسير ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ .
٤٢ ـ شرح المقاصد ـ سعد الدين التفتازاني ت : ٧٩٣هـ ـ تحقيق : عبد الرحمن عميرة ـ منشورات الشريف الرضي ، ايران ـ قم ، الطبعة الاولى ١١٣٧٠هـ ش .
٤٣ ـ شرح المواقف ـ السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت٨١٢هـ ـ تحقيق : محمد بدر الدين النعساني ـ منشورات الشريف الرضي ، ايران ـ قم ـ الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .
٤٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم دار احياء التراث العربي ـ الطبعة الثانية : ١٣٨٧هـ .
٤٥ ـ صحيح البخاري ـ محمد بن اسماعيل البخاري ت : ٢٥٦ ـ الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ق .
٤٦ ـ صحيح مسلم ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري ت٢٦١هـ ـ دار ابن حزم ـ بيروت ، الطبعة الاولى ١٤١٦هـ .
٤٧ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم(صلى ا عليه وآله) تأليف : جعفر مرتضى العاملي ـ الناشر : دار السيرة ـ بيروت لبنان .
٤٨ ـ العلم والحكمة في الكتاب والسنة ـ محمد الريشهري تحقيق ونشر : مؤسسة دار الحديث الثقافية ـ قم ـ الطبعة الاولى .

٤٩ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ت٨٥٥هـ ـ صححه : عبد ا محمود محمد عمر ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤٢١هـ .
٥٠ ـ العواصم من القواصم ـ القاضي أبي بكر بن العربي المالكي ٥٤٣هـ ـ تحقيق : محب الدين الخطيب ، تخريج الاحاديث والتعليق : محمود مهدي الاستانبولي ، التوثيق : محمد جميل غازي ـ الناشر : دار الجيل ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .
٥١ ـ الفصول المهمة في أصول الأئمة ـ محمد بن الحسن الحر العاملي ت ١١٠٤ ـ تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني ـ دار احياء التراث العربي ، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ .
٥٢ ـ الكافي ـ محمد بن يعقوب الكليني ت : ٣٢٩هـ ق ـ تحقيق : علي اكبر الغفاري ـ الناشر: دار الكتب الاسلامية ، الطبعة السادسة ١٣٧٥ش .
٥٣ ـ كامل الزيارات ـ لأبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوية القمي ت : ٣٦٨هـ ـ تحقيق : نشر الفقاهة ، الناشر : دار السرور ـ بيروت ، لبنان ـ الطبعة الاولى ١٤١٨هـ .
٥٤ ـ الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ـ الناشر : دار صادر ، بيروت ـ الطبعة السادسة ١٤١٥هـ .
٥٥ ـ كتاب الجمل وصفين والنهروان ـ لأبي مخنف الكوفي ت : ١٥٧هـ ، جمع وتحقيق : حسن حميد السنيد ـ الناشر : مؤسسة دار الاسلام ، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ .
٥٦ ـ كتاب الغيبة ـ شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت٤٦٠هـ ـ تحقيق : عباد ا الطهراني وعلي أحمد ناصح ـ مؤسسة المعارف الإسلامية ـ

الطبعة الاولى ١٤١١هـ .
٥٧ ـ كتاب الفتوح ـ أحمد بن أعثم الكوفي ت٣١٤ تحقيق : علي شيري ـ الناشر : دار الاضواء الطبعة الاولى ١٤١١هـ .
٥٨ ـ كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ـ أبو الحسن الأشعري ت٣٣٠هـ ـ صححه وقدم له وعلّق عليه : الدكتور حموده غرابة ـ الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث .
٥٩ ـ كتاب المبسوط ـ ابو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي ت : ٤٩٠هـ ، تحقيق : ابي عبد ا محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي، الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ١٤٢١هـ .
٦٠ ـ كتاب المجروحين ـ ابن حبان ت٣٥٤هـ ـ تحقيق : محمود ابراهيم زايد ـ توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع .
٦١ ـ كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق ت٣٨١هـ تصحيح وتحقيق : علي أكبر الغفاري ـ نشر : مؤسسة النشر الإسلامي ـ الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .
٦٢ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي ت : ٩٧٥ ـ تحقيق : محمود عمر الدمياطي ـ الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ ق .
٦٣ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ت٧١١هـ ـ تصحيح : أمين محمد عبد الوهاب ، محمد الصادق العبيدي ـ دار احياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ .
٦٤ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ـ ابو علي الطبرسي الناشر : ناصر خسرو ، قم ، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ .
٦٥ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ نور الدين علي الهيثمي المصري ت : ٨٠٧ ـ تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ـ الناشر : دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ ق .

٦٦ ـ المستدرك على الصحيحين ـ ابو عبد ا محمد بن عبد ا النيسابوري المعروف بالحاكم ت٤٠٥هـ ـ تحقيق : محمود مطرجي ـ الناشر : دار الفكر بيروت ـ لبنان ، سنة الطبع ١٤٢٢هـ .
٦٧ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ـ الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي ت : ١٣٢٠هـ ـ تحقيق ونشر : مؤسسة ال البيت(عليهم السلام) لإحياء التراث ـ قم ـ الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ .
٦٨ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ت٢٤١هـ ـ المشرف على التحقيق : شعيب الأنؤوط ـ مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
٦٩ ـ المصباح ـ تقي الدين ابراهيم بن علي الحسن بن محمد بن صالح العاملي الكفعمي ـ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ .
٧٠ ـ المعجم الأوسط ـ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ت : ٣٦٠ ـ تحقيق : محمد حسن الشافعي ـ الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، الاردن ـ توزيع : دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ١٤٢٠هـ ق .
٧١ ـ المقنعة ـ الشيخ المفيد ت : ٤١٣هـ ق ـ تحقيق ونشر : مؤسسة النشر الاسلامي ـ (ضمن مصنفات الشيخ المفيد المجلد ١٤) الطبعة الاولى ١٤١٣هـ ق .
٧٢ ـ الملهوف على قتلى الطفوف ـ علي بن موسى بن جعفر بن طاووس ت : ٦٦٤هـ ـ تحقيق : فارس الحسون الناشر : دار الأسوة ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ .
٧٣ ـ مناقب آل أبي طالب ـ أبي جعفر محمد بن علي بن شهرآشوب السروي المازندراني ـ تحقيق : يوسف البقاعي ـ الناشر : ذوي القربى ـ الطبعة الاولى ١٤٢١هـ .
٧٤ ـ من حياة الخليفة عمر بن الخطاب ـ عبد الرحمن أحمد البكري ـ تحقيق :

مرتضى الرضوي ـ الناشر : الارشاد للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ـ سنة الطبع ١٩٩٨م .
٧٥ ـ موسوعة كلمات الامام الحسين(عليه السلام) ، تأليف : لجنة الحديث في معهد الامام الباقر ـ الناشر: دار المعروف ، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ .
٧٦ ـ ميزان الحكمة ـ محمد الريشهري ـ تحقيق ونشر : دار الحديث ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
٧٧ ـ الميزان في تفسير القرآن ـ محمد حسين الطباطبائي ت : ١٤٠٢هـ ق ، الناشر : اسماعيليان ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .
٧٨ ـ نهج البلاغة ـ الشريف الرضي ـ تحقيق : فارس تبريزيان ـ تعليق وفهرسة : صبحي صالح ـ نشر : مؤسسة دار الهجرة ، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ .